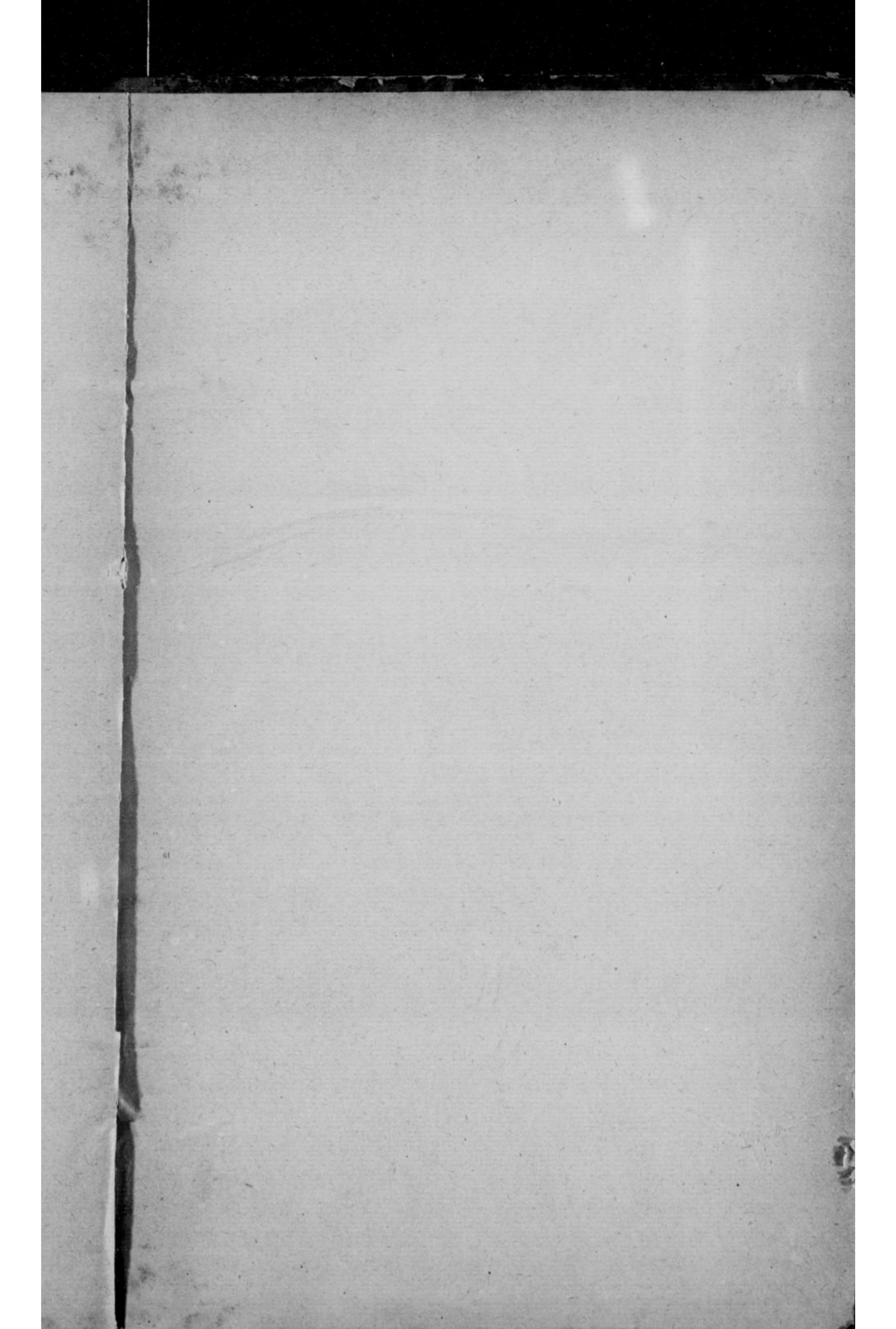
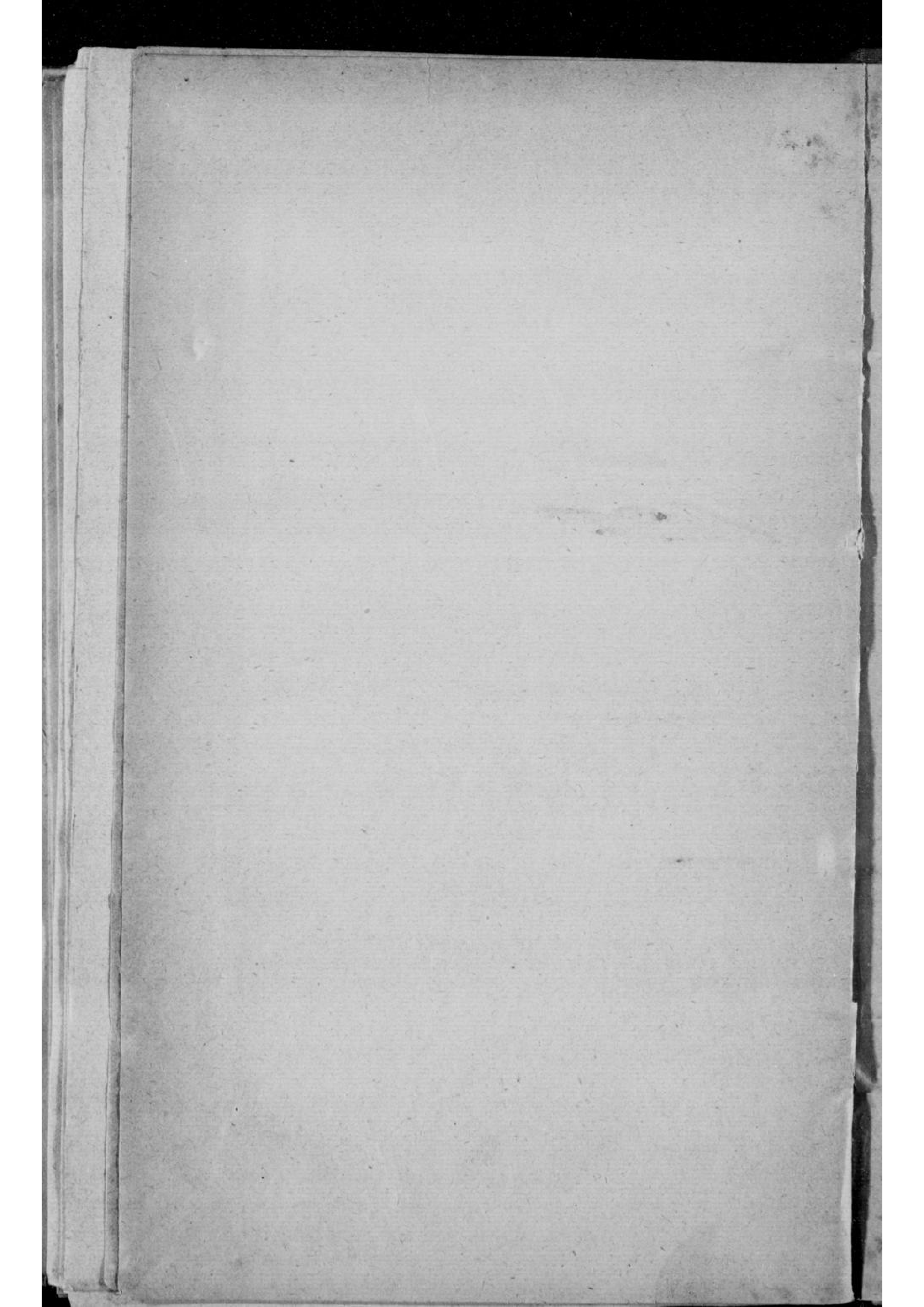
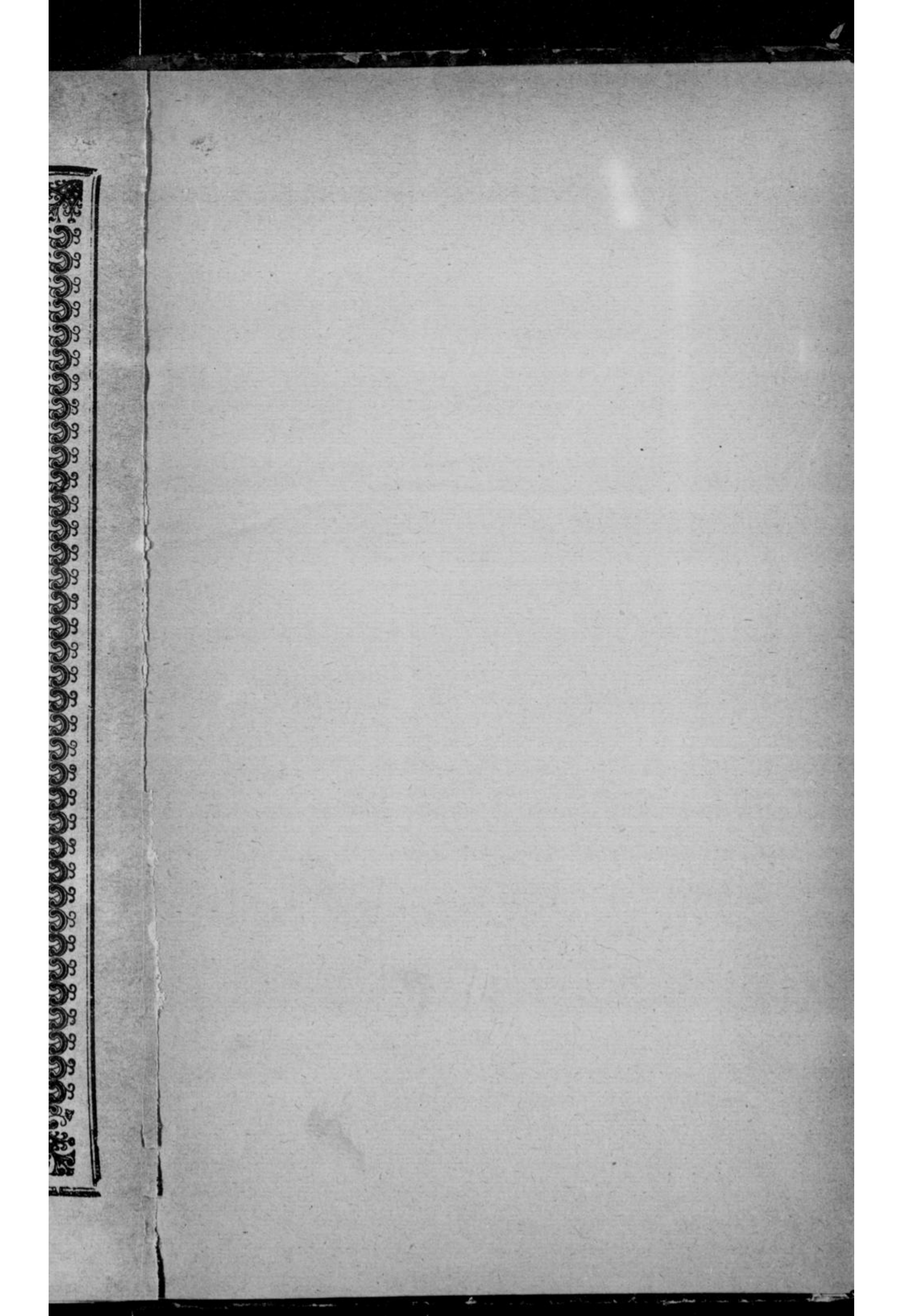
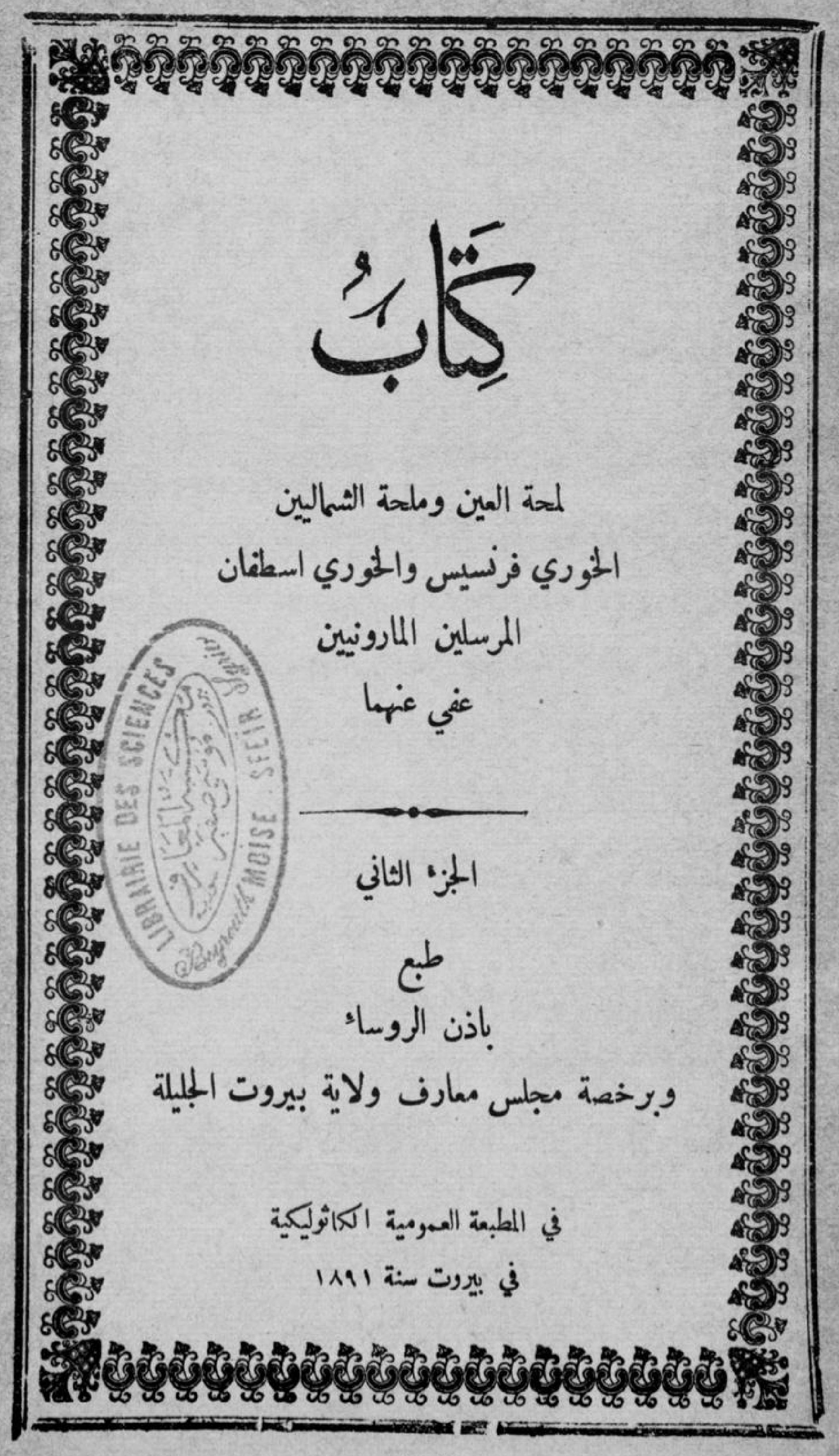








كتاب

لمحة العين وملحة الشماليين

الخوري فرنسيس والخوري اسطفان

المرسلين المارونيين

عفي عنهما

الجزء الثاني

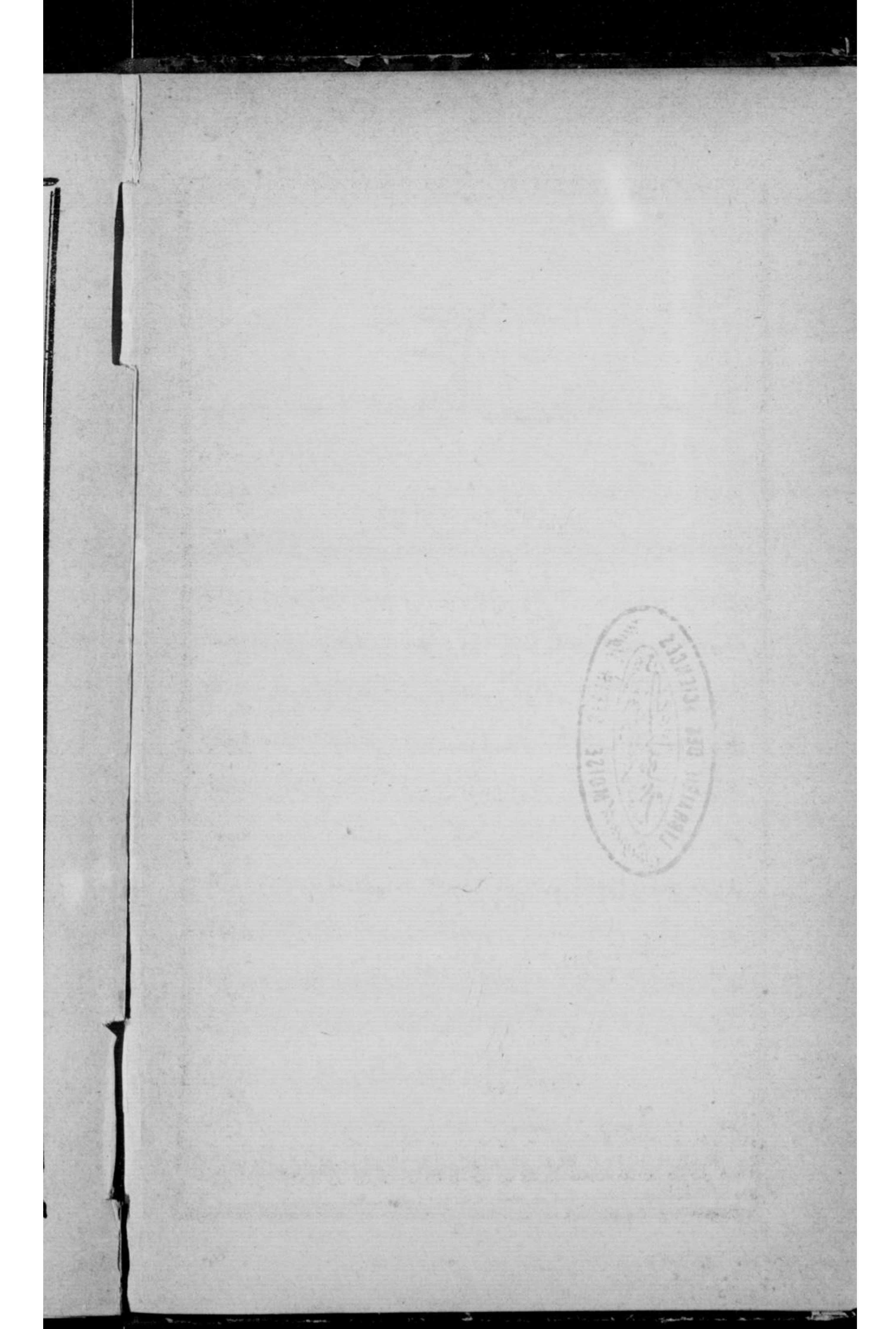
طبع

باذن الرؤساء

وبرخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

في المطبعة العمومية الكاثوليكية

في بيروت سنة ١٨٩١



في افتتاح الرياضة

قال السيد المسيح من اراد ان يبني برجًا فعليهِ ان يجلس اولا ويحسب النفقة هل عندهُ ما يكملهُ بهِ (لوقا ص ١٤) ان الانسان انما ابدع من العدم الى الوجود لكي يبني برج الكمال ليسكن الله فيهِ كقولهِ تعالى اليهِ نأتي وعنده نتخذ منزلاً (يوحنا ص ١٤) وهذا البرج يحتاج كثيرًا من مواد الفضائل لبنيانهِ فيلزم اولاً ان يكون اساسهُ راكزًا على صخرة الايمان الوطيد ومدعماً برجاءٍ ثابت ومتمماً بمحبةٍ حارَّة حقيقية لئلا تزعزعه رياح التجارب وعواصف النوائب . ثانيًا ان يكون مزدانًا بزهور فضائل نقية تفوح منها روائح ذكية كنردين التواضع وزنبق العفاف والطهارة الملائكية وان يكون منيرًا بزيت الاعمال الصالحة وبعيدًا من اقذار الذنوب التي تجعل هذا المسكن غير لايق بالله الخالق ولاعداد هذه المهمات جميعها يقتضي تعميق الفكرة ومعظم التروي والاهتمام وكل ذلك يصعب اتقانهُ بدون انفراد وتامل والتماس العون الالهي ولا سبيل لبلوغ هذا الامر الخطير الا الرياضة الواجب اتمامها بحسب نظامها الذي نوضحهُ بخطابنا هذا آملين ان تحسنوا الاصغاء الى ذلك لكي تجتنوا لذيذ ثمارها وقبل الشروع . . .

قال ارميا النبي يجلس منفردًا ويسكت (مراثي ص ٣) ان هذا النبي قد جمع كل ما يلزم المفروض بهاتين اللفظتين اي الانفراد .

والسكوت . لانهُ بعدم الانفراد يصادف عوايق كثيرة تصده عن اتمام مقاصده الصالحة وتمنعهُ عن الاهتمام بامر نفسهِ وعن البلوغ الى الغاية المطلوبة . ان ذلك الاعمى لما كان غير منفرد عن الناس فكانوا يمنعونهُ عن الصراخ الى يسوع وهكذا المتروض اذا بقي مترددًا بين اهل العالم ولا سيما اذا كانوا غير صالحين فانهم يمنعونهُ عن الاعمال المرضية لله فانتم تعلمون كم من الذين اعمتهم رذائلهم ويرغبون في ان يحضروا استماع كلام الله في الرياضات ويصرخوا الى يسوع لينير بصائرهم ولكن تمنعهم من ذلك تمليقات الاشرار . ان ازدحام الشعب منع ذكا الشعار عن الدنو من الرب يسوع فاضطر الى ان يصعد على شجرة ليرى مخلصهُ فعليكم ان تغادروا العالم مبتعدين عن ازدحام الناس وتصعدوا الى شجرة الحياة المغروسة في روضة الرياضة وهناك تشاهدون الرب وتجتنون ثمرة الخلاص . والسيد المسيح كان يترك الجموع وينفرد في الجبل يصلي فاترك انت كل شي واصعد جبل الاختلا وصلي بحرارة نفس . ولما ابرأ ذلك الاخرس الاصم اخذه الى ناحية وهناك ابرأه فان شئت ان تشفي نفسك الخرساء عن التكلم باعمال الله والصماء عن استماع صوتهِ الالهي فيجب ان تذهب بها الى ناحية الاختلا والانفراد . ومن عادة الطبيب الجرّاح ان يعالج الجريح معتزلاً عن الناس ونفسك ايها الخاطي مثخنة بالجراح من رشق سهام العدوّ الخبيث وانت طبيبها فاعتزل عن الناس وهناك داوها وضمد جراحها ببلسم التوبة الصادقة واغسل نتانة قروحها بعبرات الانسحاق السخينة .

وكما ان ثمر الزيتون لا يتم نضجهُ على الشجرة ما لم يجمع في زاوية وتحميه الحرارة هكذا الانسان متى انفصل عن ضوضاء العالم وانزوى في زاوية الاختلا حينئذٍ يتم فيهِ نضج الكمال ويظهر زيت الاعمال. ومن مالوف العادة انهُ اذا تعسر شفاء عليل فينتقل الى محل آخر جيد الهواء والماء. فالنفس المريضة يصعب شفاوها فيما بين العالم والمهمات الدنيوية فيلزم انتقالها الى محل اخر وهو مكان الاختلا الذي فيهِ يهبُّ نسيم الالهامات الالهية وتستنشق عرف الفضائل وتستقي من مياه النعم السماوية فيسهل ابراوها من اسقامها الروحية. وقد اعتاد عقلاء الناس ان يرحلوا عن بلاد زاد صرفها على دخلها وكثر اشرارها وقل اخيارها وجار حاكمها فهذا شان العالم فانهُ يطلب منك كثيرًا ويعطيك يسيرًا وقد امتلا من الاشرار ونزر فيهِ الابرار وجوره اوضح من ان يذكر فابتعد عنه كي تستطيع ان تنتصر عليهِ ان داود النبي لولم يكن بعيدًا عن جليات الجبار ويرميهِ بمقلاعه عن بعد لوقع بين يديهِ مغلوبًا صريعًا فانت ضعيف والعالم جبار قوي فارشقهُ بحجر الجفاوة وبمقلاع الهجران ولا تدنُ منهُ فيصرعك ولك في ذلك مثل الغزال فانهُ لا يأمن على حياتهِ الا في البرية واذا دخل المدن والقرى حيث ازدحام الناس فتحدق بهِ المخاطر من كل جانب فان نجا من الصيادين واشراكهم فلا ينجو من الكلاب. ألا تنظرون الطيور التي تصنع اعشاشها فيما بين البيوت كم يحدق بها من المخاطر فان سلمت من الاولاد الذين يخربون اوكارها ويكسرون بيضها ويسلبون افراخها فلا تسلم من اذى الهرَّة التي ترصدها في كل

حين لتصطادها وان اصابت حظًا ونجت من هذه جميعها فلا تفلت من ضرر الدخان الذي يشوه اعينها ويعميها ولكن اذا كانت في البراري بعيدة عن الناس فتكون بامان وانت تعلم ان جميع الذين بلغوا قمم الكمال قد اتخذوا الرياضة سلمًا توصلوا بها الى اسمى درجة من الفضائل فقد اختلى ايليا النبي اربعين يومًا على الجبل ومن هذا الاختلا صارت له القوة ان تطيع امره العناصر فانهُ منع المطر وانزل النار واكثر الزيت والدقيق وكانت الغربان تاتيهِ بطعامها كل يوم واقام ابن الارملة من الموت . فان اتقنت انفرادك في جبل الرياضة فتهطل عليك السماء مطر البركات وتطفي عنك نار التجارب وتفيض عليك زيت المراحم ويكثر لك دقيق النعم الالهية وتقيم نفسك من موت الخطية . وموسى النبي لم يحظ بمشاهدة الرب حينما كان في بيت ابنة فرعون مترددًا بين اهل العالم بل لما كان منفردًا في البرية وفي الجبل في البرية ناجاه الرب بما فيهِ خلاص بني اسرائيل من اسر فرعون . وعلى الجبل انزل عليهِ الوصايا الالهية . فابتعد بافكارك عن الدنيا وادخل برية الرياضة فتنقذ نفسك من اسر فرعون الجهنمي واصعد بعقلك جبل التامل لتؤتى القوة على حفظ ناموس الرب واتمام وصاياه المقدسة . وتذكر ان الشجرة المغروسة في جانب الطريق يصعب نضج اثمارها لان المارين يرمونها بالحجارة فتسقط ثمارها قبل نضجها واستنتج من ذلك انهُ لا يتم فيك نضج اثمار الفضائل وانت سائر في طريق العالم وضوضائهِ فتنحَّ عنهُ الى خلوة الرياضة واقطع حبل المواصلة

بينك وبينهُ وقل لا عليَّ ولا لي . ولا تكن نظير بني اسرائيل الذين
خرجوا من مصر بالجسد غير ان افكارهم واشواقهم استمرت مائلة الى
بصلها وثومها ولهذا حرموا من لذة المن السماوي ومن الدخول الى ارض
الميعاد انهُ عندما سمح فرعون لشعب الله ان يخرج الى البرية قال
لموسى فلتبقَ المواشي هنا آملاً انهم يرجعون الى اسره بسبب مواشيهم
واما موسى فقال كلاَّ لا يبقى تحت سلطنك ولا ظلف واحد من جميع
انعامنا ومواشينا (خروج ص ٢٠ ع ٢٦) هكذا اعداء الانسان يسمحون
لهُ احياناً بالدخول في الاعمال الروحية بحيث تبقى مواشي افكارهِ واشواقهُ
كما كانت وبهذا يمسي غير مستفيد لا من صلواتهِ ولا من رياضاتهِ بل
يسهل عليهِ ان يرجع الى اسر الخطية فكن ذا عزم شديد نظير موسى
وقل في ذاتك قد عزمت على خدمة الله فلا ابقي شيئاً من الافكار
ومهمات الدنيا يعوقني عن اتمام مقاصدي الجيدة لكي تحظى بلذة المن
الحقيقي وتستحق الدخول الى ارض الميعاد السماوية

ولا يكفي المتروض ان ينفرد فقط بل يلزمهُ ان ينفرد ويسكت
كما قال النبي المتقدم ذكره لانهُ كما ان الانفراد هو ضروري كذلك
السكوت وضبط الحواس هو لازم ايضاً ولا ترجُ ان الله يفيض على
نفسك من زيت مراحمهِ السماوية وابواب حواسك مفتوحة فيما انه لم
يفض الزيت لتلك الارملة الاَّ عندما دخلت بيتها واغلقت ابوابهُ مع
ان مرشدها كان اليشاع النبي فادخل بيت نفسك واغلق ابواب
حواسك فلا تدع عينك مفتوحة للمناظر الخطرة والتفرس في الوجوه

الطلقة والزينات الخالية من اثار الآداب ومن رائحة الحشمة واغلق
باب فمك عن التكلم بما لا يليق بمسيحي نظيرك وسد اذنيك عن استماع
الاقاويل الباطلة التي تبلبل افكارك وتكدر صفاء ضميرك وافتح حواسك
لاستماع كلمة الحياة واستيعاب قطر الندَى السماوي واتخذ لك نموذج
الصدفة التي تفتح فمها ليلاً لاستلقاء الندى وتغلقهُ نهارًا عند انقطاعه لئلا
يدخل في جوفها من ماء البحر المالح فيفسد الندي الذي يتكوَّن منهُ
الدر الثمين فان صنعت هكذا وفتحت حواسك لاستقاء ندى النعم
الالهية ومنعت دخول مياه العالم المرة الى نفسك فيتكوَّن في قلبك
در العبادة الثمين. ولا يخفى عليك ان اناء الطيب تزول رائحة ما فيهِ
اذا استمر فمه مفتوحًا فاحرص على رائحة طيب فضائلك ولا تدع فمك
مفتوحًا للكلام الذي لا يفيدك للخلاص بل اغلقهُ ولا سيما في وقت
الرياضة. والفرن المحمى اذا فتح بابهُ تتبدد حرارتهُ ويبرد هكذا تزول
حرارة العبادة من النفس متى كانت الحواس مفتوحة. ان حوَّاء لو لم
تفتح حواسها وتصغي الى كلام الحية وتنظر تلك الثمرة لما اشتهتها ولو لم
تتردد في الحديث مع ذاك الطاغوت الجهنمي لما سقطت. فيا ايها
المتروض اصغِ لقول الرب القائل ادخل مخدعك واغلق بابك عليك
وقل مع صموئيل النبي تكلم يارب فان عبدك سامع (ملوك ١ ص٣)
وردد كلام النبي داود القائل اقم يارب حارسًا لفمي وحافظًا لشفتي لئلا
يميل قلبي الى كلام الشرير وثق متيقنًا ان خلاصك موقوف على اتقانك
رياضاتك التي بها تطلع على ما يعوذك للفوز بالنجاة من الهلاك

الابدي · فيها تطلع على عدم صحة اعترافاتك الماضية وعلى ما في ذمتك مما لا يحل لك وعلى ما في قلبك من تاثيرات البغض والحقد وعلى ما في نفسك من العوائد الذميمة فيها يظهر لك ما انت عليهِ من الكسل والفتور في عباداتك وصلواتك واتقان واجباتك نحو الله ونحو نفسك ونحو قريبك. في الرياضة يطلعك الله على غوامض اسراره وسمو اعمالهِ تقدموا اليهِ واستنيروا يقول النبي (مز ٣٣) فيها تعرف الله وبمعرفتك اياه تحبهُ وبمحبتك له تخدمهُ وبخدمتك اياه تستحق الحياة الابدية · كما قال (يوحنا ص ١٧) هذه هي حياة الابد ان يعرفوك انك انت الاله الحق وحدك ·فيها تعرف ارادة الله التي هي قداستك · فيها تجد السيد المسيح مستعدًا ان يغنيك من نعمهِ الالهية هنا اطلبهُ تجده فلا تطلبهُ حيث لا يكون فانهُ تعالى ليس بطواف في الشوارع والاسواق التي هي حانوت الخصومات والفتن لكونهِ ذات الصلح والسلامة · في الاسواق الظلم والنفاق وهو تعالى نفس العدل والبر · فيها البطالة وهو المجاهد العمال · فيها الثلب والغيبة وهو ذات المحبة · فيها الغش والخيانة وهو الامين الصادق · الاوثان في الاسواق واما المسيح ففي الكنيسة فاطلبهُ حيث يوجد اي في الرياضة والاختلا · والرياضة الحقيقية المراد بها التامل بالحقايق الدينية والسلوك بموجبها قد شبهت بسفينة نوح النبي خلص من كان فيها وهلك من كان خارجًا عنها ولكن بهذا الفرق وهو ان من كان في تلك السفينة خرج منها مثلما دخل اليها فالذئب دخل ذئبًا وخرج ذئبًا والباشق دخل باشقًا وخرج كذلك والثعلب

دخل وخرج ثعلبًا والحية دخلت حية وخرجت حية واما في الرياضة فكثيرًا ما نرى ان الاحوال تبدلت عمَّا كانت لانكم تشاهدون ذاك الذي دخل الرياضة وكان كانهُ ذئب خاطف بتعديه وسلبه خرج منها بارًا يقول مع زكا العشار ان كنت غبنت احدًا بشيءٍ فاردهُ لهُ مضاعفًا والذي كان حقودًا يخرج غافرًا ومستغفرًا والذي كان دنسًا يخرج عفيفًا ومن كان فاترًا يصير حارًا في العبادة وتلك التي كانت كالافعى على الطريق تخرج من الرياضة كالحمامة الوديعة لا تنهش بمنقادها وليس في قلبها مرارة. والتي كانت تتزين متباهية بحلاها وملبوسها كالطاوس المنتفخ بريشه تخرج كالنعجة ومتذللة نظير تلك المجدلية متردية بثوب الحشمة والعفاف · نمثل هولاء يصدق بهم انهم مهتمون ببناء برج الكمال المسيحي ويحل الرب بهم ويستحقون ان يفيض عليهم وافر بركاته السماوية. والارضية التي نرجوها لجميعكم بشفاعة مريم البتول وجميع القديسين امين

في الوصايا بالعموم

قال السيد المسيح في (ص ١٩) من بشارة متى · ان شئت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ان الحياة جسدية كانت ا و روحية متعلقة بحفظ الوصايا لا نهُ مستحيل ان الباري تعالى يخلق الانسان ولا

يربطهُ بشرائع ونواميس ووصايا يلزمهُ مراعاتها والسلوك بموجبها اذ
بدونها يفقد الانسان الحياتين الجسدية والروحية بلا بد لانهُ ما الذي
يردّ القوي عن الضعيف ويصدّ الظلوم عن المظلوم الاَّ الناموس
وما الذي يمنعهُ عن مضرة قريبهِ بالقتل والسرقة والخطف والتهم
الكاذبة وهتر عرضهِ ومخادعته واهانته بالشتائم وتعديه على حقوقهِ لولا
وجود سنة تنهى عن ضرره باي نوع كان تتوعد مخالفيها بالعقاب وتعد
حافظيها بالثواب · فلولا وجود سنة تنهى عن التعدي على الحياة الانسانية
لكنا نرى في كل يوم وفي كل مكان الوفا من القتلى مهدوري الدما
وما من رادع ولو لم يوجد شريعة تنهى عن السرقة والخطف لكنتم
تشاهدون بيوت الصالحين مغاير اللصوص · واماكن المصول عليهم
مدافن لاربابها من جورهم ومامن مطالب يعاقب الجائر على جوره·
واذا كان ذلك فما الذي يحمل التاجر على تحمل مشاق التجارة مع علمهِ
ان ما يحرزه يكون غنيمة للخاطفين وما الذي يحمل الفلاح على الكد
والجد اذا عرف ان ما يجمعهُ بعرق جبينهِ يكون ماكلاً للناهبين ·
وكيف يتعب الصانع بتحسين مصنوعاتهِ اذا دري ان تعبهُ يصير نهباً
للجائرين ولو لم يوجد ناموس يحرم ارتكاب الفحشاء لامتلاء العالم من
الشرور ولكان بجيل واحد باد الجنس البشري جميعهُ اذ يقتل الواحد
الاخر غيرةً على عرض اهلهِ ولم يبقَ من يعتني بتربية النسل والملاحظة
عليهِ وبهذا وذاك سبب كاف لابادة العالم · ولو لم ينهَ الناموس عن
شهادة الزور لدفن الحق في مدفن الكذب وبجي بكفن الخداع والغش

وبطلت المعاملات وببطلانها يبطل سبب المعيشة فاتضح مما تقدم ان النواميس مستلزمة ضرورةً للحياة الجسدية وبالاولى للحياة الروحية لان الحياة الابدية هي ثواب عن عمل ارادته تعالى وارادته تكمل بحفظ الوصايا والنواميس المسنونة منه للغايتين المذكورتين وهذه النواميس طبيعية وموسوية وانجيلية وبشرية وعلى هذه الاقسام نبني الخطاب وقبل الشروع...

القسم الاول

ان المراد بالشريعة الطبيعية هو النور الالهي المغروس في الخليقة الناطقة منذ فطرتها ليرشدها الى فعل ما هو ضروري لحياة صالحة تليق بها وينهيها عن كل ما يضر بها ويبلبل نظامها وهذا يشعر بهِ كل منا بنفسهِ اذ انهُ يميز الجيد من الردي والخير من الشر والفضيلة من الرذيلة والعدل من الظلم كما قال القديس توما اللاهوتي ونرى الانسان من ذات طبعهِ يحب الخير ويميل اليهِ ويبغض الشر ويود ان لا يكون وهذا ما هو الا نتيجة وجود شريعة مفطورة في طبعهِ وما من منكر لهذا لانك تميل الى انسان فاضل وتركن اليه وتأمنهُ على على اعمالك. وتتحاشى من كان شريرًا وتنفر منهُ ولو لم يصل اليك منهُ ضرر وعليهِ تطبقّ هذا المبدا ان الخير يحب والشر يبغض . ونعلم بان

الخالق قد سنَّ لكل مخلوق ناموساً يسير بهِ فالافلاك والكواكب شريعة طبيعية تساس بها لبقائها · وللارياح والسحب ناموس يضبطها · وللبحار سنة توقفها لئلا تتجاوز حدودها · وللارض وما عليها نظام طبيعي تسلك بهِ ولكل نوع من الحيوانات الغير الناطقة ناموس لا يتعداه · فالذئب مثلاً لا يخطف ذئباً والباشق لا يقتنص باشقاً والارقم لا يلسع ارقماً · والسمكة لا تزدرد سمكة من نوعها وكل ذلك لازم لحفظ الكون ولبقاء كل فرد من افراده فبالاولى ان يكون الله قد سن ناموساً للطبيعة البشرية تلتزم بمراعاتهِ وان خالفت هذا الناموس فتستوجب العقاب من واضع الناموس · يثبت ذلك ايضاً من قول الرسول والامم الذين ليس عندهم الناموس · · فهم ناموس لانفسهم ويظهرون عمل الناموس المكتوب في قلوبهم وضميرهم شاهد وافكارهم تشكو او تحتج فيما بينها (رومية ص ٢ ع ١٤ و ١٥) هذا هو النظام الاول الذي بهِ كان الله يسوس المملكة البشرية على الارض من ادم الى موسى مدة الفين سنة وبموجبهِ سار الاباء والانبياء المقربون اليهِ تعالى. فباي ناموس شجب قاين قاتل اخيهِ هابيل واستحق العقاب الزمني والابدي الا بهذا الناموس الطبيعي لانهُ لم يكن بعد ناموس مكتتب ينهى عن القتل ويوجب القصاص. وباية شريعة قدم هابيل قرباناً لله من ابكار غنمهِ وقبل قربانه الا بالشريعة الطبيعية الراسمة على الانسان ان يقدم لله ذبيحة الشكر على احساناتهِ ووفور نعمهِ مقراً بسلطة الخالق ووجوب خضوع الخليفة لهُ تعالى . وباي الاسباب عوقب الناس ايام نوح

بذاك الطوفان العرمرم الاَّ بمخالفتهم السنة الطبيعية . وما الذي نجى نوحًا وعايلتهُ من العقاب الهائل الاَّ لانهُ كان بارًا سائرًا مع الله بحسب الناموس الطبيعي . وسكان سادوم وعاموره لم تنزل بهم النقمة الالهية فاحرقتهم النار الاَّ لانهم تعدوا نظام الطبيعة المغروس فيهم . ولم تات تلك الضربات الشديدة على فرعون وعبيده الا لخرقهم هذه الشريعة . وما الذي قرَّب ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف من الله وجعلهم محبوبين منهُ تعالى ومثابين خيرًا الاَّ لانهم ساروا بموجب الناموس الطبيعي وانذار العقل المستقيم المعلن لهم ان الخير يُحب والشر يُرذل وبهذا كان ايمانهم بالله حيًا ورجاؤهم بهِ وطيدًا وحبهم حارًا لهُ . وقد فعلوا اعمالاً مبرورة تذكر فتشكر مثل اضافة الغرباء واعانة المساكين وانقاذ المتضيقين والصفح للاعداء واحتمال النوائب بجميل الصبر والابتعاد عن ارتكاب الفواحش والهرب من كل ما يشين البرارة ويكدر نضارة الطهارة . فاسألوا يوسف بن يعقوب باي كتاب قرأ ان مطاوعة العواهر امر تهتز منهُ الفرائص الاَّ كتاب الناموس الطبيعي ولهذا قد فر هاربًا من تلك التي كانت تراوده على الفعل المنكر ومن جرا ذلك احتمل الحبس والاهانات ... وباية سنة راى ان الصفح لاعدائهِ الذين ابغضوه وباعوه هو امر واجب الاَّ بسنة الضمير الموضحة لهُ ان ما تريد ان تفعلهُ الناس بك افعلهُ انت بغيرك وعليهِ قد صفح لاخوتهِ الذين كانوا قد اهانوه وارادوا قتله حسدًا وليس فقط غفرلهم بل عاملهم احسن معاملة . فليخجل المسيحيون الذين لهم نواميس مكتتبة ترشدهم الى عمل

الصلاح وتنهاهم عن ارتكاب الخطايا والآثام ومع ذلك يصمون اذانهم عن استماع ما تامرهم بهِ وتنهيهم عنهُ كانهُ لا ناموس عليهم يطالبهم الله بمخالفتهِ مطالبة شديدة

القسم الثاني

انهُ لثابت بالوحي ان الله انزل وصاياه العشر على موسى في جبل سينا الوصايا المتضمنة عامة الواجبات المفروضة على الانسان من قبل الناموس الطبيعي الحاوية كل ما يجب لخالقهِ ولقريبهِ . وسبب انزال هذه الوصايا هو تجديد ما كان قد تناسى منها وتبرقع بفساد السيرة وسوء العوائد . ونوع تجديدها تراه مسطراً في (ص ١٩ وص ٢٠) من سفر الخروج حيث امر الله الشعب ان يكونوا انقياء عند قبولها متأهبين بالتضرع والاحترام وذلك لانها وصايا كلية الاهمية واجبة لسياسة الجنس البشري في هذه الحياة وضرورية لبلوغه الى الحياة الدائمة . وصايا سطرها الرب باصبعهِ المقدسة وسلمها الى موسى بين اصوات الرعود ولميع البروق وهتاف بوق شديد حال كون جبلُ سينا يدخن كلهُ مرتجفاً لان الرب هبط عليهِ بالنار وما ذلك الا تنبيهاً للشعب ليقبل شريعة الله هذه بالهيبة والخوف ويستعد لحفظها لئلا تحل بهِ رعود النقمة الالهية وياتيه لميع برق سخطه ويسمع هتاف بوق عدله

الرهيب وتحرقهُ تلك النار الشديد سعيرها المتصاعد دخانها المتكاثف
ولما سن الله للانسان الشريعة الطبيعية منذ فطرتهُ كان الانسان
نقيًا بريئًا من كل اثم هكذا وجب ان يكون الشعب عند قبولهِ هذه
الشريعة طاهرًا بريئًا من كل خطء ودنس ولهذا امرهم الرب ان
يغسلوا ثيابهم وان لا يقربوا نساهم من قبل ثلاثة ايام دليلاً على ما
لهذه الوصايا من الاعتبار والاهمية وعلى ما بها من البركات لحافظيها
واللعنات لمخالفيها كما يتضح ذلك من (ص ٢٨) من تثنية الاشتراع. حيث
يقول اذا اطعت امر الرب الهك حافظًا جميع وصاياه يجعلك فوق
جميع امم الارض وتحل عليك جميع هذه البركات فتبارك في المدينة
وتبارك في الصحراء و يبارك ثمر بطنك وثمر ارضك وثمر بهائمك نتاج
بقرك وقطعان غنمك و يبارك سلّك ومعجنك وتبارك انت في دخولك
وخروجك ويجعل الرب اعداءك ساقطين امامك يخرجون عليك
من طريق واحدة ويهربون من وجهك من سبع طرق و يامر لك
الرب بالبركة في اهرائك وفي جميع ما تمتد اليهِ يدك. ويفتح الرب لك
السماء كنز خيره فيوفي ارضك مطرها في اوانهِ ويجعلك الرب رأسًا
لا ذنبًا . وان لم تطع كلام الرب الهك حافظًا وصاياه ورسومهُ تأتي
عليك جميع هذه اللعنات وتدركك فتكون ملعونًا في المدينة وملعونًا
في الصحراء ... ويضربك الرب بالوباء والسلّ والحمى والالتهاب
والجفاف وتكون السماء فوق راسك نحاسًا والارض التي تحتك حديدًا
ويجعل الرب مطر ارضك ترابًا وغبارًا من السماء . يضربك الرب

بقروح مصر والبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع مداواتها . تبني
بيتاً ولا تسكن فيهِ تغرس كروماً وتفلحها وخمراً لا تشرب ولا توعى بل
ياكلها الدود ويكون لك زيتون في جميع تخمك وبزيت لا تدهن بل
ينثر زيتونك نثراً تخرج بزراً كثيراً الى الحقل وقليلاً تجمع اذ يقضمهُ الجراد
هذا وان الله هو امس واليوم والى الابد يحب الفضيلة ويثيب فاعليها
بوافر بركاتهِ ويبغض الرذيلة ويعاقب مرتكبيها بصواعق ضرباتهِ . فمن
لي بان انبه افكار الراقدين في حضن الغفلة واستلفتهم ليروا ما في
ايامنا من الضربات الهائلة الدالة على سخط الله من افعالنا فمن لا يرى
الوباء والسل والحميات والنزلات المستوبئة التي كادت تعم الجميع
أفليست هذه قصاصاً من الله على مخالفة النواميس والشرائع الام
ينسبون معاودة الهواء الاصفر الى جوارنا في كل عام والى اي شيءٍ يعزون
الغلا وتقهقر الاحوال ووقوف دولاب الاعمال اليس ذلك عقاباً عن
جرائم كثيرة وآثام فظيعة واذا كان الرب نجانا من بعضها فيما كانت
محدقة بنا من كل جانب فما ذلك الا رحمة منهُ تعالى وتنبيهاً لنا
لنتمسك بعرى الفضيلة ومراعاة الوصايا فاسألوا يشوع بن نون باية
قوة شق الاردن لما خضعت لامره تلك المياه ووقفت عن جريها
فاجتازهو وجنوده باقدام غير مبتلة وباية قوة اسقط اسوار اريحا الحصينة
وفتك بذاك الشعب المحاصر القوي الكثير فتكاً ذريعاً وباية واسطة
اوقف الشمس عن مسيرها فيجيبكم انهُ لم يكن لهُ قوة غير القوة التي
اتخذها من طاعته لله بحفظ اوامره تعالى . ومن اين ليهوديت الضعيفة

ان تفتك بقائد جيش جرار شديد الباس وتقطع راسه بسيفه ذاته الا
من كونها كانت تتقي الرب وتصوم جميع ايام حياتها لابسة المسح خايفة
من الله حافظة جميع وصاياه حتى لم يكن احد يقول عليها كلمة سوء كما
يخبرنا عنها الكتاب المقدس (يهوديت ص ٧) ومن اين المقدرة
لراعي غنم صغير اعني به داود ان يقتل جبارًا باسلاً هو جليات بمقلاع
الا لانه كان يخاف الله ويحفظ الناموس الالهي وما الذي جعله ان
ينتصر على جميع اعدائه ويكون ملكاً على اسرائيل الالان قلبهُ كان نقياً
مثل قلب الرب . وكان في جميع اعماله يمجد خالقه ويحب صانعه من
كل قلبه بدليل ما قال عنه ابن سيراخ في (ص ٤٧) لانه دعا الرب
العلي فاعطى يمينه قوة ليقتل رجلاً شديد القتال ويعلي قرن شعبه فاعطاه
الرب مجد قاتل ربوات ومدحه ببركاته اذ نقل اليه تاج المجد . واسألوا
ايليا من اين كانت له تلك القوة التي بها اغلق السماء عن المطر وانزل
النار ثلاث مرات واقام ابن الارملة من الموت الا من غيرته على ناموس
الله ولم يخف سخط اخاب الملك بل وبخه على تعديه الناموس بقوله
انك اقلقت اسرائيل انت وبيت ابيك بترككم وصايا الرب (ملوك ٣ ص ١٨)

وما ارهب العقاب الذي انزله الرب بيار بعام لانه تعدى وصيته
تعالى الاولى واذ ترك خالقه وصنع لهُ عجلين من ذهب ولما صعد على
المذبح ليقرب لهما الذبائح انشق المذبح وذري الرماد الذي كان عليه
ويبست يده حالاً وقال الرب انني جالب على بيت ياربعام الشر
وقارض له كل بائل بحائط ومن مات ليار بعام في المدينة تاكله

الكلاب ومن مات في الصحراء تاكله طير السماء (ملوك ٢ص ١٢)
ولم يزل الرب يضرب الشعب انتقاماً من مخالفة ياربعام زمناً طويلاً .
وان سالتم عن قصاص ابيشالوم المربع لماذا تعلق من شعر راسه ومات
مطعوناً باشد الحراب فتجدوه استحق ذلك لمخالفته وصية الرب الآمرة
باكرام الوالدين ولقتله اخاه حمنون ضد وصيته تعالى ايضاً . وما اكثر
الضربات التي كانت تلم بشعب اسرائيل عند خرقهم سنن الباري
تعالى فكان ينقض عليهم سخط الله انقضاض الصواعق حالاً فالحيات
كانت تبيد الالوف منهم والوباء يستاصل منهم جماً غفيراً والبرص
يفتك بالكثيرين والجوع كان يجيش عليهم جيوشه فيكاد يفنيهم والسبي
كان يشتتهم عن اوطانهم ويضطر من نجا من الموت ان يعيش اسيراً ذليلاً . . .
فبهذه الشريعة الموسوية ساس الله الناس نحو الفين سنة مثيباً حافظيها
ومعاقباً مخالفيها الى ان اتى ابن الله متجسداً فجددها واضاف اليها مشوراته
الانجيلية مكملاً اياها بمنحه النعمة والقوة لاتمامها كقوله ما جئت لاحلّ
الناموس بل لاكمله (متى ص ١٥)

القسم الثالث

ان الشريعة الموسوية كانت طقسية وقضائية وادبية . فالطقسية
مثل تقدمة الذبائح والمحرقات والامتناع عن مس الميتة وعن اكل

لحم بعض الحيوانات وما اشبه فهذه قد ابطلها السيد المسيح وعوض عنها
بما هو اكمل منها كذبيحة القداس الالهي وسائر الاسرار المقدسة وبما
رسمتهُ الكنيسة من الاصوام والتقشفات وباقي الافعال التقوية والقضائية
مثل رجم اللاعن والمجدف وقتل من صنع فاحشة والسن بالسن والعين
بالعين فقد كانت هذه الشريعة شريعة العدل فاستبدلها بشريعة
الرحمة اي بالتوبة الصادقة والكفارة الواجبة . واما الادبية المتضمنة
جميع الشرائع الطبيعية المتوقف خلاص الانسان على حفظها وهلاكه
على مخالفتها فهذه لم يبطلها السيد المسيح ولا استبدلها بل اكملها واوضحها
وشدد الالزام بحفظها وشرح ما كان غامضاً منها ووضع لها سياجاً يقيها
لانهُ تعالى متى نهى عن فعل ينهى ايضاً عن كل ما يكون سبباً لفعله
كما صنع مع ابينا آدم وحواء في ذلك الفردوس حينما اوصاهما بان
لا ياكلا من شجرة المعرفة فانهُ امرهما بان لا يقتربا منها بدليل كلام حواء
للحية بقولها ان الله امرنا ان لا نقربها (تكوين ص ٣) وكذلك لما امر
الله بني اسرائيل ان لا يسجدوا للمنحوتات امرهم ان لا يضعوا منها شيئاً
في بيوتهم . واذ اوصاهم ان لا يستعملوا في الفصح خبزاً من خمير امرهم
ان لا يحفظوا عندهم خميراً ابداً ايام الفصح وحينما اوصاهم ان لا يصعدوا
جبل سينا امرهم ان لا يقربوه ايضاً ولما نهاهم عن الطبخ يوم السبت
نهاهم ايضاً عن اتقاد النار في هذا اليوم وحين حرم على النذير شرب
الخمر حرَّم عليهِ ايضاً اكل العنب والزبيب لئلا ينجذب من حلاوتهما الى
ذوق الخمر هكذا صنع سيدنا يسوع المسيح في السنَّة الانجيلية فانهُ نهانا عن

كل ما من شانه ان يفضي بنا الى مخالفة الشريعة القديمة الادبية فاليهود كانوا يحرمون القتل فقط واما المسيح فقد حرم بوصنيهِ لا تقتل الغضب ايضًا والكلام المرّ والتعيير وما يجري مجراها من مقدمات القتل التي تسوق اليهِ على خط مستقيم وذلك بقولهِ قد سمعتم انه قيل للاولين لا تقتل لان الذي يقتل يستوجب الدينونة واما انا فاقول لكم ان الذي يغضب على اخيه باطلاً قد وجبت عليهِ الدينونة اي الحكم بالموت. ومن قال لاخيهِ راقا اي قذر رذيل مهمل وجبت عليهِ ايَّة الجماعة اي العقاب الواجب على المجرم. ومن قال يا احمق وجبت عليهِ نار جهنم ها هوذا المسيح رفع القتل برفعهِ سببهُ وهو كلام التعيير والشتم ومثلهُ حرم الله قديمًا الحلف بقوله لا تحنث بيمينك فالكتبة والفريسيون كانوا يزعمون ان لا حلف تجب محايدته الا الحلف بالله وما كان بالخلايق فليس بحلف واما المسيح فيعلم ضدهم بما ان الحلف بالخلايق هو حلف بالله لانهُ من الخلايق يعرف الخالق ولهذا قال لا تحلفوا البتة لا بالسماء لانها كرسي الله ولا بالارض فانها موطىء قدميه ولا باورشليم لانها مدينة الملك العظيم ولا تحلف براسك لانك لا تقدر ان تصنع شعرة بيضاء او سوداء لان من تعود الحلف بالخلائق توصل الى الحلف الكاذب بالخالق فالمسيح شدد هذه الوصية ومنع الحلف مطلقًا الّا اذا دعت الضرورة وكان الحلف صادقًا . وقال قد سمعتم ايضًا أنه قيل للاولين لا تزنِ وانا اقول لكم ان كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ وما قاله عن النظر يطلق ايضًا

على السمع والفكر وباقي الوسائل التي تقود الى الزنى وانما اخص النظر بالذكر لانه اصل الاشتهاء وباب الفحشاء لكون الموت يصعد من طاقاتنا كما قال النبي ارميا (ص ٩ ع ٢١) وقال ايوب قد عاهدت عينيّ ان لا اتأمل في عذراء (ص ٣١) فالسيد له المجد قد حرم النظر سدًّا لباب الفحشاء وحسماً للاسباب وما ذلك الا تسهيلاً لحفظ هذه الوصية. واما الشريعة البشرية فهي ما سنها ولاة الامور وارباب السلطة الروحية والمدنية صونًا لنفس الشريعة الطبيعية والالهيــة وتوجب الالزام بمراعاتها وهذا الالزام مبني على وجوب الطاعة للرؤســاء والمتسلطين والخضوع لاوامرهم كقول الرسول لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لاسلطان الا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على انفسهم (رومية ص ١٣) والخلاصة ان قصد الله في وضع الشرايع جميعها والامر بها هو راحة المملكة الانسانية وصيانة الهيئة الاجتماعية من الشتات لتحيا بالراحة والسلامة في هذه الحياة وتبلغ اخيرًا الحياة الابدية عملاً بقوله تعالى ان شئت ان تدخل الحياة احفظ الوصايا فلنعطي ذلك بشفاعة سيدة العالمين وجميع القديسين

الوصية الاولى

انا هو الرب الهك لا يكن لك اله غيري (خروج ص ٢)

انه لقد اثبتنا في العظة السابقة وجوب فرض شرائع و وصايا يلتزم الناس بحفظها واوضحنا الثواب المعد لحافظيها والعقاب المذخر لمخالفيها وان ثبات الكون وقيامه مقصوران على مراعاة ما فرض من الوصايا وان خرابه ودثاره موقوفان على خرقها . والان نقول انهُ لما كان اخص الوصايا الالهية هي الكلمات العشر التي كتبها الرب باصبعه المقدسة وسلمها الى موسى كليمه وجب علينا ان نتكلم عنها واحدة فواحدة ايضاحاً لما تتضمنه كلٌّ منها وحثاً على السلوك بما تامر بهِ وتوجبه وردعاً عما تنهى عنه وتسلبه راجين ان ننال وافر بركاته تعالى وننجو من شديد عقابه الهائل فنبتدي الان بايضاح الوصية الاولى التي تلزمنا ان نومن به تعالى ايماناً تحييه اعمالنا المبرورة واثقين بصدق مواعيده مرتعدين من صعقات وعيده . ومنجذبين الى محبته القدوسة من وفور كمالاته وجزيل احساناته الينا قاسمين ذلك ثلاثة اقسام متضمنة في هذه الوصية اي الايمان بوجود الله و بما اوحاه واعلنه الى امنا الكنيسة المقدسة والرجاء الثابت بمواعيده الصادقة والمحبة الحقيقية لذاته السامية فنومل ان تحسنوا الاصغاء على حميد عادتكم ملتجئين الى اب الانوار مستشفعين مريم البتول بالسلام الملائكي . . .

انه لا ريب بوجود الخالق الذي نستدل عليه بالعقل ونور الطبيعة ونتوصل الى معرفته من خلائقه كما قال الرسول ان خفيات الله اي صفاته الخفية عنا قد استبانت بالتامل في هذه الموجودات (رومية ص ١) فالصفات الغير المنظورة بعين الجسد قد صارت منظورة بعين الروح من خلايقه المنظورة لان العالم هو كتاب اللاهوت الذي قرأه الفلاسفة فكان لهم انجيلاً ومرآة بها ظهر الله فنظروا صورته الجميلة . العالم هو بوق يهتف بصوت ترتيبهِ العجيب ونظامه الثابت ويثني على الله تعالى الذي نظمه ومن هذا النظام قد حكم الفلاسفة واقروا بوجود علة اولى رتبت هذه المعلولات وان لم يستطيعوا ادراك هذه العلة . ومثلهم مثل من يقف على ساحل البحر فانهُ يعاينه ويشاهد طوله واتساعه لكنه لا يدرك غور عمقه وقاع لجته . او مثل من يتفرس بالشمس رابعة النهار فانه يراها ولا يمكنه ان يرتاب بوجودها غير انه يعجز عن ادراك كبرها بعينه الحسية التي تنبهر من ساطع اشعتها . هكذا يلزم ان نومن مصدقين ونقر معتقدين بوجود الخالق ولو لم ندرك كنهه ولنعرف الصانع من مصنوعاته . قال المعلم ترتوليانوس ان معرفة الله طبيعية في النفس على ان كل ماتحس به في داخلها وكل ما تراه خارجاً عنها ينبئها بذلك كقول النبي داود السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديه (مزمور ١٨) وقد صنع في الشمس مسكنه بما انها عرش جلاله فالارض وكل ما عليها والسماء وجميع ما فيها يكلمنا بلسان حاله انه صنعة يد الله القدير ويلزمنا ان نومن به

فالايمان هو نور من الله يرينا ما يجب ان نومن به · وهو فايق الطبيعة اولاً من مبدائهِ لانه هبةٌ من الله لا يتحصل بقوى الطبيعة كالدرس والمطالعة لان عقل الانسان ضعيف قاصرٌ جداً عن ادراكه بدون نور سماوي يفاض عليه من الله اب الانوار · فاحد الفلاسفة القدماء صرف اربعين سنة في درس ما يخص طبع النحل واشغاله · واما نور الايمان فيملأ عقلنا بدقيقة واحدة من معارف عديدة سامية عجز عن ادراكها احذق العلماء الخالين من الايمان · ثانياً ان الايمان هو فايق الطبيعة نظراً الى موضوعه لان الحقايق التي يعلمنا اياها هي فوق فهمنا وادراكنا الطبيعي لكنها لا تضاد العقل النطقي بل تفوقه بنوع غير محدود · فهو يعلمنا انه يوجد اله موحد الذات مثلث الاقانيم كامل بذاته منفرد بصفاته مثيب الابرار ومعاقب الاشرار · ثالثاً نظراً الى سببه لان علة ايماننا هي صدق الله بما اوحاه لنا لانه هو الحق بالذات المكنون به كنز الحكمة والمعرفة ومن المستحيل ان يعرف شيئاً بخلاف ما هو كما انه من الممتنع ان يغش ويوحي امراً بخلاف علمه به · ان حواسنا تغشنا احياناً كما يحدث عندما نرى في الماء عوداً معوجاً فيما انه بذاته لا يكون كذلك ونشاهد الشمس في مركزها كانها طبق صغير مع انها تفوق الارض كبراً ميئات من المرار · واما الايمان فلا يمكن ان يغشنا مطلقاً ولهذا حينما قيل للقديس لويس ملك فرنسا ان يحضر ليرى الطفل الذي ظهر في القربان المقدس باعجوبة فايقة في ايامهِ اجاب قائلاً فليذهب من كان في ريب واما انا فانني متحقق

وجوده بايماني اكثر مما اراه بعيني لان عيني تغلط وايماني لا يغلط ..

فالايمان اذاً يوجب علينا ان نقر بان فارض السنة هو الخالق الذي اوجدنا بقدرتهِ من العدم وحافظنا في حيز الوجود وانهُ هو الذي قال انا هو الرب الهك لا يكن لك اله غيري ولهذا فجدير بنا ان نقول مع النبي داود هو الرب الهنا ونحن شعبه وغنم رعيتهِ (مزمور ٩٤) والايمان ينبهنا تنبيهاً شديداً نحن المومنين لنزيد تأهباً لحفظ النواميس ورعاية الشرايع المسنونة من الله الخالق القدير وللابتعاد عن المآثم. الايمان يقضي علينا بان نخلص التعبد لهُ تعالى ولا نعبد الهة اخرى غير الله . الايمان ينهانا عن ان نصنع ما كان يصنعهُ العبرانيون حينما يوبخهم ايليا النبي بقولهِ لهم لماذا تعرجون على الجنبين فان كان الرب هو الاله فاعبدوه (ملوك ٢ ص ١٨ ع ٢١) وإن كان باعال هو الاله فاسجدوا لهُ . وما كان يفعلهُ اهل السامرة الذين كانوا يعبدون اله اسرائيل وآلهة الامم معاً (ملوك ٤ ص ١٧ ع ٣٧) وما يفعلهُ الان كثير من المسيحيين الذين يقرون بانهم يعبدون الله الحق حال كونهم متعبدين لاميالهم المنحرفة ولشهواتهم المختلفة . فاين انت يا ايليا الغيور تعال وبخ ذاك الذي يومن بالله وبشديد سخطهِ على من يرتكب الفحشاء وهو مستعبد للزهرة اي لشهواتهِ المقوقة وقل لهُ لماذا تعرج على الجنبين. وبخ هذا الذي يصلي ويشتم الدين ويحنث بيمينهِ ويجدف على الخالق وانبيائهِ . وبخ ذاك الذي يظهر الخشوع والعبادة في الكنائس وتراه في الخمارة ساجداً لبخوس اله السكر . ونب ذاك الذي يعتقد بوجوب

مساعدة الفقير عملاً بوصية المحبة وتراه كاخاب يقتل نابوتاً ويأخذ كرمهُ · تعال يارسول الام ووبخ الذين يفتخرون انهم يومنون بالله وان الخالق هو الههم والحال ان بطونهم الههم · تعال ووبخ اولئك الذين كل همهم بجمع خيرات الارض وتكثير اموالهم ولو بطرايق غير مباحة الذين يبيعون النفس بالفلس ويعتاضون عن السماء بالارض وقل لهم بفم سيدك لا تقدرون ان تعبدوا ربين فان كان الله الرب الحق فاعبدوه وان كان المال فاسجدوا لهُ فلماذا تعرجوون على الوركين

ثم ان الايمان بالله او بكامل صفاتهِ يجعلنا ان نثق به تعالى ونرجو عنايته بنا ومساعدتنا على احتمال خطوب هذه الدنيا بالصبر الطويل واثقين ان يثيبنا عن احتمالها خيراً وسعادة ابدية . فمن كوننا ابنآء الله فمحبة التبني تجعلنا ان نلقي كل اتكالنا عليهِ وذلك في ما نحتاجه من الخيرات الطبيعية لقيام حياتنا الزمنية من مأكل وملبس ومأوى وما ضاهى ذلك عملاً بقولهِ لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون تاملوا بطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهرآء وابوكم السماوي يقيتها فانتم بالحري افضل منها (متى ص ٧ ع ٢٦) فان الذي يعطي الكثير لا يشح بالقليل . والحال ان الله اعطانا هذا الجسد وهو حافظ لهُ فهل يبخل علينا بما نكسوه به ونقوته مع انهُ يجود على طير السماء بمثل ذلك ويزين زهور الحقل بافخر ملبوس · وماذا يرجى من الزهور الا انها تجف وتلقى في التنور . فاسألوا ان يملك الله في قلوبكم بالنعمة وهذه كلها تزدادونها ٠٠٠ وصدق مواعيده الالهية

يحملنا على كمال الثقة ووطيد الرجاء بانهُ يمنحنا من فيض سخائهِ خيرات النعمة بمغفرة ما اجترمناه من الذنوب ويزيد ثقتنا ثباتًا ورجاءنا توطيدًا بمعاملتهِ الخطاة الراجعين اليهِ من صميم قلوبهم فان كنت قاتلاً فقد غفر لداود وان كنت زانيًا فقد قال للمجدلية مغفورة لها خطاياها الكثيرة وان كنت خاطفًا فقد سامح اخاب الملك وان كنت جاحدًا فقد غفر لبطرس وان كنت مضطهدًا انقياء الله فقد جعل رسول الامم اناء مختارًا وان كنت مرتكبًا افظع الاثام فقد قال للّص اليوم تكون معي في الفردوس … فالاسباب التي تحملنا على ان نرجو منهُ تعالى ليس الخيرات الطبيعية وخيرات النعمة فقط بل خيرات المجد ايضًا لنكون سعداء في الآخرة هي قدرته . وامانتهُ . ورحمتهُ . واستحقاقات ابنه الحبيب . وشفاعة القديسين . فبلا ريب ان الذي بكلمة واحدة ابدع الكائنات من العدم والذي لا يدع النملة بدون قوت هو قادر ان يسد عوزنا ويبلغنا ما نحتاجه في الحياة الحاضرة والسعادة في الآخرة

ان حسن كمالاتهِ تعالى وغزير احساناته الينا تلزمنا بمحبتهِ فوق كل شيء ولهذا قال احد الفلاسفة شيئان يجذبان الى المحبة وهما الحسن والاحسان . فالحسن محبوب طبعًا كبهاء السماوات وجمال الشمس وضياء النجوم ونضارة الحقول واشكال الزهور فحسن تلك الثمرة التي كانت في الفردوس الارضي قد سبا عقل امنا حواء وجذب ميلها الى الاكل مع علمها ان في اكلها موتًا لنفسها . (تكوين ص ٣) وجمال استير احال غضب الملك احشوروش الى رضوان فعفا عن شعب

كان قد امر باعدامهم (استير ص ٨) وحسن يهوديت سبى قلب اليفانا القائد الباسل (يهوديت ص ١٥) مع ان جمال الاشياء المخلوقة كاذب وحسنها باطل وخادع لمحبيه وهي جمال اشبه شيء بجمال عاشقة يونان الخضراء التي فردتها دودة فيبست حالاً وزالت نضارتها فاذا كان مثل هذا الحسن الزائل يميل بالقلوب الى محبتهِ فبالاولى ان يحب جمال الخالق ينبوع كل حسن وبهاء وعنهُ تصدر جميع المحاسن فقد ادرك القديس اغوسطينوس ما يجب من الحب لله لاجل جمالهِ وسمو كماله واخذ يهتف والدموع تهطل من عينيهِ قائلاً اللهمَّ ياجمالاً دايمًا قديمًا ودايمـــًا جديدًا لقد عرفتك متاخرًا واحببتك متاخرًا . والقديس انطونيوس الكبير كان يصرف معظم اوقاتهِ متاملاً جمال الله وكماله ويغوص في بحر حبه منتصبًا على ركبتيه من المساء الى الصباح ولدى بزوغ الشمس في وجههِ كان يخاطبها قائلاً يا ايتها الشمس الجميلة لقد اتيتِ لتبددي افكاري وتمنعيني من ان اذوق لذة محبة الهي بهدوءٍ وسكينة . فما ابعد محبتنا لله من محبة هذا القديس وما اقل الوقت الذي نتامل فيهِ كمالات الخالق بالنظر الى الاوقات التي كان يصرفها القديسون متاملين بهاء الله الوسيم وحسنهُ القديم غارقين في تيارات الحب الالهي

فاذا كان الحسن يجذب الى الحب فالاحسان اولى بجذب القلوب الى المحبة فاحسان احشوروش الملك بتلك الوليمة جذب قلوب الجميع الى محبتهِ . (استير ص ١) واحسان ابيغال السونامية بقلبها

من الزاد نحو عبيد داود جعله ان يعفو عن نابال زوجها المستحق العقاب لاجل جفاوته وصيرها عزيزة لديه ورقاها الى مقام ملكة (ملوك ١ ص ٢٥) واحسان راحاب الى الجواسيس كان سبباً لنجاتها واهل بيتها من الموت حين خراب اريحا (يشوع ص ٢) واحسان رفقا بجرة ماء الى اليعازر جعلها محبوبة كثيراً لدى اسحق (تكوين ص ٢٤) فاحسانات مثل هولاء لا تعد شيئاً بالمقابلة مع احسانات الباري تعالى نحونا فاننا نرى في كل ساعة الوفاً من احساناته الالهية مفاضة علينا فاحسان احشوروش وابيفال لم يكن سوى تقديم المواكيل لقليلين في وقت يسير . واما الله فانهُ يقوت الجميع مدى الحياة كلها واحسان راحاب لم يكن الا اضافتها الجواسيس ليلة واحدة وانقاذها اياهم من الخطر مرة لا غير واما الباري تعالى فانهُ ينقذنا في كل دقيقة من ربوات من المخاطر . رفقا احسنت بجرة ماء ولكن من اين المياه الغزيرة والينابيع المتدفقة والسحب الهاطلة اليست هي قطرة من بحار جوده وسخائه

ان الله امرنا ان نحبهُ ووقف سعادتنا على محبته لكونها سهلة ومتيسرة للجميع للاصحا والضعفا الاغنيا والفقرا فلو علق الخلاص مثلاً على الصوم لما خلص المرضى والضعفا العاجزون عن الصوم . او على الصدقة لما خلصت الفقراء الغير القادرين على التصدق او على الوعظ والتعليم لما خلص السدج المستحيل عليهم ان يعظوا و يعلموا واما المحبة فهى بسلطة كل احد فلا يستطيع انسان ان يعتذر قائلاً لا اقدر ان احب الله غنياً كان او فقيراً صحيحاً كان او مريضاً . فالايمان يعلمنا

انهُ يوجد كثيرون في السماء من الفقراء والمرضى مثل اليعازار الذي كان ملقى عند باب ذاك الغني والسدج الذين ما تصدقوا ولا صاموا ولا علموا لعدم امكانهم . ولكن لا يوجد ولا واحد في السماء من الذين لم يمارسوا المحبة لله . غير ان هذه المحبة يجب ان تكون كاملة صادرة من كل القلب لان الذي خلق القلب كلهُ لهُ الحق عليهِ كلهِ ولا يريده ان يكون منقسماً بينهُ وبين العالم كما ان والدة ذاك الابن الحي لم ترد ان ينقسم ابنها بينها وبين المدعية انهُ ابنها (ملوك ٣ ص ٣) هذه المحبة توجب علينا نرغب في التردد معهُ تعالى ونستصعب مفارقتهُ والابتعاد عنهُ شأن المحبين الذين احب شيء اليهم مواصلة من يحبونهُ واصعب امر لديهم مقاطعة من يودونهُ هذه المحبة تجعلنا ان نظفر بكل تعب ونستسهل كل صعوبة فمالك الحب لن يستشعر التعبا . هذه المحبة التي حملت الرسول ان يقول من يفصلني عن حب المسيح أضيق ام جوع ام سيف (رومية ص ٨) هي العلة الوحيدة التي جعلت القديس يوحنا فم الذهب ان يستخف كل الصعوبات ويطأ جميع العقوبات ويترنم حالَ منفاه من الملكة اودوكسيا قائلاً فان نفتني الملكة فالارض بكمالها للرب . وان احبت ان تنشرني فقد نشر اشعيا من قبلي . وان ارادت ان تلقيني في البحر فاذكر يونان . وان شاءت ان ترجمني فلي اسوة باول الشهداء اسطفان وان رامت ان تقطع راسي فرفيقي يوحنا المعمدان . وان اثرت ان تغصب مالي فعرياناً خرجت من بطن امي والى بطن امي اعود عرياناً ثبتنا اللهمَّ بايمانك القويم الذي به ولدنا

وبه حيينا وبهِ نموت ووطد رجانا بصدق مواعيدك وايدنا على احمال مشاقْ هذه الحياة لننال الثواب الموعود بهِ للصابرين واضرم قلوبنا بنار محبتك لكي نقوم بحفظ وصاياك بشفاعة مريم البتول ام المحبة ومرسى الرجاء الامين وبتضرعات جميع القديسين المقربين اليك آمين

في الحلف

قال الرب من سفر الخروج (ص ٢٠) لاتحلف باسم الرب الهك باطلاً انه لقد ذكر في التواريخ ان بعض القدماء كانوا يصورون اسم الله القدوس بصورة شمس بهية ينبثق منها ثلاثة اشعة . فالشعاع الاول كان يتصل بتل من الثلج فيذيبهُ والثاني كان يمتد الى جبل من الصخور فيرمده . والثالث كان يتصل بجثة ميت فيحييها وبهذا كانوا يجلون ويهابون معتبرين هذا الاسم العظيم الذي تهابهُ السماوات والارض وما فيها معتقدين كما يجب ان يعتقد كل انسان ان اسمهُ تعالى يذيب الثلوج المجلدة ويرمد الصخور الجامدة ويحيي الاعظم البالية فبالاولى يجب علينا نحن المسيحيين ان نجل اسمهُ الالهي واثقين انهُ يذيب القلوب الباردة ويسحق الالباب القاسية ويقيم النفوس المايتة لان هذا الاسم المسجود لهُ يحيي من يجلّه ويعتبره ويميت من يزدريه ويحتقره . ويعاقب الله من يتخذ اسمهُ باطلاً مستدعياً اياه بالاقسام

الكاذبة غير مبالٍ لما سيحل بهِ من شديد الانتقام · ولسوء الحظ بلغنا الى عصر يصدق في اهلهِ ما تكلمهُ تعالى بلسان اشعيا النبي قائلاً يهينون اسمي دائمًا وفي كل يوم (ص٢٢) جولوا في الشوارع والطرقات وادخلوا مخازن الباعة والمبتاعين ولجوا دور الاغنياء وبيوت المساكين واسمعوا ما تقذفهُ تلك الافواه الجهنمية من الاقسام الباطلة لاشفاء غليلهم واتمام مقاصدهم حتى صار الحلف باسم الله المسجود لهُ فخرًا للحديث عند المهذارين وكفالة عند الحلافين وعربونًا عند المتعاقدين ومحط الكلام عند السفهاء والشاتمين الدين · فيالهُ من احتقار جسيم لشرف اسم الله وما من محامٍ عنهُ فيما اننا نراكم تغارون للمدافعة عن شرف اسمكم وشرف عيالكم · فكم من حالفٍ باطلاً على مرأى ومسمع منكم وانتم صامتون وربما انتم واولادكم تهينون اسم الله بمثل ذلك ولا تبالون · واذا حركت الغيرة رعاة النفوس الى ردع مثل هولآء فيصمون اذانهم ولا يسمعون · فلهذا توجب علينا ان نوضح لكم في خطابنا ما هو القسم والشرائط اللازمة لجوازه والعقاب الملتحق بمن يحنث بيمينهِ عاجلاً او آجلاً ونصف الادوية الشافية لهذا الدآء الوبائي الذي طبَّق كل مكان وقبل الشروع ...

قد ذكر الكتاب المقدس في (ص٥) من سفر دانيال النبي عن بلشاصر الملك انهُ لما احتقر آنية الهيكل التي خطفها ابوه من هيكل اورشليم باستعمالهِ اياها بشرب الخمر والمسكرات مع نسائهِ وعظماء دولتهِ حينئذٍ ظهرت اصابع يد انسان تكتب على الحائط (منا) (تقل)

(فرس) اى احصى الله ملكك ووزنت فوجدت ناقصاً وقسمت مملكتك واعطيت لمادي وفارس وفي تلك الليلة خرجت نفسهُ الشقية ومات شرَّ ميتة فاذا كان هذا عقاب من احتقر آنية الهيكل فاي عقاب يستوجبهُ من احتقر رب الهيكل وخرق شرف اسمهِ القدوس مستخدماً اياه للشهادة على اشياء كاذبة مع انهُ تعالى هو الحق بالذات او اشيا دنية مع انهُ هو رب الارباب او على اشياء محرمة وهو قدوس القديسين نمثل هذا الحلاَّف سيرى دون ريب يد عدل الله تكتب على حائط جبينهِ المتصلب (منا) اي احصى الله اثامك وانهى ايامك (ثقل) اي وزنت تجاديفك واقسامك الباطلة فكانت اثقل من الجبال (فرس) اي فصلك الله من ملك هذه الحياة وسلم جسدك لمادي الدود الذي لا يموت ولفارس النار التي لا تطفأ فليرتعد الحلافون من مثل هذا العقاب المريع . ولكي تعلموا ما هو الحلف واي متى يجوز فنقول . ان الحلف هو استدعاء الله للشهادة لتثبيت الحق وشروطهُ اوضحها ارميا النبي قائلاً في (ص ٢٢) تحاف حيٌّ هو الرب بالحق والحكم والعدل اي يقتضي لجواز الحلف اولاً صدق ما يحلف عليهِ ثانياً ان يكون ثمَّ ضرورة داعية اليهِ . ثالثاً ان يكون جائزاً . فان كان ما يحلف عليهِ كاذباً كان اثم الحالف جسيماً لانهُ يستدعي الله شاهداً للكذب فكانهُ يقول لله هكذا اللهمَّ انا لست قادراً ان املك اربي بطريق الصدق والحق ولهذا قد عزمت على الكذب خلافاً لناموسك وانا عالم ان كذبي ليس بكافٍ لمأربي ليقيني ان الناس لا يصدقوني فيخيب املي

فانحدر انت ايها الاله من علوّ سمائك وثبت بشهادتك كذبي واعضد بصلاحك شري فيالهُ من اختراع قبيح اظن ان الشياطين لا يستطيعون ان يخترعوا شرًّا اعظم منهُ · فياما ارهب العقاب الذي يعاقب بهِ من يحلف زورًا فتحل عليه عقوبة من الله فكل من يسمع بها تطن اذناه ولاثبات ذلك نذكر ما جاء في (ص ٥) من نبوة ذكريا فهذا النبي قد رأى ذات يوم درجًا (بصورة منجل) طائرًا في الجو طولهُ عشرون ذراعًا وعرضهُ عشرة اذرع فارتعب من ذاك المنظر وسأل الرب عن تأويلهِ فقيل له هذه هي اللعنة التي تخرج على الارض كلها فتدخل بيت السارق والحالف باسمي زورًا وتبيت في وسط بيتهِ وتفنيهِ مع خشبهِ وحجارتهِ فمن لا ترتعد فرائصهُ من هذا العقاب الذي يؤكده الرب بقوله انهُ يجعل اللعنة في بيت الحالف مثل نار الاتون فتحرق الحجارة وتحيلها رمادًا . وان سألت ما هو سبب القحط والغلاء والوباء وتأخير الاحوال وتشتيت العيال فيجيبك الحكيم بقولهِ ان الحلاف يمتلي اثمًا ولا ينفك البلا عن بيتهِ (ابن سيراخ ص ٢٣) وشواهد ذلك كثيرة منها ما جاء في الاخبار الموثوق بصدقها ان امرأة ارملة مسكينة في جزيرة كورسيا كان لها ابنة وليس عندها سوى ثلاثماية دينار متروكة عن زوجها قد اودعتها عند جار لها واثقتها بامانتهِ لم تطلب منهُ وثيقةً بذلك وحينما طلبت هذه الدراهم لتجهز بها ابنتها انكر المبلغ فشكتهُ الى الحاكم فاستحضرهُ مع امرأتهِ وسألهما ذلك فلازما الانكار فاثبت عليهما اليمين فحلفا بحياتهما وحياة اولادهما كذبًا ورجعا فرحين

بما اكتسباه بحلفها الباطل فاذ عجز العدل البشري عن اظهار الحق اظهره العدل الالهي على نوع مرعب وهو انهُ كان لهما ثلاثة بنين اصغرهم في عمر شهرين والثاني في عمر خمس سنين والبكر في عمر خمس وعشرين سنة فلدى رجوع امهم الى البيت وجدت ابنها الصغير ميتاً تحت السرير وبهذه الحادثة كان ينصحها الله الى التوبة الاَّ انها لم تنتبه بل بحركة ايس مفرط اخذت سكيناً وقتلت ابنها الثاني ظناً به انهُ تغاضَ عن ملاحظة اخيهِ وعند ذلك دخل زوجها ولفرط ما كانت نفسهُ معذبة من قبل خطيته وراى ما كان من موت ابنيه استل السيف وقتل به امراته فامتلأ البيت بكاءً واجتمع الجيران لاصوات البكاء واذا بذلك البيت مصبوغ بالدم فبلغوا الحاكم ما جرى من الرجل فحكم عليهِ بالموت فكان ابنهُ الكبير جلاداً لهُ حيث كان الجلاد المعين بامر الحكومة غائباً غير ان هذا الابن بعد ان انتبه على ما فعل وكيف اتصلت قساوته الى ان يقتل والده استولى عليهِ حزن شديد وايس لا يحتمل فنهض واستل سيفهُ وضرب صدرهُ فمات لساعتهِ وهكذا تم كلام الرب بلسان زخريا النبي انهُ ستأتي اللعنة الى بيت الحالف باسمي زوراً وتبيده من اساساتهِ

ومن الواضح انه لا يكفي لجواز الحلف ان يكون ما يحلف عليهِ صادقاً فقط بل يقتضى ان يكون ضرورة داعية اليهِ لان الحلف انما هو دواءٌ لاصلاح نقص امانة الناس في معاملتهم والحال ان الدواء الجزيل الفاعلية والتأثير لا يجوز استخدامهُ الاَّ في حين اللزوم واذا

استعمل في غير وقتهِ يضر ضررًا بليغًا هكذا اسم الله القدوس العظيم القوة لاثبات الحق فاذا لم يكن داعٍ قوي لاستشهاده يسبب ضررًا جسيماً ويلحق بهِ تعالى اهانةً لجلالتهِ تفوق كثيرًا اهانة من يستدعي عظمة الملك ليشهد لهُ على دعوى فلسين · فمن لي بان اجمع مسيحيي عصرنا وابين لهم ما يجب من الاعتبار لاسمه القدوس واجبن في عقولهم ما كان يصنعهُ المومنون الاولون عند اقدامهم لابراز اليمين المحكوم بها عليهم من القضاة روحيين كانوا ام جسديين · فكان المحكوم عليهِ باليمين يذهب الى الكنيسة ويسجد امام عزتهِ الالهية بكمال التهيب ويضع يدهُ على قبر احد الشهداء او على الانجيل ويبرز اليمين · معتقدًا انهُ لا يجوز الحلف الاَّ في بيت الله وامام القديسين وقد ذكر في تواريخ الكنيسة ان القديس كرنيليوس الحبر الروماني وبعده آباء مجمع اورليان امروا ان لا يحلف المومن الاَّ وهو صائم حذرًا من ان بخارات المآكل والمشرب تنقص شيئًا من الاكرام الواجب للحلف فاين اعتبار اهل عصرنا واين اكرامهم لاسم الله القدوس من اعتبار اولئك المؤمنين الاقدمين فاننا نرى مسيحيي دهرنا يحلفون في محل اللعب والهزء وحين احتداد الخلق باسم اقدس ما في الديانة المسيحية فكثيرًا ما نسمع في الشوارع والطرقات والحوانيت والبيوت بعضًا يحلف بحياتهِ وحياة اولاده واصدقائهِ · وبعضًا بالعذراء والقديسين والانبياء وبعضًا بالقربان الاقدس وبعضًا يحلف بالله العظيم وبالذي خلق السماء والارض ومن ابدع الكون وكل ذلك بدون داعٍ ولا حكم قاضٍ بل على شيء

دني حقير ينطقون بمثل ذلك محتقرين العزة الالهية والقديسين وكل ما هو لديه تعالى. وكم من هيرودس يحلف لتلك الرقاصة الشقية ابنة هيروديا الشقية بانهُ يعطيها ما تطلب ولو نصف ملكه فتكون عاقبة يمينهم الغموس قطع راس من هو اعظم في مواليد النسآء ولا يفتكر بما وراء ذلك من وابل الشرور التي تهطل عليهِ بسبب حلفه الباطل وبدون تبصر كما جرى لهيرودس الذي انقرضت مملكته ومات شر ميتة لعدم تبصره عند ابراز تلك اليمين

ولا يكفي لجواز الحلف ان يكون ما يحلف عليهِ صادقًا ويكون ضرورة داعية فقط بل يلزم ان يكون جائزًا وعليهِ من يحلف انهُ يقتل اخر او يلحق بهِ ضررًا مهما كان او يجره الى عمل غير جائز فحلفهُ يعد من كبائر الذنوب في جانب الديانة لانهُ يستشهد الله او ما ينسب اليهِ تعالى على ارتكاب الاثم فكانهُ يقول لله انا مستعد لمخالفة شرائعك ونواميسك فكن شاهدًا الخبثي وسوء استعدادي. وقصده في ضرر الغير هو اثم ايضًا فاذًا من يحلف على هذه الصورة يكون اثمهُ مضاعفًا ولا يجوز لهُ اتمام هذه اليمين لان الحلف لا يكون رباط الاثم. فقد مُدح داود لعدم اتمام حلفهِ بقتل نابال العديم الوفاء وشجب خبث هيرودس باتمام حلفه اذ قطع راس يوحنا المعمدان. ومن هنا تظهر جسامة خطية من يقول وحق ربي لاعدمنَّ حياتك والله العظيم لاخرب بيتك. وحق من ابدعك وصورك لاسلب راحتك. وماذا تقول عن خطية تلك الوالدة اذ تهدد ولدها قائلة وحق القربان لاقبرك. والله يتصف عمرك

ان ابقيتك حياً · والرب يشهد عليَّ ان لم اقبرك · · · اللهمَّ كيف لا تخرس السنة مثل هولآء الحلافين او كيف لا ترسل نارًا وتحرق افواههم حينما يفترون على اسمك القدوس فباطلاً يعتزرون انهم لا يضرون احدًا بحلفهم والحال انهم يهينون خالقهم ويهلكون انفسهم واي ضرر اعظم من هذا ومع ذلك لو صح مثل هذا الاعتذار لجاز لهم ان يكسروا الايقونات والصلبان المقدسة لانهم بهذا لا يضرون احدًا · وباطلاً يعتذرون قائلين ان لم نحلف لا يصدق قولنا فهولآء يفضلون كرامتهم على مجد الباري ومثلهم مثل من ياخذ انية المذبح ويصنع منها معاول وفوءوسًا لخدمة بستانه ويا ليتهم يبلغون ما يقصدونهُ بحلفهم هذا بل بعكس الامر فان من يحلف كثيرًا قلما يصدق · قد ذكر عن رجل وثني لبيب انهُ لما حلف له رجل مسيحي راجيًا ان يصدق مقاله اجابه ذاك الوثني اللبيب قائلاً انت تحلف حتى اصدق كلامك وانا احلف اني لا اصدقك لانك تحلف فلو اصدقت الناس لصدقوك بدون حلف ولكن لقلة صدقك واشتهار كذبك اوقعت ذاتك بان لا تصدق بكلامك ولو تكلمت الحق ولهذا يقال بالمثل من لا يستطيع كتم سرٍ فليكشفه لرجل حلاف لانه لا يصدق ولو نادى بهِ جهارًا · واوهى العذرين المتقدمين عذر من يقول اني قد تعودت الحلف ولكل امرءٍ من دهره ما تعودا · فياليت لي غيرة ايليا لاوبخ من يهين اسم الله القدوس معتذرًا بانه قد تعود ان يهين الله ولا يستطيع قطع عادته هذه · او لسان يوحنا فم الذهب الذي كان يحارب الحلافين بكل عظاتهِ

ولما سمع بعض اهل انطاكية يعتذرون قائلين ان العادة للحلف قد تأسست فينا ويصعب علينا تركها فاحتمى القديس بغيرة وقادة وخاطبهم قائلاً من منكم قد تجاسر ودخل الحمام بعد صدور امر الملك بالاَّ يدخلهُ احد كلاً فلم يذهب الى الحمام ولا واحد مع ان الجميع قد تعودوه والاكثر يحتاجونه ويمرضون من الامتناع عن التحمم وها ان ملك الملوك قد ابرز امرًا سماويًا بهِ يمنع الجميع عن الحلف ومع ذلك تجسرون ان تقولوا انه من الممتنع ان تتركوا عادتكم للحلف فالخوف يستاصل كل عادة ولو مهما كانت متاصلة ها هوذا الخوف من ملك ارض ابطل عادة ذهابكم الى الحمام فبالاولى ان الخوف من عقاب ملك السماء والارض ان يزيل مثل هذه العادات الذميمة . وكثيرًا ما نرى اناسًا ابطلوا عادة التدخين بالتبغ والتنبك وغيرهم ابطل شرب الخمر وكل مسكر عند شعورهم بالضرر الواصل اليهم من قبل ذلك فالواجب ابطال كل عادة للحلف فرارًا من العقاب الشديد المترتب على الحلافين

وللانتصار على هذه العادة ينبغي استعمال الوسائط التي عينها السيد المسيح حين ابرائهِ الرجل الاصم الاخرس المذكور في بشارة مار مرقص (ص ٧) فالسيد لهُ المجد اخذ الاخرس على انفراد . ورفع عينيهِ الى السماء . وتنهد . ولمس لسانهُ فشفي هكذا يجب على من تعود الحلف باطلاً ويريد ان يشفى من هذا الداء المهلك ان يتخذ هذه الادوية الاربعة اولاً يقتضي ان ينفرد للصلوة وعمل الرياضة والاعتراف والتامل بما وراء اثمه من سعير تلك النار وسوء العاقبة .

ثانيًا يجب ان يرفع عقلهُ الى السماء متاملاً بسمو العزة الالهية التي يحتقرها باستشهاده اياها للكذب حينما يوقرها الارواح السماوية بغاية التهيب قائلين قدوس قدوس قدوس ثم يلتمس منهُ تعالى العون الذي بدونه لايمكن ان ينتصر على شر لسانه . ثالثًا ان يتنهد نادمًا على اثامه ولتجعله شدة ندامته يفرض على نفسهِ كفارةً كل مرة يزل لسانه بالحلف . قيل ان جنديًا كان قد تعود الحلف ولما انتبه لشقاوته عزم على التوبة عزمًا جعله يفرض على ذاتهِ هذا القصاص وهوان كل مرة يحلف يركع مقبلاً الارض فاتفق انهُ فيما كان ذات يوم في شدة معمعة الحرب زل لسانه وحلف فحالاً ركع على الارض وقبلها وعند ذلك رشق برصاصة مزقت ثوبه ولم تصب جسده فلو استمر واقفًا لكانت اصابت صدره بدون شك . رابعًا فليلتجئ الى السيد المسيح لكي يلمس لسانه اعني بتناولهِ القربان المقدس مرارًا ويطلب منه باجتهاد ان يكون دواءً شافيًا للسانه فيبتدي مع الاخرس الانجيلي ان يتكلم حسنًا كقولهِ تعالى فليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وبهذا يسدي الله مجدًا ونفسه نفعًا وسيبارك الله في ملكوت السما الى دهر الداهرين امين

في التجديف واللعنات

قال طوبيا البار ملعون من يحتقرك يارب والمجدف عليك يدان (ص ١٣) قد لحظ المعلمون ان اثقل المعادن هو الرصاص والزيبق

لان كلاً منها اذا تذوب مع بقية المعادن فهي تطفو وهو يرسب لثقلهِ
هكذا التجديف اذا قابلناه مع باقي الخطايا نراه اكثر ثقلاً لانه كفران
الاول بالنعم واستقلال العطايا الالهية ومحض افتراء على كمالاتهِ تعالى
وهذا الداء نراه فشا وامتد في اكثر الاماكن ودويهُ ملأ الارض
ونتانتهُ افسدت الهواء وهيهات يوجد من خلا منهُ فلو كان للطرقات
لسان لشهدت علي ما تنفثهُ السنة المارين من مسبات الدين او لو كان
للحوانيت والساحات والدكاكين نطق لاعلنت ما يخرج من افواه
الباعة والمبتاعين من التجاديف علي الله وقديسيهِ ويا ليت حجارة
البيوت والاخشاب تشعر لكانت تبين لكم ما يقذفه الاباء والامهات
من اللعنات والدعاء على اولادهم وصناعهم لعنات كأنها صواعق منقضة
على تلك البيوت وسكانها لتزعزعها من اساساتها. فلاجل ملاشاة هذه
الجريرة الكبيرة والوقاية من عواقبها الوخيمة نبين في القسم الاول من
عظتنا ثقل خطية التجديف وشتم الدين من ثلاثة اوجه اولاً من
عظم موضعها ٢ من دناءة وحالة مقترفها ٣ من الاضرار الناتجة عنها.
وفي القسم الثاني نوضح الاضرار والشرور الناجمة من اللعنات والدعاء
على القريب. ثم نصف العلاجات اللازم استعمالها لحسم هذا الداء الوبائي
قياماً بواجبات دعوتنا وحباً لخير النفوس وقبل الشروع نستعين
بابي الانوار مستشفعين مريم البتول

ان ثقل الخطية يتخذ من موضوعها فموضوع خطية التجديف هو الله
المحتقر من المجدف نعم انهُ تعالى يهان ويحتقر باية خطية كانت لان

كل خطية هي تعدي ناموس الله حسب قول الرسول انك تهين الله بتعدي الناموس (رومية ص ٢) ولكن بهذا الفرق وهو ان بالتجديف اهانةً لذات الله وفي غيره مثلاً كالسرقة والقتل اهانة لاوامره تعالى ولا ريب في ان ذنب من يهين شخص الملك اثقل من ذنب من يتعدى اوامره او يفتري على احد حواشيهِ وقواده ولذلك قال عالي الكاهن لبنيهِ اذا خطئ انسان الى انسان فالله يغفر لهُ واما اذا خطي انسان الى الرب فمن يصرخ لاجلهِ . (ملوك ١ ص ٢ ع ٢٥) وكيف يرجو غفران اثمهِ والحال ان الانسان بالتجديف يخطأ الى الرب و يعظم لسانهُ على اقنومه الاقدس متجبرًا فتراه اذا عثرت رجله بحجر يجدف على الله شاتمًا الدين للذي ابدع ذلك الحجر واذا تضايق من امر فانه يصر باسنانهِ نحو السماء مجدفًا هكذا . ما عاد يوجد رب . الله نسيني . ما عادت الابالسة تقبض روحي . واين هذا من تجديف تالك المراة التي لم تستجب مسألتها وما قبلت طلباتها . اذ تسمعها تتلفظ بالفاظ تطن منها الآذان بقولها طرشت يارب ما عدت تسمع . وعميت اذ لم تنظر تعاستي . اين انت ياعزرائيل اين انت . الله يعطي الفويلات لمن ليس له سنينات ٠٠٠ ترى من اين خرج هذا التنين الأ من دركات جهنم فياليته لم يخرج بل مكث مع اهل اللعنة فياليت صوتي يكون كصوت البوق لكي ابيد هذا الشر من الارض واطرح هذا التنين وارده الى جهنم مركزه حتى لا يبقى على الارض من يهين الله القدير الذي تهابه المخلوقات جميعها وترتعد من جلالتهِ جميع المبروات . من يسبحه الملائكة قائلين . قدوس قدوس

قدوس . هذا هو الاله الذي يحتقره المجدف غير مفتكر بما قد أُعد لهُ من مرّ العقاب وشديد العذاب . . . ولكن ترى من هو المتكلم بالتجديف الذي لم تعجبه تدابير العناية الالهية اهو انسان بربري لم يعرف عظمة الله . ام هو من نبات من الارض لم يُفتدَ بدم المسيح كلاَّ ليس هو من نبات الارض بل انسان ابدع من الله على صورته وليس هو بربريًا بل مسيحي مولود في بيت ابن الله متربٍّ في حضن كنيستهِ يقتات بمائدة ربهِ . وقد اختاره الله لتكريم عزتهِ بالتسابيح جاعلاً لسانه كمبخرة يقدم بها بخور الصلوات . واما هو فتجاسر على رشق العزة الالهية بسهام الفاظ مسنونة على بلاط جهنم ومسقية بسم الابالسة لا بل هو شر من الابالسة لان الابالسة يجدفون لشدة اوجاعهم واما المسيحي فيجدف على الله وفمه مملوء من خيراتهِ تعالى ولهذا يتشكى الباري تعالى من مثل هولآء معلنًا لنا ان اثمهم غير محتمل لانه اتخذهم اصدقاء وبنين يمجدونه وهم يجدفون عليهِ وذلك بقولهِ لوان انسانًا عدوًّا عيرني وشتمني لاحتملت (مزمور ٥٤ لقد ذكر في التواريخ ان قومًا كانوا يعادون الشمس فكانوا حال بزوغها يتلقونها بغضب عظيم ويشتمونها ويرشقونها بالحجارة ويرمونها بالسهام كالمجانين . ولكن ترى من هم هولاء هل هم القاطنون في القطب الشمالي المتروكون من الشمس اكثر ايام السنة العادموا منافعها كلاَّ لان هولاء كانوا يكرمونها حال بزوغها بالات الطرب بل هم اهل اتلنتيا المصاقب التيمن الذين تخصب الشمس معادنهم بالذهب والفضة . وتملا بحارهم مرجانًا ولوءلوءًا . فهذه حال المسيحي المجدف على الله المغمور باحسانانه

الغزيرة. واما الاضرار الناتجة من التجديف فكثيرة . واخصها ان
المجدف لا يقتصر اثمه على نفسه فقط بل يمتد كلهيب النار فيسري من
افواه الاباء والامهات الى افواه اولادهم ومن افواه الموالي والارباب الى
افواه خدامهم وصناعهم لانهم يتعلمون هذه اللغة منهم فلا تعود تسمع
في البيوت والاجتماعات والساحات وعلى الطرقات وفي كل مكان
الا التجاديف هذه لغة الشبان والرجال والشيوخ والنساء فتستحيل
منازلهم الى صورة جهنم وسكانها الى صورة الهالكين. وكأن كلاً منهم
يقول لابيهِ ابليس من فم الاطفال والشبان اصلحت لك تجديفاً. فالويل
المضاعف لمثل هذه الاماكن وساكنيها لانها تمتلي بلايا ورزايا . فخسارة
الاموال وتاخير الاحوال ومحل المواسم وكثرة الوباء والامراض ليست
هي الا ثمرة تلك الالسنة النافثة التجاديف. واثباتاً لذلك قيل ان
احدى المدن تكاثرت فيها امراض وبائية كادت تفني جميع سكانها وكان
سببها الوحيد بالوعة تنفذ الى نهر كانت تلقى فيهِ اقذار تلك المدينة
ويخرج منها رائحة كريهة افسدت الهواء الكروي فلما سدّت البالوعة
اصطلح الهواء وزالت الامراض فيا ايها المسيحي اذا وجد في بيتك امراض
وشدائد وتقهقر احوال من محل وفقر وعدم راحة فافحص جيداً فتجد
بالوعة فم يجدف ويشتم الدين ويتكلم بالسفاهة ويخرج منه بخارات
السكر وكلام مجون سواء كان فمك او فم ابنك او امراتك او ابنتك
فاسدد هذه البالوعة لتزول عنك البلايا فتشفى من امراضك وتصطلح
احوالك وتنجح في اعمالك وتسكن غضب الله عنك وعن عيالك .

افحص ياكاهن الله ربما يوجد بالوعة في رعيتك تنفذ الى جهنم يتصاعد منها بخارات الكفر والتجاديف وبسببها حاق بها البلاء فارحم اولادك الروحيين وسد هذه البالوعة بحجر وكلس من نار اتون الغيرة المقدسة واقتدِ بيوحنا فم الذهب حينما كان يعظ اهل انطاكية قائلاً اسددوا افواه المجدفين لتنقذوا هذه المدينة من الشقاء الذي ادركها ولا تظنوا ان الله ينقذنا من شدائدنا ما دامت افواههم مفتوحة وقد ذكر عن الرجل التقي روبرتوس ملك فرنسا انه لما كان يطلب من الله ان يزيل البلايا والحروب من مملكته قال له رب المجد انها لا تبطل الى ان تبطل التجاديف منها . فطالما سمعنا وقرأنا في التواريخ وفي الكتاب المقدس انه بسبب تجديف انسان واحد عوقب جمهور غفير ولذلك حينما حكم الله بقتل المجدف في العهد العتيق قال فلترجمه جماعة بني اسرائيل فلم يقل تعالى ليمت شنقاً او بقطع الراس بل رجماً من كل الجماعة وكلٌّ يرميهِ بحجر لان دعواه لم تكن مختصة بواحد بل بالجميع فوجب ان الجميع يتعاطونها بالحكم عليهِ . وزد على ذلك ان حالة المجدف اشقى من حالة جميع الخطاة لان سلسلة كل الخطايا تنقطع بسيف الموت واما سلسلة التجديف فلا تنقطع بل ان المجدف يحمل خطيئتهُ معهُ الى قعر الجحيم لان السارق هنا يبطل ان يكون سارقاً في جهنم والقاتل يمتنع عن القتل هناك ومثلهُ السكير والزاني واما المجدف فلا يزال مجدفاً هناك الي الابد وقد يعرف وطن الانسان من لغتهِ فمن كانت لغتهُ التجديف فسوف يكون وطنهُ جهنم . . .

ان افواه الغضوبين اشبه شيء بجبال النار التي ترسل لهيبها حينًا نحو السماء وحينًا تلقيه على الارض التي حولها هذا عينه يحدث في افواه المحتدمين غيظًا فليس يرشقون سهام خلقهم بالتجاديف على الله فقط بل يلقونها ايضًا على الارض باللعنات والدعاء على القريب. فانا اشتهي ان يكون لي لسان الذهبي الفم وفصاحة شيشرون لابين لمثل هولاء الغضوبين عظمة الاضرار الناتجة من اللعنات والدعاء التي يرشقون بها قريبهم في حال احتداد خلقهم لانها احيانًا كثيرة يعود ضررها اليهم كقول الحكيم ان اللعنة ترتد الى هامة من نطق بها باطلاً (امثال ص ٢٦) أما تخاف ايها المسيحي من ان الشر الذي ترشق به قريبك يحل بك بعد ان نبهك الله بلسان هذا الحكيم وتهددك بان لعنتك لقريبك تعود على راسك فان دعوت عليه بخراب بيته فيرجع الخراب الى بيتك وان اشتهيت موت بنيه فيعاجل بنيك الموت. وان دعوت عليه بقطع رزقه فتسد في وجهك ابواب الرزق. وان اشتهيت له المرض فتحيق بك الامراض الشديدة لان من حفر لاخيه حفرة سقط فيها. واحيانًا توثر هذه اللعنات والدعاء في المدعو عليه كما جرى في الصبيان الذين استهزأوا باليشاع النبي ودعا عليهم فافترستهم الدبب حالاً ولا سيما دعاء ولعنات الاباء والامهات فانها تضر باولادهم كثيرًا فكم من اولاد ماتوا قبل بلوغهم قصاصًا لدعاء ولعنات امهاتهم وكم من شبان بلوا بامراض شديدة فصرفوا ما بقي من حياتهم باشد الاوجاع. ومنهم من حاقت بهم الفاقة واذلهم الفقر بعد ان كانوا في

حال الثروة والغنى والعز والرفاهة واضطرهم الضيق ان يستعطوا على قارعة الطريق . لان غضب الوالدين من غضب الرب . وقد اوصى افلاطون في كتاب شرائعهِ السابع بان الوالدين لا يدعون على اولادهم لئلا يتضرروا بسماح الله تعالى الذي اراد ان يحافظ بهذه الواسطة على سلطة الاباء والامهات التي يزدريها الاولاد غالبًا ويحتقرونها لان والدينا هم نواب الله على الارض واشركهم بالسلطة على اولادهم كما اشركهم بتسمية اب المختصة بهِ وحده . والحال ان السلطة بغير نهاية تسقط . فلما شاء تعالى ان يؤسس ويوطد هذه السلطة على الارض لكونها ضرورية لحفظ العيال اراد ان يستجيب احيانًا دعاء الوالدين على اولادهم

ثم انهُ لعدم صبر الوالدين يستحقون ان الله يعذبهم في اولادهم الابرياء من الذنب فاشد ضربة على المصريين كانت قتل ابكارهم . قال القديس امبروسيوس ان الابناء يعاقبون لاجل خطايا ابائهم لكي يمتنع الاباء عن الخطيئة لانهُ يشق عليهم ما يلمّ باولادهم من البلا اكثر ما يلمّ بهم انفسهم من الشقاء فيتوعدهم الله بضربة اولادهم حتى اذا كانت محبتهم الذاتية لا تجعلهم ان يخافوه عزَّ وجلّ فتلزمهم بذلك محبتهم الغريزية لاولادهم . فالحذر الحذر ايها الاباء والامهات من الدعاء على اولادكم بالشر لانه لا بد لهُ من ان يبلغ مفعولهُ عاجلاً كان او اجلاً ولا تظنوا انهُ يذهب باطلاً فان لم يؤثر في الحاضر فيؤثر في المستقبل لانهُ كجمر ملتهب لا يطفأ بالكلية . قيل عن شجرة الساج انهُ اذا انقد خشبها وطمر في الارض يستمر متقدًا سنة كاملة . اما الدعا على اولادكم

فيستمر اكثر من ذلك ويبلغ مفعولهُ ولو في زمان شيخوختهم ولا تقولوا ان اولاد هذا العصر اشرار عصاة لا يمكننا ان نمتنع من الدعآء عليهم فلكونهم اشرارًا يلزمكم ان تحسنوا الحذر من ان تدعوا عليهم بالشر والانتقام لئلا ينزل بهم العقاب الذي صاروا اهلاً لهُ ويزدادوا شرًّا على شرٍّ اذ قيل في (سفر الحكمة ص ٣ ع ١٢) اولادهم اشرار . ونسلهم ملعون اي اجتذبوا على روسهم لعنة والديهم بشرهم فاذا رايتم اولادكم اشرارًا فلا تقاوموا شرهم بشرٍ اخر اعني باللعنة والدعاء عليهم بل داووهم لا بلسانٍ مسموم بل بيدٍ رحيمة لان النار لا تطفأ بالنار بل بالمآء . اذا سمعت ابنك يجدف فلا تجدف عليهِ ليبطل التجديف او ان سمعتهُ يلعن فلا تلعنهُ ليكف عن اللعنات بل عالجهُ بقضيب التاديب كما قال الحكيم لا تقصر في التاديب للصبيّ انك ان ضربتهُ بالعصا لا يموت تضربهُ بالعصا فتنقذ نفسهُ من الجحيم (امثال ص ٢٣ ع ١٣) . وباطلاً يعتذر من يقول انهُ لم يقصد الشر في تجاديفهِ ولعناتهِ وليس من نيتهِ ايقاع الضرر فيمن يدعو عليهِ بل قصده ان يظهر ما اصدره من الغضب والاحتداد في نفسه ويخفف كربهُ فهذا الاعتذار لا يبرر صاحبهُ من الاثم كما لا يتبرر من يرشق سهماً على قومٍ ويقول انه لم يقصد ان يضر احدًا فالضرر قد حدث ومن ذا يصدق ان كل مرة يجدف الانسان بالخلق ان يكون قلبه بعيدًا من الشر الذي يدعوا بهِ على قريبه وان كلماتهِ كصوت يضرب الهواء . نعم انه بعد ان تكون خرجت هذه الكلمات من فمهِ يخال انه لا يريد ان يصير منها ضرر لاحد ولا سيما

لاولاده ولاقاربه ولكن يكفي انه ارادها حال ما نطق بها ولمثل هولاء اعذار اخر كثير منها انهم يعتذرون بانهم تعودوها من زمن طويل ولهذا يصعب عليهم تركها لان قطع العادة شديد الصعوبة فهذا لا يبررهم لان العادة لا تخفف الذنب بل تزيده فلو طلب احد اللصوص من الحاكم ان يصفح عنه لان عادته جرّته الى السرقة اكان يقبل اعتذاره كلاً بل لاستحق اشد تعذيب لان عادته صيرته اكثر ضرراً · ومنهم من يعتذر بحدة الخلق فالاحتداد لا يخفف الاثم لانه لو ان رجلاً حقيراً تفل على الملك واعتذر ان شدة السعال الجأته الى ذلك فهل يقبل اعتذاره كلاً بل كان يزجرهُ بغيظٍ قائلاً يا ايها المثلث الخباثة اما كان يمكنك ان تحول تفلك عني · ومنهم من يعتذر بعدم قصده اهانة الله وضرر القريب بل كان قصده بالتجديف واللعن تخويف الغير · فما رايكم فيمن يستعمل الاثواب المقدسة لتخويف العصافير وابعادها عن حقلهِ فهل تقبلون اعتذاره وتبررونهُ من الاثم كلاً · دعوا عنكم مثل هذه الاعذار الباطلة التي لا تفيد للخلاص واجتهدوا في ترك عادتكم الردية التي تجلب عليكم طوفان شرور مهلكة · واعلموا انكم تفترون على الله وايّ افتراء حينما تسالونه باحتدادكم ان يبلو هذا بالمرض وذاك بالوباء واخر بالموت وتتخذون وظيفة الحاكم وتجعلون الله خادماً وجلاداً لحكمكم · فالويل ثم الويل لمن يستخدمون الله ويستعبدونهُ لاتمام خطاياهم كما قال اشعيا النبي (ص ٤٣ ع ٢٤) فاستغفروا الله عما فرط من السنتكم في الماضي من هذه الاثام والتمسوا منهُ تعالى ان

يحفظ افواهكم قائلين مع داود النبي اقم يارب حارسًا لفمي وحافظًا لشفتي مجددين مقاصدكم الصالحة في ابتداء كل يوم وافرضوا قانونًا على انفسكم كل مرة يزل لسانكم بلعنة او تجديف وعودوها على التسبيح عوض التجديف وعلى البركة بدل اللعنة لتستحقوا ان تباركوا الله في هذه الحياة وفي الاخرة بشفاعة مريم البتول وجميع القديسين الذين يسبحونه تسبيحًا خالدًا في الفردوس السماوي امين

في تقديس الاحاد والاعياد

قال الله في سفر (الخروج ص ١٠) ستة ايام تعمل فيها عملك واليوم السابع للرب لا تعمل فيهِ ادنى عمل. نعم ان الله خالق جميع الناس وعليهم جميعًا ان يخدموه غير انه قد خصص بعضًا منهم ليقوموا بخدمته دائمًا وهم الرهبان والكهنة بقولهِ انا اخترتكم من سائر الشعوب لتكونوا لي (احبار ص ٢٠ ع ٢٦) وخلق جميع الامكنة وفوض امر استخدامها الى الانسان فيحرث بعضها ويغرس بعضها ويبني بيوتًا ودورًا في بعضها الا انهُ قد عين لذاتهِ من هذه الاماكن الكنائس والمعابد ليتقدم لهُ فيها انواع العبادة وخلوص التقى بما يليق لجلالهِ الالهي هكذا خلق الله الازمنة وصرف الانسان ان يستخدمها لنفعهِ وانما قد خصص منها في كل سبة يومًا لاكرامهِ وهذا اليوم يدعى يوم الرب دلالة على انهُ

لا يجوز للمسيحيين ان يباشروا فيهِ الأما يأول لمجد الله وتكريمهِ .
فتقديساً ليوم الرب هذا يلزم امران الامتناع عن الاعمال الخدمية
ومباشرة الاعمال الروحية فالاعمال الروحية الواجبة على المسيحي في
الاحاد والاعياد نبقيها لخطبة اخرى واما الان فنتكلم عن الاعمال
الواجب الامتناع عنها في الايام المختصة بالله وان من يخرق قداستها
بما لا يجوز عمله فيها يستحق اشد قصاص وقبل الشروع بذلك ...
ان الناموس الطبيعي يعين لكل امرهم وقتاً خاصاً بهِ وقتاً لهطل
الامطار ووقتاً لانكفافها وقتاً لعقد الاثمار ووقتاً لنضجها وقتاً لهبوب
الرياح ووقتاً لسكونها وقتاً لطبخ المعادن ووقتاً لتكوين الدر الى غير
ذلك فمن الواجب ان هذا الناموس يكون قد عين زماناً من الازمنة
خاصاً بالديانة المتوجبة للخالق الامر الذي هو اكثر اهمية من كل ما
سواه وعلى هذا الناموس مشى الناس من آدم الى موسى فهابيل خصص
وقتاً لخدمة الله وكان فيهِ يقدم الذبائح من ابكار غنمهِ ومن سمانها
(تكوين ص ٤)ونوح البار ايضاً عين وقتاً بنى فيهِ مذبحاً للرب
واصعد عليه محرقات لله (فيه ص ٨) وما من منكر ان ابراهيم اب
الاباء كان يكثر من تخصيص هذه الاوقات صارفاً اياها تارةً بالتوسل
اليه تعالى عن اهل سادوم وآونةً بتميم اوامره القدوسة . وفي ايام موسى
قد تعين السبت لخدمة الله بامره تعالى وذلك بقوله احفظ يوم السبت
وقدسه وكانوا يراعون هذا اليوم كل المراعاة واي من خرقه كان
يعاقب برجم الحجارة . واما الكنيسة المقدسة فقدبدلت السبت بالاحد

اجلالاً لقيامة السيد المسيح الذي فيه قام من الموت وفيه ارسل روحه القدوس الى تلاميذه في علية صهيون · وقد فرضت ايضًا بعض اعياد زيادة على الاحد لتكثر افعال العبادة وتمارس باوفر نشاط · غير ان لوسيفوروس خزاه الله من حين قصد ان يكون شبيهًا بالعلي لا يزال مجتهدًا في ان يرتفع فوقهُ ويختلس مجده تعالى ويخصه لذاتهِ فيامر جميع الشياطين قائلاً هلمَّ نبطل كل عياد الله من الارض (مزمور ٧٣ ع ٨) ونجعلها اعيادًا لنا ونقاوم مجد الله ونعيق خلاص البشر · والامر المرثى لهُ هوان اكثر المسيحيين في عصرنا هذا يسعون مع الشيطان في ملاشاة الاعياد وتدنيس ايام الاحاد بممارسة الاعمال الخدمية كالتجارة والصناعة والفلاحة والزراعة وما يتفرع منها فيخالفون وصية الله ويتبعون تحريض العدو الجهنمي الذي يصنع كما صنع ابولونيوس قايد جيش انطيوخوس الملك فهذا القايد دخل مدينة اورشليم بوجه السلام واستمر على هذه الحال الى يوم عيد فلما راى الشعب خرج ليتنزه وثب عليهِ وملأ المدينة دمًا · وابليس المثلث الخباثة يبان في ايام الشغل كانهُ مستغرق بنومٍ ثقيل غير انهُ يثب على النفوس في ايام الاحاد والاعياد فاتكًا بها ويملأها شرورًا فيقسم جنوده ثلاثة اقسام يسميها القديس يعقوب الرسول ارضية · وحيوانية · وشيطانية · (ص ٣ ع ١٥)

فالقسم الارضي يحرك الناس الى ربح الخيرات الارضية وهو اشبه شيء بفرعون الظالم ذاك الذي لما راى شعب اسرائيل ذاهبًا الى البرية ليقدم الذبائح لله قال لهم اذهبوا الى اشغالكم (خروج ص ٥) هكذا

يقول هولاء الابالسة للموءمنين لماذا كل هذه الاعياد اذهبوا الى اشغالكم ؛ يقولون للتجار اذهبوا الى السوق وافتحوا المخازن بيعوا ما يتيسر بيعه لئلا يفوتكم ربح هذا النهار. لكم اسوة بامثالكم تشبهوا بهم واربحوا نظيرهم . ويقولون لارباب الصنائع اذهبوا كملوا ما ابتدأتم بهِ من نهار امس من مصنوعاتكم لان اصحابها يضطرون اليها واذا تاخرتم عن اتمامها لا يعودون اليكم ثانيةً فيفوتكم الربح الذي تحتاجونهُ لقيام معاشكم. ويا ما اكثر الذين يسمعون وساوس ابليس ويجرونها بالعمل . فترى اي امرلا يرون الاحد موافقًا لهُ فيرونهُ موافقًا للتجار للبيع والشراء والاخذ والعطاء ولابرام العقود وكتابة الصكوك . وموافقًا لارباب الصنائع ليسافروا من مكان الى مكان بحجة استيفاء مالهم ولو فاتهم استماع القداس . ومثلهُ سوقة الدواب والعربات الذين لا يميزون يومًا من يوم بل يسلبون يوم الرب ويدنسونهُ بمسبات الدين والكلام الذي يفسد الضمائر . فتراهم لا يحضرون القداس ولا يتممون شيئًا من فروض ديانتهم . وموافقًا لاصحاب الاملاك الذين يستدعون الفلاحين لعمل العونات في الزراعة والفلاحة والحصاد وجلب الحطب متعللين بعلل فارغة لا تغني عنهم مثقال ذرة يوم الرب . موافقًا للعجن والخبز وللخياطة ولغسل الثياب ورقعها . وكل ذلك بدون داعٍ معقول ولا اذن ممن لهُ ان يفسح من هذه الشريعة عند الاقتضاء فمخالفات كهذه هي اثم . فان الله قسم الايام بيننا وبينهُ كما قسم اشجار الفردوس بينهُ وبين ادم فاخذ شجرة واحدة واعطى ادم باقي الاشجار فما حكمكم بهذه القسمة

هل يوجد فيها غبن على ادم كلاَّ ومع ذلك قد تعدى على قسم باريه وأكل من تلك الشجرة المنهى عنها · فهكذا اعطانا ستة ايام وابقى لذاتهِ يومًا واحدًا فيطمع البعض عليهِ ويتعدى حدود القسمة ويشتغل في الاحاد اكثر من سائر الايام وما هذا الا من اعتبارهم خيرات الارض اكثر من خيرات السماء وياخذون ما لله ويخصونهُ بقيصر جسدهم ويثمنون الاشياء الارضية باغلى الاثمان والاشياء السماوية بثمنٍ بخس وما اشبههم بيهوذا الدافع الذي ثمَّن الطيب المفاض من المجدلية على رجلي ابن الله بقولهِ ان كان يمكن ان يباع هذا الطيب باكثر من ثلاثماية دينار ولكنهُ لما ثمن رب السماء والارض يسوع المسيح جعل الثمن ثلاثين دينارًا · هكذا نرى اهل العالم يثمنون بطفنة كل الارضيات واما ثمن السماويات فيجهلونهُ بالكلية · فتراهم لا يدعون فرصةً ولو زهيدة من ايام الشغل ان تمضي بدون مكسب زمني واما ايام الاحاد والاعياد فيبدرقونها سدًى

فيا ما اشد انتقام الله من اولئك القليلي الديانة الذين يخالفون هذه الوصية فاننا نرى الكتب مشحونة من الاخبار التي تعلن انتقام الله منهم · فمنها ما جآء في (ص ١٥) من سفر الاعداد عن رجل اسرائيلي التقط حطبًا يوم السبت فقبض عليهِ الشعب وبامر الرب اخرجوه خارج المحلة ورجموه بالحجارة . ومنها ما ذكره القديس بوناونتورا وبارونيوس المؤرخ ان احدى القرى قد اشتغل اهلها في يوم عيد فاحترقت تلك القرية في مساء ذاك النهار . وقد ذكر في التواريخ انهُ

في سنة ١٢٠١ ظهرت رسالة فوق جبل الجلجلة واستمرت معلقة في الجو ثلاثة ايام وبعد هذه الايام الثلاثة اقتبلها البطريرك زكريا وقرأها على سماع الشعب واذا بها وعيد وتهديد بان الله عتيد ان يمطر على سكان اورشليم ماء مغليًا وحجارة ويرسل اليهم وحوشًا خاطفة ويحجب عنهم نور الشمس واخيرًا يحدر عليهم نارًا من السماء تحرقهم كما احرقت اهل سادوم ان لم يحفظوا يوم الاحد ويقدسوه

والقسم الحيواني يحرض الناس ان لا يصرفوا ايام الاحاد والاعياد بمهمات البطن فتراهم يصرفون بالنهم والسكر كل ما يجمعونهُ ايام الشغل فكأن بطونهم الهتهم او كأن نهار الأحد تعين لهذه الغاية وبعد ان تمتلي بطونهم وتثقل قلوبهم من الشبع المفرط والسكر تنطلق السنتهم الى التكلم بما لا يليق واعينهم الى المناظر الخطرة وتنفتح اذانهم لاستماع الملاهي والاغاني السمجة والكلام الذي يفسد الضمائر السليمة . وتمتد ايديهم الى الضرب والسلب واللمس الغير المباح وما اشبه من الفواحش وشواهد ذلك عديدة . منها ما صنعه فرعون اذ كان منهمكًا بالاكل والشرب امر ان يشنق احد غلمانهِ وهو رئيس الخبازين . وحمنون قتل في وليمة اخيهِ ابيشالوم . واليفانا ذبح بعد افراطهِ من شرب الخمر . وهامان علق على خشبة بعد قيامهِ عن مايدة احشوروش وهيرودس في حال القصف امر بقطع راس يوحنا المعمدان وشعب اسرائيل بعد ان اكل وشرب وامتلأ بطنه نهض الى عبادة الاوثان ساجدًا للعجل لان الامتلا يولد شرورًا متنوعة كما ان غرس الاشجار وقطعها في انتصاف القمر

يكون سبباً لان تفسد وتربي دوداً لكثرة الرطوبة في الزمن المذكور هكذا كثرة الاكل والشرب تولد دود الخطايا في الانسان وتفسد مزاجه وتبعده عن الله ولقد صدق من قال ما ملأ ابن ادم وعاء شراً من بطنه

والقسم الشيطاني ينتظر ايام الآحاد والاعياد لكي يحرض الشبان والبنات والرجال والنساء الى الزينة الباطلة ويحثهم الى العجب بملبوسهم وتزيين اجسادهم ويستخدم الرجال بمنزلة فخ لاقتناص النساء كما فعل شبان سبط بنيامين فانهم لما عرفوا ان في مدينة شيلو عيداً للرب ذهبوا هناك ودرسوا الفخاخ للبنات واختطفوهن" (سفر القضاة ص ٢١) وهكذا يستعمل النساء بمنزلة شبكة لاصطياد الرجال فانه يحرض الامرأة لتتزين بافخر ما عندها من الثياب واثمن ما لها من المصاغ وتذهب الى الكنيسة لترى الناس ويروها وبزينتها الخارجة الباطلة تشير الى ما داخلها من الفساد لان لباس الجسد وسيرة الانسان تخبر بما هو (ابن سيراخ ص ١٩) فالنعش لا يكون مزيناً الاَّ حينما تكون فيهِ جثة ميت هكذا الناس المخدوعون بالاباطيل لا يوشحون اجسادهم بالملبوس الخارج عن حدود الادب الاَّ متى كانت انفسهم ميتة بالخطايا ويشبهون القبور المكلسة التي ترى من الخارج مزينة ومن داخل مملوءة من عظام الاموات

واهاً عليكِ ايتها العبادة وويحاً لكِ ايتها المضطهدة ترى اين تجدين لكِ صديقاً صدوقاً ونرى الجميع قد نسوكِ فمنهم من شغله عنكِ حب الارضيات . ومنهم من تلاهى بملاذ الجسد والزينات

الباطلة · اين تلتجئين ايتها الطاهرة أفي البيوت حيث الاجتماعات والسهريات ذات المجون او حيث تكون الملاعب الخالية من رائحة الاحتشام والادب · او في البساتين التي فيها ينصبون بظل كل شجرة صنم الزهرة ويسجدون لهُ مقدمين حمل العفاف ذبيحة لاميالهم الذميمة · او في الحقول والبرية حيث يطلقون عنان الحرية متممين ما فاتهم من ملاذ اجسادهم · اتلتجئين الى الكنائس التي تحمي من دخلها ولو مذنبًا ولا يخرجه من هناك غاصب بل نرى الجنود ينتظرونهُ خارجًا ولكن ويحك قد خاب املكِ هوذا جنود لوسيفورس المزينون والمزينات قد اقبلوا ليحرحوكِ اذا يجيشون ضدكِ افكارًا وحركات شيطانية جهنمية · فيا ايتها الفضيلة الشريفة استغيثي بالملائكة ليسعفوكِ على جنود الابالسة اطلبي من السيد المسيح لياتي بتلك المخصرة ويطردهم من بيتهِ فالحكيم يخصص لكل شيء وقتًا فاي متى يكون وقتكِ هل في زمن الاعراس حيث الرقص والغناء والطرب او في زمن الشغل اذ يسمع الكلام السفيه من الفعلة واصحاب الحوانيت والمكارين الذين يسبون الدين متشاتمين متخاصمين · فلربما انكِ تنتظرين يوم الاحد والعيد الذي يجب ان يكون كلهُ لكِ ولكن باطلاً تنتظرين لان جنود الشيطان قد خطفوهُ وخصصوهُ لمولاهم · اما تشاهدين الرجال والنساء في مثل هذه الاعياد مجتمعين بحالة تشمئز العيون ان تنظر الى ملابسهم ذات الخلاعة وحركاتهم العديمة الحياء وتنفر الاذان من استماع كلامهم المملوء دعوةً · وماذا نقول عن الذين يشخصون من مكان الى

مكان قاصدين ان يحضروا بعض اعياد مشهورة على سبيل التنزه والفرجة فيذهبون في مساء ذاك العيد احزابًا احزابًا من كلا الجنسين فيصرفون ليلة العيد بما يشوّه محاسنه ويكدر صفوه ويبدلون القداسة بالرجاسة ويمزجون السرور بالشرور والصلوة بالاغاني والبذخ كأن الافراح قائمة بما في الاقداح او كأن الاعياد فرضت للسكر لا للشكر فيالهذا الانعكاس المحزن كيف لا تتحرك عظام القديسين ضد مثل هولآء الذين يحتقرون اعيادهم بقبيح عاداتهم ويدنسون الايام المكرسة للعبادة واحيا روح الديانة في نفوس المومنين ويلقون حجر المعثرة والشك في سبيل السذج النقية قلوبهم ولا يبعد ان يشركوهم بجرائرهم ويقودونهم الى مآربهم ويقنعوهم بان شرط المرافقة موافقة وحق المجالسة مجانسة ولا يصدهم عن ذلك لا خوف الرب لان ليس خشية الله امام عيونهم (رومية ص ٣) ولا منع روساء الاديان عن مثل هذه الاجتماعات المستهجنة لانهم نبذوا عنهم كل طاعة لخدمة الدين ونوّاب الله ولا اوامر ولاة الامور المشددة بهذا الشان وطالما سمعنا وقوع حوادث مهمة ومغمة في مثل هذه الاجتماعات من تضحية عرض وسفك دم وخسارة اموال الى غير ذلك من الشوءون التي تفتت الاكباد وتدمي العيون وهيهات من ينتبه اليها ويندم عليها . فالواجب على المسيحي ان يتحاشى مثل هذه الاعمال الذميمة ويقدس بقداسة سيرتهِ الايام المختصة بالله لينال فائض البركات السماوية والارضية بشفاعة القديسين المقربين اليهِ تعالى ونعمة الثالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس آمين

في القداس الالهي

(قال ابن سيراخ في ص ٢٠ ع ٣٢) ما المنفعة من كنز مخبأ

انهُ لامر واضح ان الانسان المستغرق بالديون لا يسره شيء مثلما اذا علم انهُ يوجد في حقلهِ كنز يكفي لوفاء ديونهِ والتخلص من مطالبة غرمائهِ ولهذا لا يبالي بتعب ولا يعبأ بنصب بل يجد بكل قوتهِ باحثاً عن مكان ذلك الكنز ليتمكن من التمتع بهِ والحال ان الانسان مديون لله ديوناً يعجز عن ايفائها ديوناً لو قدم الملائكة والناس جميعهم افعالهم واتعابهم حتى دمهم لا يقدرون ان يفوا جزءا صغيراً منها لانها غير متناهية والمخلوقات كلها متناهية ويوجد كنز كافٍ لوفاء ما هو مترتب عليهِ من الديون ولا يقتضي لتحصيلهِ الاَّ تعب يسير وزمان قصير وهذا الكنز انما هو القداس الالهي الذي يلتزم المومن ان يحضره كل احد وعيد باصغاء وعبادة واذ قد بينا في العظة السابقة ما يجب على المسيحي ان يعملهُ من الاعمال الخدمية في مثل هذه الايام فوجب علينا الان ان نوضح ما يلزم عملهُ من الاعمال الروحية المبرورة وخاصةً حضور الذبيحة الالهية قاسمين خطابنا هذا الى قسمين ففي الاوَّل نبين عظمة الخيرات المكنونة في هذا الكنز الروحي وفي القسم الثاني كيفية الاشتراك بها والحصول عليها وقبل الشروع . . .

قال داود في (مزمور ١١٥) بماذا اكافي الرب عن كلما اعطانيه اخذ

كاس الخلاص و باسم الرب ادعو. ان الحقوق المتوجبة علينا لله هي كثيرة وانما نحصرها مع المعلم الملائكي باربعة انواع حق الاكرام لهُ والاستغفار لتسكين غضبهُ عن جرائرنا. والشكر لاحساناتهِ الغزيرة. والتماس ما نحتاجه من فيض نعمهِ· فالنبي المتقدم ذكره لما تأمل عظمة هذه الحقوق الخطيرة اخذ يحدث نفسهُ قائلاً بماذا اكافي الرب· فاي اكرام استطيع ان اكرم بهِ رب السماء والارض المالىء الكائنات ومصدر جميع الكمالات واي تسبيح اسبح بهِ جلالهُ نظير كثرة عظمتهِ· وكيف استرضيه عن ثقل اثامي التي تعالت فوق راسي ومثل حمل ثقيل ثقلت عليَّ واي شكر اشكرهُ بهِ على فائض احساناتهِ التي لا تحصى وباية دالة التمس من جوده تعالى احتياجاتي وانا مجرم امام عزتهِ وبالاثام حبل بي وبالخطايا ولدتني امي فعندها راى بعين النبوة ابن الله يسوع المسيح ماسكاً بيده كاس دمهِ الطاهر ويناولهُ الى مختاريه وتصور ذاته قائماً فيما بين شعبهِ فقال كاس الخلاص اقبل وباسم الرب ادعو فيتضح لنا من هذا ان الذبيحة الالهية التي تتم في القداس لتتكفل بايفاء هذه الحقوق جميعها· وبدونها لا نستطيع ان نفي ولا جزءاً صغيراً كما نبين لكم

ان جميع النواميس تفرض على الخليقة الاكرام للخالق اكراماً يليق بعزته الغير المتناهية لان كل عظمة تستلزم توقيراً يوازي جلالها والحال ان عظمة الله هي غير محدودة فتقتضي منا اكراماً غير محدود ولما تأمل ذلك ميخا النبي صرخ قائلاً بمَ اتقدم الى الرب وانحني لله العلي ابمحرقات اتقدم اليهِ وبعجول حولية ايرتضي بالوف الكباش وربوات انهار

الزيت أأبدل بكري عن اثمي وثمرة بطني عن خطية نفسي (ص٦ ع٦)
فلا يوجد في البحر ولا على الارض قربان اهل لان يقدم اكرامًا لله سوى
الله وحده وهذا يتم في الذبيحة الالهية حيث يتقدم ابن الله ذاته وبهِ
نوءدي لله من الاكرام ما يستحقهُ جلالهُ الالهي الاكرام الذي لا يمكن ان
يشتهي الله او يخترع اعظم منه . فمن لي بان يجعلني ان اتمنى ما كانت
تتمناه احدى الانفس التقية حين التهاب قلبها بمحبة الله وان اقول
معها ليت لي يا الهي الف لسان لكي اسبح كمالاتك ليت لي قلوبًا توازي
قلوب البشر جميعهم لاحبك بها افضل محبة ليت لي كل الممالك
والاكاليل لاقدمها لك قربانًا ليتني امتلك كل ما تمتلكهُ الابرار
الذين على الارض والقديسون الذين في السما من الفضائل والكمالات
والاستحقاقات لكي اكرّم عزتك انا وحدي بمقدار ما يكرمها الابرار
والقديسون آملاً ان اسمع وتسمعوا انتم ذاك الصوت السماوي الذي
ناجاها قائلاً تعزي يا ابنتي العزيزة لان كل الاكرام الذي تشتهين
ان اكرّم بهِ يحصل لي بقداس واحد بل افضل من ذلك بمقدار لا حدَّ
له فمن هنا ينتج جلال عظمة القداس الالهي الذي بهِ يكرم الله افضل مما
يكرمهُ جميع القديسين حتى لو فرضنا ان كل طغمات الملائكة وجميع
القديسين مع ملكتهم المجيدة مريم والدة الله تقدموا لدى عرش العزة
الالهية يكرموها وتقدم على ناحية اخرى كاهن سادج يقدم لله قداسًا
واحدًا لكان اكرامه لله يعلو ويفوق اكرامهم جميعًا بمقدار ما يفوق
السيد المسيح بلاهوتهِ الخلائق كافةً . فماذا يقتضي اكثر من ذلك لكي

تستعظموا الكنز الثمين المعطى لنا من الله في القداس الالهي الكنز الذي ليس نكرم الله بهِ الاكرام الواجب فقط بل الذي بهِ نسترضي الله عنا ونفي للعدل الالهي عن ماثمنا وفآء تاما وهذا هو الحق الثاني

اننا في القداس الالهي نسكن غضب الله عنا الامر الذي لا يمكن ان يتم الاَّ بوسيط الهي كالكلمة الالهي المتجسد ولذلك قال الله في العهد القديم لو ان موسى وصموئيل قاما تجاهي ليشفعا بهذا الشعب لا تعفي عنهُ نفسي (ارمياص ١٥) فبهذه الرعود كان يظهر الله غضبهِ على الخطاة ولهذا كانت الانبيآء وابآء الناموس القديم يهتفون نحو السماء ارسل يارب من انت عتيد ان ترسله ليستميح لنا المغفرة ويسكن سخطك علينا الى ان انحدر ابن الله من السماء وقدم نفسهُ ذبيحة لله لاجلنا وبها نال الخطاة الغفران بالذبيحة التي لولاها لكان الهلاك عمَّ الجنس البشري لا محالة ولكانت الارض المتدنسة كل يوم بطوفان الخطايا خربت وتلاشت اننا نعلم انهُ في العهد القديم بسبب خطية دنسة صدرت في شخص واحد سلم الله للموت خمسة وعشرين الف نفس قتلوا بالسيف في يوم واحد (قضاة ص ٢٠ ع ٣٥) ومن خطية عجرفة حدثت من داود لما احصى بني اسرائيل ضرب الله الشعب بوباء اهلك منهم سبعين الف رجل (ملوك ٢ ص ٢٤) وماذا جرى باهل بيت شمس الذين نظروا الى تابوت العهد بغير احترام فضرب الله منهم نحو خمسين الفا ماتوا في يوم واحد . فلمَ لا يصنع الله هكذا مع الناس في الناموس الجديد مع انهم الان اشر مما كانوا قديمًا . ولاي سبب

يحتمل الوفا من الادناس كل يوم ولا ينتضي سيف عدلهِ ويفني بهِ الدنسين · وما الذي يصده عن عقاب المتكبرين والمتجرفين مع انهم ملأوا الارض · وما الذي يمسك يده عن الفتك بالمزدرين ليس بالتابوت بل برب التابوت المنكرين حقائق الدين الراهنة · الا السيد المسيح الذي يقدم نفسهُ كل يوم وفي كل ساعة وفي كل مكان ذبيحة الاستغفار عنا في القداس طالباً لنا من ابيهِ الصفح والعفو . فمن هنا اتخذوا لكم نصيحة مفيدة جداً وهي ان كل مرة تحدث بلية عامة يجب ان تقدموا لله الذبيحة مراراً وتحضروها بعبادة وحسن تدين لانهُ لا يوجد واسطة اقوى واقدر منها على تخميد نار الغضب الالهي · لقد ذكر في تواريخ الشرق ان الهوآء فسد ذات مرةٍ في كل مكان فساداً مسموماً حتى ان الناس كانوا يموتون من استنشاقهِ في وسط الشوارع · فحينئذٍ اشار بيوكراتوس الطبيب الوثني بان يوقدوا ناراً في كل الاراضي ليتطهر بها الهوآء وقد صار كما قال . هكذا افعلوا انتم حينما يفتقدكم الله باحدى الشدائد قصاصاً عن كثرة الخطايا التى تفسد المنازل · اي التجئوا الى الكهنة واوقدوا بايديهم هذه النار المقدسة نار الذبيحة الالهية التى بعذوبة عرفها تطهر البلاد وتصلح الفساد . وتسكن امواج البلايا الثائدة علينا في بحر هذا العالم بسبب خطايانا لان الذي يتقدم في هذه الذبيحة ويشفع فينا هو ابن الله الطفل البري من كل عيب الذي ارضى اباه الازلي عن جميع الناس كقولهِ تعالى هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ ارتضيت (متى ص ٣ ع ١٧) لقد ذكر عن ذلك

الرجل المظفر الذي فتح الدنيا الجديدة انه لما راى يوماً ما مركبهُ ونفسهُ
في خطر الغرق وقد ضاقت بهِ الحيل ولم يعد يدري ماذا يصنع لينجو
هو ومن معهُ فعندها خالجهُ فكرٌ سعيد وهو ان حمل بغتةً على ساعديه
طفلاً صغيراً كان مع امه في المركب ورفعهُ نحو السما وطفق يصرخ
قائلاً. اللهمَّ حقًا اننا نحن خطاة ونستحق انتقامك . الآن هذا الطفل
بريء من الذنب فحبًا لخليقتك هذه النقية احفظنا نحن المذنبين ونجنا
من الغرق . فلما قال هذا حالاً سكنت الرياح وهدىء البحر . فبالحري
ان الآب الازلي يرضى عنا ويسكن تيارات بحر سخطهِ بواسطة الطفل
البري يسوع المسيح الموجود في القربان حينما يرفعهُ رئيس سفينة الكنيسة
اي الكاهن على يده هذا الطفل الذي ليس يكون صامتاً نظير ذاك
الطفل بل يصلي لاجلنا مع الكاهن ويطلب لنا جميع الخيرات فلا
شك ان الله الآب يستجيب صلواتنا في وقت القداس الذي هو وقت
الرحمة ولا سيما لان الذي نقدمهُ لهُ في هذا الوقت هو ابنهُ الحبيب فهلَّا
يمن بنعم وخيرات وافرة على من يقدم لهُ ابنهُ الوحيد وهو المكافي
بسخاء جزيل من يقدم لهُ كاس ماء بارد

وبغير هذا الابن الالهي لا نستطيع ان نوءدي الشكر التام لله
ونكافي الرب ادنى مكافاة . بماذا اكافي الرب عن كلما اعطانيه بماذا
اكافيه لانهُ ابدعني من العدم الى الوجود واختارني من بين الوف
ملايين كان ممكناً ان يخلقهم ولم يخلقهم بماذا اكافيه لانهُ حباني نفساً عاقلة
وميزني بها عن الحيوانات العديمة التعقل بماذا اكافيه عن الخيرات

الطبيعية اذ منحني صحة تامة وحواساً كاملة وخيرات وافرة الشمس تضي عليَّ وتنيرني وتسخّن اراضيَّ وتطبخ لي المعادن والهوآء لاستنشاقي والمياه لارواء عطشي وتنظيف ادراني واوساخي والنار لتدفئني وقضاء حاجاتي والارض لتعطيني قوتي والحيوانات والاسماك والطيور لخدمني بماذا اكافي الرب عن الخيرات الفايقة الطبيعة لانهُ اوجدني في حضن الكنيسة المقدسة وثبتني بالايمان ووطدني بالرجآء وجعلني ان احبهُ واشتاق الى الاتحاد بهِ وغرس في نفسي الخوف من العذابات الشديدة· بمَ اكافيه عن انقاذه اياي من شرور كثيرة ومخاطر عديدة كافية أن تبيد حياتي لولا عنايته الالهية بماذا اكافيه لانهُ اعطاني ابنهُ الوحيد وسيطاً يسكن سخطه عن ذنوبي ويمحواثامي بدمهِ الثمين فليس لي ما يوازي حسناته وغزارة مراحمهِ سوى ابنه الحبيب الموجود في هذه الذبيحة المقدسة ·انهُ قد ظهرت ملكة السماء لراهبة فاضلة وسلمت اليها ابنها الالهي قائلة لها اقبلي ابني هذا واستفيدي من حضوره فانا اخطابكم هكذا مع النبي اشعيا (ص٩) انكم اعطيتم طفلاً الهيًا ومعه اعطيتم كل كنز استحقاقاتهِ فاستفيدوا من هذه العطية واتخذوا من هذا الكنز ما يعوزكم وقدموه لله وفاء عن ديونكم العظيمة فكيف لا يرغب المومنون حضور القداس· وكيف لا يبادرون مسرعين الى ينبوع كل الخيرات مقدمين الشكر لله على جميع احساناتهِ المتواصلة

ومن هذا الكنز نلتمس كل ما نحتاجه مظهرين بطلبنا ان الله

وحده هو مصدر الخيرات ومعطيها لاننا نعلم من نفوسنا اننا في اشد احتياج الى اصغر نعم الباري تعالى واحساناتهِ الالهية ونتاكد من جهة ثانية ان اثامنا تجعلنا غير اهل لان يستجاب لنا. فالسيد المسيح اعطانا ذبيحة ذات فاعلية غير متناهية بها يستطيع كل بار وكل خاطئ ان يرجو نوال احتياجاتهِ. فليعتقد كل مومن انهُ حينما يقدس او يحضر القداس بعبادة ينعطف السيد المسيح الجالس عن يمين الآب في السماء ويقدم لابيهِ الازلي جراحاتهِ المقدسة متشفعة بنا ومعها يقدم لهُ طلباتنا الخاصة والعامة وباستحقاقات الامه نعطى كل ما نطلب حسب قوله تعالى كل ما تسالون ابي باسمي يعطيكم. ايها الخاطئ الاثيم اسأل مغفرة خطاياك من هذا الاله الغفور فيغفر لك كما غفر للص ولمريم المجدلية ايها المريض اطلب الشفا من هذا الطبيب السماوي ايها الفقير اطلب الغنى من هذا السخي الموزع نعم خيراته بجود وافر على ملتمسيها بحيث يكون التماسهم بايمان حي ورجاء وطيد واحترام بليغ حين حضورهم الذبيحة المقدسة كما نبين ذلك في القسم الثاني ..

ان المسيحي في حضوره الذبيحة الالهية يباشر وظيفتين وظيفة من يحضرها ووظيفة من يقدمها وكل ما يكتسبه منها انما يكتسبه باتقانه هذين الامرين. فحضورنا اياها يقتضي منا احترامًا بليغًا يليق بها. الاحترام الذي كانت تبديه الملائكة يوم تجسد المسيح بقولهم المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وللناس المسرة. الاحترام الذي ابداه الرسل وقت رسمه تعالى هذه الذبيحة الرهيبة في العشاء السرّي.

الاحترام الذي كان يبديه المؤمنون الاقدمون حين حضورهم لها
بقلوب خاشعة وعقول صاغية ودموع هاطلة مظهرين غاية الاعتبار
ومزيد التهيب كان الكنيسة فردوس وهم ملائكة متجسمون وهذا ما
يطلب منا نحن المسيحيين فكيف لا ونرى الوثنيين عند تقدمة الذبائح
لالهتهم الكاذبة كانوا يظهرون معظم الاحترام كما يتضح لنا مما ذكره
القديس امبروسيوس عن اسكندر الكبير انهُ لما كان ذات حين يقدم
ذبيحته لالهته وعن يمينه احد خدامه بيده شمعة موقودة وكادت النار
تحرق يده ومع هذا لم يلقِ ما بقي من هذه الشمعة محتملاً الحريق لئلا
يشوش مقدم الذبيحة ويبلبل الحاضرين . فلماذا لا نقتدي بهولاء
الوثنيين ونحترم الهنا القدوس كما كانوا يحترمون اصنامهم الباطلة .
وماذا كان يقدم في ذبائحهم سوى ثيران وعجول . وفي ذبائحنا يقدم
الحمل البري من العيب وابن الله نفسهُ اننا لو نظرنا بعين ايمان حيّ
عظمة الاسرار التي تكمل في القداس لا تضعنا امامها ملتصقين بالتراب
بازاء الحضرة الالهية ولكن وا اسفاه اننا نرى الاكثرين يستصعبون
كشف روسهم ولا يكلفون نفوسهم الركوع لمن تجثو لهُ كل ركبة من
في السماء وعلى الارض بل يستمرون واقفين محولين نظرهم هنا وهناك
فلا عجب اذا كانوا لا يجنون ثمرة من هذه الشجرة المحيية ويستمرون
فقراء ما بين كنوز ثمينة . انهُ قد كان ينبغي ان تدخلوا الكنيسة
كدخولكم السماء وانتم موعبون من الاحترام وبغاية الوقار . ناشدتكم
الله ايها المؤمنون واستحلفكم برب السماء والارض ان تقولوا لي لو كنتم

على جبل الجلجلة يوم مات ابن الله متالماً كيف كان حضوركم هناك هل كنتم تقدرون ان تمنعوا هطل العبرات من عيونكم أو كنتم تستطيعون ان تمسكوا قلوبكم عن التخشع واكبادكم عن ان تتفت . كلاّ والحال ان الذبيحة التي تحضرونها اليوم هي نفس تلك وليس هذا الوقت الاّ وقت التذكر بما احتملهُ ابن الله من الالام والاوجاع عنكم حسب قولهِ تعالى اصنعوا هذا لذكري . قال الله واما مقدسي فهابوه انا الرب (احبار ص ٢٦ ع ٢) فان كان تعالى طلب مثل هذه المهابة والوقار في هيكل الناموس القديم فاي وقار يطلبهُ منا في الكنيسة حيث يوجد بذاتهِ الالهية حقيقةً وهل يليق بنا ان نبلبل بمحادثتنا اصوات الملائكة والقديسين والسيد المسيح الذين يشفعون بنا في مثل هذا الوقت ونغيظ العدل الالهي بخطايا جديدة حينما رب المجد يقدم ذاته ذبيحة الاستغفار عن خطايانا السالفة . وهل يجدر بالمذنب القائم بازآء قاضيه ان يستهزئ بمن يشفع بهِ ويتلهى ضاحكاً اما يجب عليهِ ان يميل بقلب القاضي الى الرأفة باظهاره التذلل والخضوع مقدماً خالص الامتنان للذين يشفعون فيهِ لدى هذا القاضي . . . نعم ان الكاهن هو الذي يقدم هذه الذبيحة ولكن ينبغي ان الحاضرين يشتركون معهُ في تقدمتها فلهذا يقتضي ان يقدموها بنقاوة قلب وطهارة ملائكية وليثقوا كل الثقة انهُ في حال تقدمتهم هذه الذبيحة الالهية تنفتح السماوات وتندهش الملائكة متحيرة ويسبح القديسون ويبتهج الصديقون وينعتق الاسرى ويطلق المسجونون وينوح الجحيم وتتهلل الكنيسة بروحها فباي اكرام

اذًا وباية مهابة ووقار يجب ان نكون محترمين هذه الذبيحة التي بها
نستطيع ان نكرم عزته الالهية اكرامًا يوازي جلاله ونسكن غضبهُ عن
كثرة جرائرنا ونشكره شكرًا يقابل غزير احساناته الينا وننال كل ما
نحتاج اليه · وليفتكر كل منا في ابتدا القداس انه هو ذاك العبد المذكور
في الانجيل المديون لسيده بعشرة الاف وزنة وان العدل الالهي يطالبه
قائلاً رد لي مالي عليك وليجثُ امام عزته الالهية قائلاً تمهل عليَّ يارب
لاني سافي كل ما لك عليَّ دعني احضر هذا القداس الالهي وبهِ أفي كل
ديني وفاءً تامًا لاني وان كنت عاجزًا عن ايفائهِ مالي الا اني ساجد في
جراحات مخلص ما يكفيني ومن هذا الكنز الغير المحدود اتخذ ما يعوزني
اجعلني اللهمَّ ان احضر هذه الذبيحة كل يوم وانا بغاية التهيب والعبادة
لاجتني ثمار الخلاص بنعمة الثالوث الاقدس الاب والابن والروح
القدس امين

عظة في اكرام الوالدين

قال الله في ص ٢٠ من سفر الخروج اكرم اباك وامك ليطول
عمرك في الارض

انه لواضح ان اكرام الاباء من الامور الملزمة الابناء الزامًا توجبه
عليهم نفس الحياة التي اتخذوها من والديهم بدون عوض ولم يترتب عليهم

لقاء ذلك الا ان يصرفوها باكرامهم ليستحقوا ان يتمتعوا بها زمنًا طويلاً حسب قوله تعالى المتقدم اكرم اباك وامك ليطول بقاوك وان اساوا التصرف بها بعدم توقير واحترام من هم علة وجودهم على الارض يستوجبون ان تنزع منهم قبل الاوان وعليه نرى في المبادي الطبيعية ان الفرع لا يخلو من فوائد لاصله فالاغصان والاوراق تحمي الشجرة بفيئها من شدة الحر وتتلقى البَرَد والمطر وقاية لاصلها · ونرى الاعشاب تستر الارض التي هي بمثابة ام لها وكانها تخفي ما يكون بها من العيوب كالشقوق · وتمنع الحرارة الشديدة من تخفيف الرطوبة منها هكذا يلزم الاولاد الذين هم فرع الوالدين ان يحنوا على اصلهم ليوقوهم ضرًا ويجدوهم نفعًا والنتيجة ان الزام الاولاد نحو ابائهم مبني على ثلاثة احسانات نالوها منهم وهي الحياة · والقوت · والتربية. فيجب عليهم ان يكافوهم بثلاثة امور · الاكرام · والاسعاف · والطاعة · وعلى ذلك مدار خطابنا الان على سماعكم فاحسنوا الاصغاء ·

ان اول خير نتخذه من والدينا هو الحياة التي لا يوازيها خير من جميع خيرات هذه الدنيا ولاجلها يجب علينا ان نكرمهم اكرامًا بليغًا ويكونوا لدينا بمنزلة نواب الله على الارض ولهذا نرى ان الله بعد ان اوصى باكرام عزته الالهية بالوصايا الثلاث الاولى من وصايا العشر امر باكرام الوالدين بقوله اكرم اباك وامك ويزيد ذلك اثباتًا ما قاله ابن سيراخ من يخشى الرب يكرم ابويه ويخدم والديه بمنزلة سيدين له (ص ٣ ع ٨) وهذا الاكرام ينبغي ان يكون بالفعل · والقول · والصبر. كقول ابن سيراخ

اكرم اباك بفعالك ومقالك بكل اناة (فيه ع ٩) فيجب عليك ان تكرم علة وجودك اولاً بالفعل اي ان تستشيره في جميع الامور المهمة كالسفر الطويل والاشغال الكبيرة وانتخاب الدعوة وما اشبه ولا تكن نظير الابن الشاطر الذي تغرب عن بيت ابيهِ بدون رضاه او نظير العيس الذي اقترن بالزواج ولم يشاور سوى نفسه وعملها هذا قد كان احتقارًا عظيماً لوالديها ولكن انظروا ماذا اصاب الاول من التعاسة والشقا وما قاساه من الاتعاب. الجوع اضواه. والتعب اضناه. فقد امواله وراحته وشرفه واضطر الى رعاية خنازير منتنة حالته دون حالتها لانها كانت تشبع وهو يتضور جوعًا. واما ما اصاب الثاني اي العيس فلم يكن باقل مما اصاب الاول لانه صار ابًا للشعب الادومي الذي لعنه الرب وما اتعس حال من كان ابًا لشعب ملعون من الله. فالحكمة والفطنة تقضي على البنين ان يتخذوا مشورة والديهم في كل امر معتبر كقول الحكيم يا بني اسمع نصائح ابيك ومشورة امك لا ترفضها كي تزداد هامتك شرفًا ويتزين عنقك بطوق. ثانيًا يجب عليك ان تكرم والديك بالكلام فخاطبهما بالفاظ ذات لين ورفق مظهرًا لهما وجهًا بشوشًا لا عبوسًا فانتقام الله شديد من البنين الذين يشتمون والديهم ويدعون عليهم ويلعنونهم ويعاملونهم معاملة احقر خدامهم. ثالثًا يجب اكرام الوالدين بالصبر فاحتملهما في حين الشيخوخة كما احتملاك في حين طفوليتك ولا تكن نظير الاولاد العقوقين الذين متى رأوا والديهم قد طعنوا في ايامهم يعدوهم احمالاً ثقيلة ويعاملوهم كاناس عديمي العقل كانه قد استولى

عليهم الخرف . فاصغَ لصوت الرب القائل بلسان الحكيم يابني احتمل اباك في زمن شيخوخته ولاتحزنه في مدة حياته وان ضعف عقله داره ولا تهنه وانت في وفور قوتك فان الرحمة للوالد لا تنسى وباحتمالك هفوات امك تجزى خيراً (ص ٣ ع ١٤) وتذكر ما قاسياه في زمن طفوليتك كم قلقت نومها بصراخك وكم سجست سلامتها بدموعك تذكر . . .

الخير الثاني الذي نلناه من والدينا هو القوت الضروري لحفظ الخير الاول اي الحياة فمقابلة لهذا يلتزم الابن ان يسعف والديه ويعني باحتياجاتهما وفي حال الضرورة القصوى يلتزم ان يهتم في لوازمهما مفضلاً اياهما على امراتهِ واولاده حتى على نفسهِ ولكن ما اكثر الذين لاجل اميالهم الفاسدة تضحى قلوبهم اقسى من الجلمود على والديهم فتراهم يتبججون في ملاذ اجسادهم في الولايم واباوهم يتضورون جوعاً ويتعظمون بالملابس مفتخرين كالطاووس واباوهم عراة ويا ليتهم يجودون على والديهم العراة بما يفيض عن موض نسائهم فليمض مثل هولاء ويتعلموا من طير السنونو التي متى رأت امها قد نثر ريشها من الهرم فتاتيها بالطعام بمنقادها وفي حال شدة البرد تسترها بريشها وقاية لحياتها .بكافاةً لها عما كانت تصنعه معها وهي صغيرة حين كانت لحماً بدون ريش . .

الخير الثالث الذي اعطيناه من والدينا هو التربية نمقابلة لذلك يلترم الابن بطاعة والديه في كل الامور الجائزة ولنا في ذلك نموذج

اسحق الذي اطاع اباه ابراهيم حتى الى الموت · ما اسعد حظك يا ابراهيم بهذا الولد المبارك المطيع الذي صعدت بهِ الى الجبل لتذبحهُ قربانًا لله وهو طائع كالحمل لا يفوه بكلمة ولا يبدي ادنى مقاومة . ويا ما اشرف طاعتك يا ايها الابن المحبوب اسحق التي حركت قلب الرب حتى ابدع في الحال كبشًا يفتديك · فيا ايها الوالد لا يلزمك ان تقدم ابنك ذبيحة لله نظير ابراهيم بل يلزمك ان تقدمهُ الى الكنيسة ليعترف ويسمع كلام الله ويتمم واجباتهِ . ولا يلزمك انت ايها الولد ان تطيع اباك حتى الموت مثل اسحق بل يلزمك ان تطيعهُ في الامور الآيلة لنجاحك وحسن سمعتك ولراحة ضميرك واعلم انك اذا خالفتهُ بامر معتبر تأثم اثمًا ثقيلاً كما اذا قال لك لا تعاشر فلانًا الردي السيرة ولا تذهب الى الخمارة ولا الى الاماكن المنصوبة فيها احبولة الشيطان لا تخرج من البيت ليلاً وما اشبه ذلك · وماذا نقول عمن يريد ان يدبر الامور على مراده وهواه مجاوبًا اباه بعتو قائلاً لا افعل · اعمل شغلك · ليس لك عليَّ سلطة · ضجرتني · قلقتني · انا اعرف شغلي · فخيرٌ لمثل هذا الولد لو لم يولد لانهُ يكون حسرة كبيرة ونقمة شديدة لوالديه · وخيرٌ لوالده ان يكون بدون ولد عاصٍ عقوق متمرد مثل هذا الابن المسخ

فلو علم الاولاد كم ينالون من الخيرات والبركات من الرب باكرام والديهم واسعافهم والطاعة لهم لزادوا في محبتهم وبالغوا في اكرامهم واعتبروهم كذخائر في بيوتهم او لو يدرون كم يحل بهم من السخط واللعنات اذا تمردوا عليهم واحتقروهم لما اهانوهم بشيء ولذا اورد

الحكيم البركات لمن يكرم والديه واللعنات لمن يحتقرهما بقولهِ اولاً من يكرم اباه يطول عمره ومن يلعن اباه او امهُ ينطفي سراجه في وسط الظلمة (امثال ص ٢٠ ع ٢٠) شاهد ذلك ابشالوم الذي مات في زهرة الشبيبة لانهُ اهان اباه واثار الحرب ضده فانتهت حياته معلقاً بشجرة ومطعوناً بالحراب. ومثلهُ ما جاء في التواريخ الصادقة عن ولد من اسبانيا كان في سن ثماني عشرة سنة اجرم جرماً استحق بسببهِ ان يموت مشنوقاً واذ كان على المشنقة ظهر كانهُ في عمر تسعين سنة ذا لحية بيضاء ووجه مجعد وظهر محدوب فتعجب الناظرون من تغير حالتهِ بغتةً فحضر الاسقف وجمهور غفير ليروا هذه الحادثة الغريبة فحينئذٍ اوحي الى الاسقف ان هذا الشاب اسقط الله من عمره اثنتين وسبعين سنـــة لاجل مخالفتهِ والديه. هذا ما شهد بهِ القديس برنردوس وانهُ جرى في عصره. فليخشَ الابناء من الله ان يسلب منهم الحياة قبل انتصاف اعمارهم لانهم استخدموها لاهانة من منحهم اياها لا كرامهِ. ثانياً قال الحكيم من اكرم اباه سرَّ باولاده وفي يوم صلاتهِ يستجاب لهُ (ابن سيراخ ص ٣ ع ٢) ومن يهين والديه تهينهُ بنوه كقولهِ تعالى بالكيل الذي تكيلون يكال لكم وتزادون. خبرنا ارسطاطاليس عن رجل انهُ وثب ذات يوم على ابيهِ وجره ليخرجه خارج البيت فلما بلغ عتبة المنزل صرخ ذاك الاب المسكين قائلاً كفى ايها الابن العقوق فاني الى هنا فقط جررت ابي. وذكر ايضاً عن رجل اتى بقطعة من الخيش الخشن وصنع منها ثوباً لابيهِ الهرم وبقي منها قطعة صغيرة فكان لذاك

الرجل ابن حدث فاخذها وخباها فاذ سأل ابوه عنها قال ابنهُ انا اخذتها فاجابهُ ابوه هاتها يا ابني لنبقيها الى جدك فقال الولد انا ابقيتها لك حتى اذا كبرت مثل جدي اصنع لك منها ثوبًا فاعتبر عند ذلك الرجل واخذ يكرم اباه اذ لم يكن هذا الامر من ابن صغير كولده الاَّ باعجوبة من الله · ثالثًا من يكرم والديه تزيد خيراتهِ كقول الحكيم بركة الاب توطد بيوت البنين ولعنة الام تقلع اسسها (ابن سيراخ ص ٣ ع ١١) ولنا في ذلك خبر اورده القديس اغوسطينوس بقولهِ ان ارملة كانت لها سبعة بنين وثلاث بنات فاتفق ان جميعهم ضادوها في امر كانت ترغبهُ ومن غيظها دعت عليهم قائلة فليجعلكم الله ان لا تجدوا راحة لانكم سلبتم راحتي فكانت كلماتها كصاعقة انقضت على رؤُوسهم فارتعشوا كالمجانين ومات اكثرهم موتًا شقيًا · رابعًا من يكرم اباه يكرمهُ الناس ومن يحتقره يحتقرونه كقول الحكيم كرامة الانسان من كرامة ابيهِ ومذلة الام عارٌ للبنين (فيهِ ع ١٣) وشاهده ما جاء عن يوسف الصديق الذي كرم اباه الشيخ الزري اللباس الموعوك من مشقات الطريق فيما كان هو نائب الملك في مصر ولذلك زاد اكرامهُ عند الملك وعند جميع الناس · ومثلهُ طوبيا الصغير فمن اكرامهُ لوالديه استحق الاكرام ليس من البشر فقط بل من الملائكة ايضًا · خامسًا من يكرم والديه تغفر خطاياه كقول الحكيم (ص ٣ ع ١٧) وكالجليد في الصحو تحل خطاياك ومن لا يكرمهم لا يستحق المغفرة بل يكون موضوعًا للعنة كقولهِ تعالى من غاظ امهُ فهو ملعون من الرب ومن

خذل اباه فهو بمنزلة المجدف (فيه ع ١٨) وقد ورد في تثنية الاشتراع (ص ٢٧) ما نصهُ ملعون كل من لا يكرم اباه وامهُ ويقول كل الشعب امين. واما البركة الاخيرة فهي رجاء السعادة الخالدة لمن يكرم والديه كقولهِ اكرم اباك لتاتيك البركة من قبلهِ وبركتهُ تثبت الى الاخرة واللعنة الاخيرة لمن يهينون والديهم هي دفعهم بعد الموت الى الشياطين حسب معنى كلام الحكيم العين المستهزئة بالاب والمستخفة بطاعة الام تفقأها غربان الوادي وتاكلها فراخ النسر (امثال ص ٣٠ ع ١٧) فقد اتضح لك ايها الابن المبارك وفور البركات لمن يقيم بطاعة والديه وشدة اللعنات لمن يخالفهم فاختر لنفس ما يحلو غير اني ارغب اليك في ان تكون مجتهداً بما يكسبك رضاهما حتى يرضى عنك باريك القايل اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض

في تربية الاولاد

قال الله في لسان ابن سيراخ (ص ٧ ع ٢٥) ان كان لك بنون فادبهم واخضع رقابهم منذ صبائهم

ينبغي ان تعلموا ان مجد الله كلهُ ونمو الديانة باسرها. وخير الهيئة الاجتماعية وراحة المملكه الانسانية وفرح الوالدين ونجاح الاولاد متعلق بالتربية الحسنة. فاين تشاهدون الله مجداً على الارض

واسمهُ ممدوحًا ووصاياه محفوظة واين تعاينون الديانة مزهرة بالاعمال الصالحة كالتقدم الى تناول الاسرار المقدسة بتكاثر وزيارات الكنائس اليومية وعمل الرياضات الروحية . وفي اي مكان تجدون السلامة مستقرة والالفة المحبوبة ناشرة اعلامها . الا حيث يوجد اباء نظير طوبيا وامهات نظير والدة لويس ملك فرنسا ملازمين السهر على اولادهم وتعليمهم مخافة الله . واين تنظرون الوالدين موعبين سرورًا من بنيهم والاولاد مغمورين بالنعم من رضا والديهم عنهم وكأن منازلهم فردوس وسكانهُ ملائكة الاحيث وجد الاهتمام بتربية صالحة . وبالعكس اين تجدون الله مهانًا واسمهُ محتقرًا مجدفًا عليهِ بشتائم الدين والحلفانات الكاذبة ومخالفة باقي وصاياه الا حيث اهملت التربية الحسنة . واين ترون الاستخفاف بالديانة وفروضها والازدراء بها وبمن يثابرون على ما تقضيهِ عليهم الاحيث ترك الاولاد يعيشون على هواهم منذ صباهم . واين تشاهدون الخصام والشقاق والفتن وسلب الراحة العمومية من بين الجمهور الاحيث نفضت الاولاد من لبان الفساد وعاشروا من خلا من حسن المربي واين تسمعون تنهدات الاباء والامهات من البنين والبنات منغصي العيش لا تقر لهم عين ولا تطيب لهم نفس وفي قلوبهم نار الغم تكاد ان تفني اعمارهم قبل اوانها فهذا يكون من عدم التربية وطالما راينا مثل هولاء الاباء يودون الموت ليرتاحوا من اولادهم الاشقياء والاولاد يتمنون موت والديهم ليفلتوا من توبيخهم ويستولوا على اموالهم ليصرفوها بالبذخ والسكر ولعب القمار

وارتكاب المنكرات ومنازل هولاء الاباء والاولاد كانها صورة جهنم وسكانها ابالسة وبالجملة نقول انه بابطال حسن التربية تبطل كل الشرائع ويزول نظام العالم وتعود كل النصائح باطلة. وعليهِ وجب ان نتكلم عن لزوم التربية الحسنة مبرهنين ذلك ببراهين طبيعية والهية قاسمين خطابنا الى قسمين في الاول نوضح وجوب الاهتمام في ما يتعلق بامر الجسد. وفي الثاني فيما يختص بامر النفس آملين ان يكون لكلامنا وقع في قلوب الاباء والامهات وكل من ينوط بهم الملاحظة على من هم تحت سلطتهم وقبل الشروع ...

انهُ لما كان الاباء علة لابنائهم كان الزامهم بتربية بنيهم الزامًا طبيعيًا غير منفك لان العلة يخصها تكميل معلولها اذ نرى في الطبيعة نوعين من المعلولات احدهما يصدر كاملاً ولا يحتاج الى علتهِ كالماء الجاري من ينبوعه والنار البارزة من الزناد وهكذا كل معلول غير تام وغير حساس. وثانيهما يتلد ناقصًا ولهذا يستمر زمنًا ما في حضانة علتهِ لتكملهُ كالاثمار في الاغصان فلو حاولت قطف ثمرة قبل نضجها لشعرت بان علتها تردعك عن اخذها قبل كمالها لشدة تعلقها بمعلولها وكنتاج الحيوانات الذي تحتضنهُ علتهُ وتربيه بمحبة وافرة. غير ان منها ما تربيه امهُ وحدها وهو ما لا يحتاج لسوى الحليب كسخل الغنم ومهر الخيل وشبل الليث وعجل البقر وفصيل الناقة وما اشبه فهذه يتركها ابوها ولا يكترث لها بل لا يعرفها ولا تعرفهُ لعدم احتياجها اليهِ. ومنها ما يحتاج الى الاب والام كالطيور التي لم تعدّ لها الطبيعة لبنًا لانهُ

يثقلها ويعيقها عن الخفة اللازمة للطيران فالزمت الاب ان يعين الام بتقدمة الطعام للافراخ كما يرى في الحمام واليمام والحجل وغيرها وهذه العلل لا تكتفي بتقديم ما يلزم لمعلولاتها في الحاضر فقط بل تعلمها ايضاً ما ينفعها عند كبرها ومن ثم نرى الشاهين يعلم فراخه الصيد والدرفيل يعلم اولاده السباحة والاسد يدرب اشبالهُ على الافتراس والدجاجة تعود افرختها البحث في الارض والنسر يعلم افراخه الارتفاع بالطيران مع ان هذه العلل لا ترجو مكافاة من معلولاتها لانها متى كملت ايام التربية تفترق من بعضها فلا يبقى للعلة معرفة بمعلولها ولا للمعلول معرفة بعلتهِ. فمن هنا يتضح ان الانسان اشد التزاماً بتربية اولاده لان افتقار الحيوانات الى والديها اقل من افتقار الاولاد الى ابائهم لكون الحيوانات الغير العاقلة تولد مكتسية بالشعر او الصوف او الريش والانسان يولد عرياناً . فهي تتلد محدية . وهو حافٍ . هي تتلد مسلحة بعضها بالبراشن وبعضها بالشوك وبعضها بالمناقد الحادة . واما الانسان فيتلد اعزل اي بدون سلاح وهو قابل لكمالات اكثر منها ولا تقتبس الا تدريجاً ولا تكمل بزمن قصير فاذاً ابن الانسان احوج الى التربية والملاحظة من سائر المعلولات ومن كونهُ مركباً من جسدٍ ونفس كان التزام الوالدين بتربيتهِ على نوعين تربية جسدية . وتربية روحية ..

فالتربية الجسدية تستدعي اهتمام الوالدين بثلاثة امور . امر الحياة . وامر المعيشة . وامر الحالة . فيجب اولاً ان يحترسوا على حياة

الولد كل الاحتراس لئلا يعرض لهُ ما يضر بها باي نوع كان لانها اول خير للانسان في هذه الدنيا وضرورية لحفظ النوع الانساني والتفريط بها من كبائر الذنوب ولا يمكن الاعتياض عنها بما سواها من الخيرات الزمنية . وقد يتفق ان بعض الوالدين يخطأ بحق الولد قبل ان يولد وذلك اذا قصد وسعي بان لا يكون لهُ سوى اولاد قليلين ابتغاء الراحة من مشقة الولادة وتعب التربية ولكن ينبغي ان يعلم ان من يمنع خليفة عن الولود فقد قتلها فلو قصد ابواه ما قصده هو لما كان في الوجود بل كان قد استمر في حيز العدم . ولماذا يشتهي العقرية ويقلل سكان السماء فيما ان البرابرة لا يضجرون من تكثير سكان جهنم وليتذكر الرجل قصاص أونان بن يهوذا الذي اماته الرب كما جاء في سفر التكوين (ص ٢ ع ٩) ويتفق ايضاً ان الامراة لا تعتني بثمرة احشائها فتباشر اعمالاً خطرة تؤدي الى اسقاط الجنين . وربما ان زوجها لقساوته لا يخفف التعب عنها بل يضربها بشراسة وحشية وهي حامل فيما انهُ يرفق ببهيمته اكثر مما يرفق بها . كما انهُ قد يتفق ان تتغاضى عن ولدها ليختنق في سريره او انها تضجع عليهِ اذا رقدته بجانبها فيموت نظير تلك البغيّ التي اضجعت على ابنها فمات (٣ ك ص ٣ ع ١٩) فاي جواب تعطي لله مثل هذه المتغاضية عن الوديعة المستودعة بين يديها ياليتها تعلم ان الولد الصغير البري من الذنب هو سياج لامهِ يرد عنها سخط الله وحلول المصائب ويطول عمرها لتعولهُ وتربيهُ ابناً لله : ثانياً يجب على الوالدين الاعتناء فيما يحتاجه الولد من قوت وفرش وسكنى وكسوة لائقة بحالهِ

وموافقة لصحتهِ وراحة معيشتهِ ولا يدعانهِ ان يتعرض لما يحرفهُ عن الصحة كالبرد القارس ايام الشتاء والحرّ الشديد في فصل الصيف والجولان في الطرقات واذا مرض يستحضر لهُ طبيب خبير قبل ان يشتد المرض عليهِ فلا يعود ينجع بهِ علاج فيموت ويبقى حسرةً في قلب والديه الى ما شآء الله . فبماذا يجاوب الله ذاك الاب الجافي القلب الذي يترك اولاده جياعًا عراة ويبدرق امواله بالسكر والبذخ ولعب القمار ويدع ابنته في فم الهاوية كانهُ لا يعنيهِ امرها ولا يطالب بما تاوَّل اليهِ حالها . فلا يجهزها لتدخل العالم او الرهبنة بمقتضى دعوتها ولا يخاطبها الاَّ بلسان امرّ من العلقم واسمّ من الارقم حتى انها تتمنى ان تكون يتيمة تستعطي او عبدةً تباع وتشرى . وماذا يحل من الويل بذاك الذي يهمل بنيهِ فيقضوا ايامهم لاعبين في الساحات والحقول جائلين من بيت الى بيت ولا يهتم لهم بمصلحة تنفعهم في مستقبل معيشتهم وتسد في وجوههم باب الفقر والشر المفتوح للبطالين . ثالثًا يجب على الوالدين ان يعطوا الحرية لاولادهم فيما يلاحظ الدعوة الملائمة لهم سوآء كان التبتل ام الزواج لانهُ لا بد لكل انسان من حالة يدعوهُ اليها الله بها يخدمهُ تعالى في هذه الحيوة وبها يتوصل الى غايتهِ السعيدة في الحياة الاخرى ومن كون معرفة هذه الحالة من الامور المهمة فتستدعي معظم التروي والتأني قبل انتخابها فعليها يتوقف غالبًا خلاص الانسان او هلاكه ولذلك يجب على المسيحي تكرار النصيحة لاولاده كي يلتجئوا الى الله ملتمسين منهُ تعالى ان يريهم الدعوة التي رسمها

لهم وعرف بسابق علمهِ انها تبلغهم الخلاص و يبيح لهم الحرية المطلقة بان يختاروا الحالة التي الهمهم اليها الباري تعالى لانهم اذا اعتنقوا حالة لم يدعهم اليها الرب او كانت بدون رضاهم فتفضي بهم الى لجة الشرور وتكون سببًا لحياة منغصة ومع هذا فيبقى الولد ملتزمًا باسترضا والديه ولا يدخل بدعوة مهمَّة مثل هذه بدون شورها لانهما يودان خيره و راحته هذا اخص ما يستدعي الوالدين الى ملاحظة بنيهم فيما يتعلق بالتربية الجسدية

واما التربية الروحية فتقوم بثلاثة · التعليم · والتأديب · والمثال · وفيها يتعلق كل خير روحي في هذا العالم لانها هي الدولاب الاول القائم بهِ نظام العيال وعليها بالخصوص يتوقف خلاص الاولاد وهلاكهم فيلزم الاباء اولاً ان يعلموا اولادهم الغاية المخلوقين لاجلها والصلوات وعقايد الديانة المسيحية الضرورية معرفتها للخلاص وهي وجود الله وتوحيد جوهرهِ وتثليث اقانيمهِ وسرّ التجسد الالهي والاقتدا بيسوع المسيح . وان نفس الانسان غير قابلة الموت وقيامة الموتى والدينونة الاخيرة والسماء وابديتها وجهنم وابديتها وان الخيرات من الله وانه تعالى معتنٍ بخلاص البشر . ويلزمهم ايضًا ان يوضحوا لهم التزامهم بحفظ وصايا الله ووصايا بيعتهِ مبينين لهم كيف يستعدون لاقتبال الاسرار المقدسة ويحذروهم من الخطية كل الحذر واذا كان الاباء غير قادرين على تعليم بنيهم بذاتهم فيلتزمون ان يقدموهم الى معلم تقي او يطلبوا من خوريهم ان يعلمهم ما ذكر كما ان الام التي لا حليب لها لرضاعة ولدها تلتزم ان تقدم له مرضعة · ثانيًا

ان يادبوهم اذا زلوا ولا يعتذروا عنهم قائلين انهم صغار بعد يحتاجون
الى المداراة والملاطفة لماذا ضربت ولدك ولم تعذرهُ عندما كسر لك
ابريقاً او قدحاً او اوقع بعض الضرر في رزقك ومالك او شتمك
ولكن عندما شتم الدين وجدف وسرق شيئاً من رزق غيرك تعذره قائلاً
بعدُ صغير لا يواخذ بذلك فسكوتك عن ذنبه ذنب عليك . ثالثاً
يلزم الاباء ان يسيروا امام اولادهم سيرة صالحة ليكونوا لهم نموذج
الكمال والادب لان الانسان يتعلم بالمثال اكثر مما يتعلم بالكلام :
وكل ما ذكر من الاهتمام والتعليم للاولاد يقتضي ان يكون منذ الصغر
لان الولد في صغره يشبه شمعاً ليناً تقدر ان تصور فيهِ صورة ذئب
خاطف او صورة حمل وديع هكذا الولد اذا ربيتهُ حسناً كان حملاً
وان تركته دون تربية عادَ ذئباً خاطفاً لا يرجى منهُ الاّ الشر وهكذا ابنتكِ
يا ايتها الامراة تقدرين ان تصوري منها حمامة او حية فان لم تحني
راسها وهي صغيرة ستشاهدينها يوماً ما كافعى على الطريق نظير تامر
تبث سمها وتقتل بهِ يهوذا او كازابل مزينة ونافدة من ذاك الشباك
لتخدع ياهو ولكن سوف تنظرينها مطروحة من ذاك الشباك الى
دركات جهنم فتلحس الكلاب الجهنمية دمها . وكما ان الصبغة الاولى
التي يقتبلها الصوف الابيض لا تزول عنهُ هكذا الاولاد النقية قلوبهم
اذا صبغها الشيطان بصبغة فحم الخطية بتغاضيك لا تزول منهم بل
تزداد يوماً فيوماً . ان القدماء كانوا يقيسون الاولاد بعد ميلادهم بثلاث
سنين ومن ذلك يعرفون مقدار قامتهم المستقبلة لانها تزيد الثلثين

هكذا قيسوا سيرة اولادكم منذ صبائهم فان كانوا غير طائعين وقحين
شرسي الاخلاق سبابين شتامين اعلموا انهم سوف يصيرون شراً من
ذلك بثلاثة اضعاف وتمتلي عظامهم من رذائل صبائهم (ايوب ص ٢٠)
فيصعب ارتدادهم عن الطريق التي سلكوها من ابتدا حياتهم لان الشاب
حسب طريقهِ وان شاخ فلا يحد عنها (امثال ص ٢٢) وشاهده ما
في (ص ٩) من بشارة مرقوس عن رجل قدم ابنهُ المجنون للرسل
فلم يقدروا ان يخرجوا الشيطان منهُ فاخذه الى السيد المسيح طالبًا
منهُ بدموع ان يرحمهُ فسالهُ يسوع قائلاً اي متى دخلهُ الشيطان
فاجابه ياسيدي منذ صبائهِ . فان شكى احد الناس من ابنهِ انه حلاَّف
مجدّف سباب دبن سكير عايشًا ذو راس قاس فاسأله من أي زمان
تسلط عليهِ هذا الشيطان الذي صيره ان ينطق باقبح ما يسمع في جهنم
فان قال انه تعود ذلك منذ صبائهِ فاشر عليهِ ان يلتجي الى المسيح ليرحمه
لان الرسل تلاميذه اعني الكهنة لا يقدرون على اخراجه . وان شكت
امراة من بنتها انها تميل الى الاباطيل ومعاشرة الشبان وان فيها روح
التمرد منذ صغرها فارثوا لحالها لان مرض ابنتها الا دواء له على الارض
فيلزمها ان تطلبه من السماء ويخشى عليها ان تبتلعها الهاوية ويكون
مسكنها في بئر العمق جزاء تغاضيها . . قد سأل اليهود ابوي ذاك المولود
اعمى الذي شفاه المسيح أهذا ابنكما ومن فتح عينيهِ فقالا نحن نعلم ان هذا
هو ولدنا ولد اعمى واما كيف ابصر الان ومن فتح عينيهِ فلا نعلم
فيا للجهالة ايها الاب كيف تترك ابنك وهو اعمى يجول وحده أما

تخشى عليهِ ان يقع في حفرة او يطأ افعى فتلسعه او يصيبه مصاب بين الجموع ولكن افرح لان ابنك قد فاز بحظ سعيد والذي فتح عينيهِ هو يسوع ولم يقصد بذلك سوى خيره واما الشر العظيم الواجب ان يرثى له فهو ان كثيرًا من الاولاد يفتح الشيطان عيونهم وعقولهم فيتعلمون الشر والفواحش وان سألت اباءهم من علم اولادكم الشرور فيجيبوك لا نعلم أهذا يبررهم قدام الله فكم نذرتم للقديسين وكم طلبتكم من الله حتى رزقتم هذا الولد فكيف تتركونه ليصير ابنًا لابليس واذا لم يوجد من يعلمه الشر فانتم كفأة لتعليمهِ بسوء مثالكم فلا يرجى ان يتعلم غير لغة ابيهِ وامه فمن امهِ يتعلم الدعا واللعنات ومن ابيهِ الحلف والمسبات فيفتحون في بيوتهم المدارس لابليس ويستغنون بها عن ارسال اولادهم الى مدرسة المسيح. ولنا في ذلك نموذج غريب عجيب وهو ان طفلاً صغيرًا خرج من بيت ابيهِ يدور في الازقة والشوارع ولما اراد العودة اضاع الطريق فشرع يبكي راكضًا تايهًا فامسكه بعض الناس ليرجعه الى بيت ابيهِ واذ لم يعرف في اي حي هو سالهُ عن اسم ابيهِ وامهِ وفي اي مكان بيتهم فاجاب الولد ان ابي شيطان وامي شيطانة وبيتنا بيت الشيطان لان هذه كانت لغة ابيهِ وامهِ فاحذروا من ان تنطقوا قدام اولادكم بكلمة غير لايقة او تلقبوهم بمثل هذه الالقاب بل خاطبوهم مرات كثيرة عن محبة الله وعبادة مريم العذراء واقتدوا بطوبيا البار الذي كان يعلم ابنه قائلاً يا ابني احفظ مخافة الله في قلبك جميع ايام حياتك واحذر ان ترضى بالخطية وتتعدى وصايا الرب الهنا (طوبيا ص ٤ ع ٦)

وتشبهي ايتها الامراة بوالدة لويس ملك فرنسا التي كانت تقول له كل يوم ياولدي خيرٌ لي ان اراك ساقطاً في القبر من ان اراك ساقطاً في خطية وهذه الكلمات صيرته قديساً فلا عجب اذا راينا القديسين في هذا الزمان قليلين لان الاباء والامهات الذين يعلمون اولادهم نظير طوبيا وام الملك لويس قليلون جداً بل نرى الاكثرين يلدون بنيهم ويتركونهم كالنعامة التي تترك بيضها على الارض فيتغاضون عن تعميدهم زمناً مديداً ولا يهتمون بتعليمهم ما يفيد خلاصهم بل يصرفون كل اهتمامهم بما يزيد غناهم نظير البستاني الذي يبذل كل قوتهِ في تكثير الماء لسقاية بستانهِ ولا يلتفت الى الاشجار ان كانت برية بدون تطعيم او معطلة من السوس فياليتهم يقتدون بالنخل الذي يترك جناه في زمن تربية بنيهِ ولا يهتم بسواها وليعلموا انهُ بعدم اعتنايهم بحسن تربية اولادهم يغيظون الله ويرضون الشيطان ولبيان ذلك اسمعوا خبراً هوانهُ في سنة الف ومايتين وثماني واربعين صار مجمع اقليمي في مملكة فرنسا وقد اقام الاباء كاهناً ليكرز في المجمع بحسب العادة واما ذلك الكاهن اذ لم يكن معتاد الوعظ فارتبك بافكاره ولم يكن يدري ماذا يقول فعندها ظهر لهُ الشيطان بهيئة انسان وقال لهُ دع عنك الاهتمام ايها الكاهن واخطب بما اقول لك فقل هكذا ان اراكنة الابالسة يهدون جزيل السلام الى معشر الخوارنة ورؤساء الكنيسة واباء الاولاد وامهاتهم ويشكرون جزيل فضلهم على تغاضيهم في تربية الاولاد لانهم بذلك يكسبون نفوساً كثيرة الى جهنم ولمس وجه الكاهن

فاسود كالفحم وقال باطلاً تغسل وجهك ما لم تنذر بما قلتهُ لك واعلم بان الله اجبرني ان اكلمك بهذا . واذ وعظ الكاهن بهذا المعنى اوقع الرعبة في قلوب السامعين جميعًا فاركون الابالسة يشكر فضلك يا ايها الاب التارك ولدك يعيش على هواه ويهديكِ السلام لوسيفورس يا ايتها الامرأة لانك علمتِ ابنكِ الشر عوض الفضيلة بمثالك وقبح افعالكِ فالحذر من مثل هذا الاهمال في تربية البنين المتوقف عليها خلاصهم وخلاصكم ومجد الله ونجاح الديانة وراحتكم في الدنيا والاخرة التي نرجوها لجميعكم آمين

في القتل وما يسوق اليه

قال الله لا تقتل (خروج ص ٢٠)

ان القتل من كبائر الذنوب لانهُ مخالف لجميع النواميس ومحرم من كل الشرائع اولاً محرم من الله لانهُ هدم بنايتهِ تعالى وتعدٍّ محض على حق كبير من حقوقهِ الالهية لان الحياة الانسانية منهُ وليس لاحد سواه سلطة على ان يسلبها او يضر بها باي نوع كان. ثانيًا محرم من الناموس الطبيعي لان الانسان من طبعهِ يحافظ على حياتهِ كل المحافظة ولا يريد ان يتعدى احد عليهِ فاذًا من اللازم ان يكون الطبع ذاته حرَّم عليهِ الاعتداء على حياة غيره طبعًا للمبدا المسلم بهِ من الجميع وهو

ما لا تريد ان يفعلهُ الناس بك لا تفعلهُ بغيرك . ثالثًا محرم اشد التحريم من الناموس البشري وما ترتب على القاتل من العقاب الشديد هو اقوى دليل على شدة حرمته والحال ان القاتل عمدًا يُحكم بقتلهِ . واجماع كل النواميس على منع القتل وكل ما يسوق اليهِ انما هو وقاية للحياة البشرية المستلزمة لبقاء الجنس البشري ولعمران الكون فلولا ذلك لقتل القوي الضعيف واجتمع ضعيفان على قوي وقتلاه ولكان الآيس من حياتهِ يقتل نفسهُ ولا حرج وبهذا وذاك ابادة للجنس البشري بوقت قصير فيما اننا نرى كل نوع من انواع الموجودات يحافظ على نوعه اتم المحافظة فلا يسطو الفرد على فرد آخر من النوع ذاتهِ فالتراب لا يضر بالتراب ولكن يضر بالحديد والخمر لا يفسد خمرًا وانما يفسده الماء والخشب لا ينخر خشبًا بل ينخره السوس والنار لا تطفئ نارًا بل يطفيها الماء والزنبور لا يلسع زنبورًا بل يلسع النحلة الى غير ذلك من الموجودات الغير العاقلة فينتج ان الطبيعة ذاتها لا تبيح للانسان ان يقتل انسانًا ولا ان يأتي بكل ما من شأنهِ ان يجر الى قتلهِ كالغضب والحسد والشتم والتقريع والبغضة وهذا ما قصدنا بيانهُ فعليكم بالاصغاء

قال السيد المسيح (في ص ٥) من بشارة متى قد سمعتم انه قيل للاولين لا تقتل فان من قتل يستوجب الدينونة واما انا فاقول لكم ان كل من غضب على اخيهِ يستوجب الدينونة . ومن قال لاخيهِ راقا يستوجب حكم المحفل ومن قال يا احمق يستوجب نار جهنم فان الرب بهذه الاية حرَّم القتل وكل ما يسوق اليهِ واذ كان الغضب

اول محرك للقتل نهى عنه تحت قصاص الدينونة الشديد بقوله من غضب على اخيهِ يستوجب الدينونة لان الغضب يعمي صاحبه عن ادراك الصواب ويحجب عن عقلهِ شمس الهدي فيدوس جميع النواميس ويتهافت في لجة الاثام كما جرى لقاين الشقي الذي قال عنه الكتاب المقدس انه غضب جدًا وعبّس وجهه (تكوين ص ٤) فوثب على اخيه هابيل الوديع وقتله في الحقل · فانظروا غوائل الغضب الى اية قساوة افضت بهذا التعيس فانه لم يراعِ جانب الحنو الاخوي ولا وداعة اخيه البري بل سدَّ اذنيه عن توسلاته الرقيقة والخاشعة الكافية لتليين قلبه الصخري. فتصوروا هابيل متذللاً امام قاين الغضوب قائلاً له ارحم اخاك وتذكر اننا كلينا قد ضمنا حشيً واحد واغتذينا من لبان واحد وربينا في مهد واحد فلمَ تقتلني اما تعلم ان اخاك جناحك وعضدك ويدك اليمنى في كل اعمالك فاشفق على ابن امك ولا تجعله ضحيةً لسخطك فبماذا اسأت اليك فمحبتك مطبوعة في صفحات فوادي واودك نظير نفسي فاقبل جميع خيراتي فدآء حياتي خذ قطعان غنمي وتملك الارض باسرها ولكن اعطني زاوية صغيرة من الكرة انزوي فيها ولا تقتلني. واصغوا الى ما ينفثه الغضب بفم قاين زاجرًا له بقوله اصمت يامعدوم الحياة ولا تفه ببنت شفة لابد من قتلك فالارض لا تسع كلينا قد عزمت على اعدامك لارى من يعود يقدم قربانًا للرب وتقبل تقدمته · فكرر هابيل توسلاته اليه قائلاً اخي ارجوك ان تخمد نار سخطك بدموع اخيك الهاطلة على قدميك وتروَّ بعاقبة فعلتك الفظيعة لانه ياتيك وقت تشتهي فيه أن

يكون اخوك في الوجود ولا تجده ومن شدة حزنك وتحسرك تقطع رجاك
ارحمني وارحم نفسك ترى ماذا تجاوب ابي اذا سالك عني وما يكون
جاوبك لامي التي تنتظر عودتنا من الحقل سوية لا بل ماذا تجاوب الرب
متى ناداك قاين اين هابيل. اخوك فمثل هذه العبارات القوية لم تكن
لتسكن هيجان غضب قاين ولم تمنع يده عن سفك دم اخيه البري
فياما افظع الغضب الذي ينزع الشفقة من قلب الاخ على اخيه ويجعل
من تملك منه كوحشٍ ضارٍ لا يصغي لبرهان ولا يخشي من عقاب.
الغضب حمل عيسو على قتل يعقوب اخيه ولو لم يهرب يعقوب الى
حاران لقتلهُ. وحمل ابيشالوم على قتل اخيه حمنون. الغضب يفضي
بمن تملك فيهِ الى وهدة الشقا فلا يعود يبالي بخسارة الاموال ولا
بالصيت والراحة ولا بالحياة ذاتها ويكمن بحضن الغبي زمنًا طويلاً
كالنار في شجرة الكوكلان التي تستمر في شروشها اكثر من سنة كاملة فلا
تطفيها شدة الامطار ولا عواصف الريــاح وشاهد ذلك ابيشالوم
الذي استمر سنتين كامنًا الحقد في قلبه على اخيهِ ثم نفث سم غضبه
بتلك المأدبة التي دعاه اليها وامر غلمانه فقتلوه (ملوك ٢ص ١٣ع ١٨)
ولم يكن لهُ من راحة قط لا في السنتين قبل قتل اخيهِ ولا بعد ذلك فكم
صرف من الاموال وكم قاسى من الاهوال لانهُ استمر ثلاث سنين
منفيًا عن اورشليم وعن مشاهدة وجه ابيه داود تايهًا شاردًا في الارض
مثل قاين الى ان مات قتيلاً مطعونًا بثلاث حراب. فهذه حالة كل
غضوب حقود فانهُ يكون منفيًا عن اورشليم السماوية ولا يستحق ان

يشاهد وجه ابيهِ السماوي لانهُ خالف امره الالهي القائل لا تنتقم لنفسك لان لي الانتقام (رومية ص ٢١) فلو فرضنا ان ملكًا قال لعبده لا تنتقم لذاتك ممن يهينك فانا المنتصر لك وخالف هذا العبد امر مولاه واراد اخذ ثاره بيده فبدون ريب ان الملك يغتاظ منهُ ويضحي خصماً لهُ ويعاملهُ بما عامل هو بهِ قريبه كقولهِ تعالى بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم (متى ص ٧) فقد غرَّق الله فرعون في البحر كما كان هو قد غرق اولاد بني اسرائيل . ولحست الكلاب دم اخاب كما لحست دم نابوت الذي قتلهُ ظلمًا . ومثل ذلك اصاب ادوني بازق الذي عوقب بقطع اباهيم يديه ورجليه لقاء ما صنع بالسبعين ملكًا كما يتضح من قوله في الاصحاح الاول من سفر القضاة ان سبعين ملكًا مقطوعة اباهيم ايديهم وارجلهم كانوا يلتقطون تحت مايدتي فكما صنعت كافاني الله

وما يصنعهُ الغضب في قلب الغضوب من تهييجه الى القتل يصنعه الحسد في قلب الحسود فحسد اولاد يعقوب اسرائيل ساقهم الى ان يتعمدوا قتل اخيهم يوسف ولولا يهوذا احدهم لقتلوه فعلاً (تكوين ص ٣٧) وحسد شاول حركه الى قتل داود ولولا يوناثان صديق داود لقتلهُ . وحسد هيرودس جره الى قتل المسيح وبسببه قتل كل صبيان بيت لحم وتخومها ولولا هربهُ الى مصر لكان اعدمهُ الحياة . وحسد اليهود اظلم عقولهم حتى قتلوا عنصر الحياة . بالحسد تقوم امَّة على امَّة وقبيلة على قبيلة ويراق دم العباد . وبالحسد تكون المناظرات والمخاصمات فيما بين اصحاب المراتب وارباب الصنائع وغالبًا لا يردع بعضهم عن ايقاع

الموت ببعض الأخوفهم من سطوة الحكومة العادلة فالغضب والحسد بما نحن فيه من مسببات القتل سيان · واخوهما البكر هو الطمع فلولا طمع يوداس ما اسلم المسيح الى الموت

وليس الشتم والتقريع باقل منها تسبيبًا وتهييجًا الى الضرب والقتل ولهذا قال السيد المسيح من قال لاخيه احمق استوجب نار جهنم · فكم من جليات ترونهُ قتيلاً بسبب تقريعه وشتمه لبني اسرائيل · وكم من شخص تشاهدون السيوف مستلة عليه لكي تخضب بدمائه بسبب شتمه لداود · ولكم في كل يوم في الساحات وحانات الخمر ومحال لاعبي القمار الوف من الشهود على صدق ما نحن فيه · ففوا قليلاً تجاه مثل هذه الاماكن تسمعوا ما تقذفهُ السنة المتخاصمين من الشتائم وانظروا ما يعقبها من ضرب العصي وسحب السياخ والشكريات واللكم واللطم والرفس وضمدوا جراحهم ان استطعتم · اذهبوا لزيارة المسجونين في السجون الكثيري العدد واسألوا السجان عن سبب حبسهم فيجيبكم ان الاكثرين منهم اودعوا السجن للاسباب المذكورة · ولو دخلتم الى تلك السجون وسألتم من سجن فيها قائلين ما سبب هزال اجسادكم واصفرار وجوهكم وانحناء ظهوركم وتثقيل اعناقكم وارجلكم بهذه القيود وما الذي احوجكم الى احتمال رائحة هذه الاقذار والرقاد على الحضيض وما سبب الجوع الذي اضواكم والقمل والبق الذي اضناكم لاجابوكم بفم واحد قائلين قبح الله وجه الحمق · لانهُ هو الذي زجنا في وهدة الشقا وجعلنا ان نترك اشغالنا متعطلة وعيالنا متبددة تحمل الفاقة والهم والتذلل

عراةً ليس من يكسوهم جياعًا وما من مغيث لهم فما كنا نخال اننا نصل الى هذه الحال التعيسة . الان تحققنا ان المخاصمات والانشقاقات تخرب البيوت وتشتت العيال وتبدد الاموال وتوصل الى اعدام الحياة . فهذه من يسلك بموجب الانفعالات النفسانية غير مفتكر بسوء العاقبة .

خبر ذكر عن جندي انهُ ابرز يمينًا معظمة بالاّ يجز شعر راسه ولا يقلم اظافره ولا يغير ثوبهُ حتى ينتقم ممن افترى عليه واصرَّ على ما عزم ثلاث سنوات حتى امسى كدبةٍ ضارية واذ عرف ان خصمهُ موجود في مدينة تبعد عنهُ ثلاث مراحل انتهز الفرصة وتمنطق باسلحته وركب فرسه واستأنف اليمين بانه لا ينزل عن جواده الى ان يخضب سيفه بدم عدوه آخذًا بثاره عن الاهانة التي الحقها به امام جم غفير ولدى بلوغه تلك المدينة شرع يجول من شارع الى شارع ليجد من كان يفتش عليه من زمن مديد وفي اثناء جولانه مرَّ بكنيسة غاصة بقوم يسمعون الوعظ فوقف فرسه امام باب تلك الكنيسة صاغيًا الى ما كان يلقيه ذاك الخطيب وكان مآل الخطاب وجوب الصفح عن الاسايا وان من غفر لعدوه غفر له ربه فكان لذاك الكلام وقع كبير في قلبه فاثر فيه اي تأثير حتى غفر لعدوه بالحال وقصد مصالحته وبعد انتها الوعظ اعترف لذاك الواعظ بدموع غزيرة آملاً ان يغفر له الرب كما غفر لقريبه وما كفاه هذا بل انه باع فرسه واسلحته ودفع ثمنها عن خصمه واخرجه من الحبس الذي كان قد اودع فيه ليفي ما عليه من الديون واخرجه من السجن وعانقه ولفرط ما سُرّت نفسه بهذا الاحسان الذي صنعه حبًا بالله

وطاعةً لامره اراد ان يساكن عدوه ما بقي حيًا وهكذا كان فانه عاش براحة تامة وسلام كامل الى اخر نسمة من حياته · فلنا بهذا الجندي اعتباران الاعتبار الاول شقآء حال انسان غضوب طالب الانتقام عديم الراحة فاقد السلام مع الله ومع قريبه ومع نفسه وحالته دون حالة الوحوش الضارية. والاعتبار الثاني سعادة حال انسان قد انتصر على امياله وسرَّ بكبح شراسة طبعه الجموح فايزًا بالسلام التام شاكرًا لله الذي لم يسمح به لينخرط في سلك قاين وشركائه سافكي الدماء بل اضحت حالته سعيدة تبشره بنوال السعادة الابدية

فيجب على الانسان ان يكبح شهوة الغضب منذ ابتدائها ولا يدعها ان تستوطن في قلبه لان قتل العدو صغيرًا اسهل من قتله كبيرًا واطفاء جزوة النار اهون من اطفائها متأججة فان نفخت في النار تشتعل وان نضحت عليها الماء تنطفيء وكلاهما في يدك فاطفيء نار الغضب بماء الصبر والوداعة المسيحية وكن صامتًا حال احتداد خلقك واعزم على نفسك ان تحسن الى من اساء اليك وبهذا تعرف انك حيٌ بالنعمة فالسمك الحي يجري ضد مجرى الماء واما الميت فيتبع مجرى الماء في سيره هكذا من كانت نفسه حية بنعمة الله يجري ضد طبعه المائل الى الانتقام ولكي ينطبع هذا التعليم في عقل كل مهان نورد خبرًا يحق له الاعتبار جرى في مدينة بولونيا في شارع يدعي الشارع التقي وهو ان امرأة ارملة شريفة الحسب وكثيرة الغنى ولها ابن وحيد وبهِ رجاوها وعليه وحده اعتمادها فاتفق ان رجلاً غريبًا افتري عليه وقتله وفر هاربًا طالبًا مكانًا

يختبئ فيهِ عن رجال الحكومة فدخل بيت هذه الامرأة وسيفه بيده مصبوغ بالدم غير عارف بانها ام المقتول وهي جاهل ان ذلك الدم هو دم ابنها وطلب منها ان تخفيه في بيتها حبًا بالمسيح فارتعدت من هذا المنظر وحزنت على ذلك المقتول قبل ان تعلم انه ابنها فاخفته في منزلها وفيما كان الشرط يفتشون عليه عرفت ان الذي قُتِلَ هو وحيدها فيا الشدة الحزن الذي مزق قلبها وكاد يفضي بها الى الموت وشعرت بان الحزن يدفعها الى ان تسلمه الى الحكومة طالبة اعدامه بدم ابنها وقبل ارتضائها بهذه الحركات المسببة من ضعف الطبيعة انتبهت لقولهِ تعالى. لا تكافوا الشر بالشر بل حبوا اعداكم واحسنوا الى من اساء اليكم وحينئذٍ عزمت ان تقدم ابنها من هو اعز لديها ضحيةً لله وحبًا بهِ فغفرت للقاتل وما كفاها ان غفرت لهُ بل انفقت مبلغًا وافرًا لتخليصه من الحكومة واتخذته ابنًا لها بالذخيرة وجعلته وارثًا كل ارزاقها عوضًا عن ابنها فهذا عمل يستحق ان يخلد في بطون الاوراق تعليماً لانتصار الانسان على الخلق والغضب. اجعلنا اللهمَّ من المنتصرين على اميال الطبيعة الفاسدة سالكين بنور ايمانك محافظين على الحياة البشرية مبتعدين عن كل ما يضر بها عملاً باوامرك الالهية لنعيش بالسلامة في هذه الحياة ونحظي بالحياة السعيدة فلنعطَ ذلك بشفاعة مريم العذراء التي غفرت لصالبي ابنها وجميع الشهداء الذين سامحوا مضطهديهم امين

في محبة القريب

قال الرسول في الاصحاح الثالث من رسالته الى كولوسايس ·
فلتكن فيكم المحبة التي هي رباط الكمال .

انه من الواضح ان المواد المتفرقة لا يمكن جمعها ونقلها من مكان الى اخر الاَّ برباطٍ يضم بعضها الى بعض هكذا لا يمكن جمع الفضائل المتفرقة الاَّ برباط المحبة فلا صبر واحتمال ولا صدقة واحسان ولا امتناع عن قتل وضرب ولا عن خطف وثلب الاَّ بالمحبة ولهذا قال الرسول لو كنت انطق بالسنة الناس والملائكة ولم تكن فيَّ المحبة فانما انا نحاس يطن او صنج يرن ... ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم تكن فيَّ المحبة فلا انتفع شيئًا (قرنتية اولى ص ١٣) ولكن اصغر الاعمال اذا اقترن بالمحبة فيكون عظيماً ولو كاس ماء بارد لان المحبة كتبر يحيل الى ذهب خالص كلما يلمسهُ · ولايضاح لزوم المحبة وشرفها اقتضى ان نتكلم عنها باسهاب آملين ان تحسنوا الاصغاء على حميد عادتكم وقبل الشروع نلتجي الى ام المحبة لكي تضرم قلوبنا بتلك النار التي اتى ابنها الحبيب ليلقيها على الارض ولا يريد الا اضطرامها وتهديها السلام ...

ان خير المخلوقات وحفظها قائم بالاتحاد · ودثارها بالانفصال والانشقاق · باتحاد النبات في الارض يبقى حيًا ناميًا وبانفصالهِ عنها

يجف و ييبس · و باتحاد الغصن بالشجرة والثمرة بالغصن يدوم نموهما ·
وبانفصالهما تزول نضارتهما · وهكذا باتحاد الحجارة يقوم البناء وبانفصالها
يسقط · ونرى في الطيور والحيوانات ميلاً غريزيًا عجيبًا للاتحاد والانتظام
لاجل حفظ نوعها كالنحل الذي يجتمع معًا ولا يؤذي بعضهُ بعضًا
وكالأُسد الضوارى و والوحوش الصحارى والنمل الحقير وما اشبه ذلك
ولنا في ذلك مثل الغزلان فانها متى اندفعت من ميلها الغريزي الى
قطع نهر واسع لتبلغ الى المرعى فتنتظم كانها ضرب خيط واحدًا تلو
الاخر وكل منها يضع راسهُ على رفيقهِ الذي يتقدمهُ ليجلب راحة
بذلك ومتى تعب المتقدم تأخر الى الوراء ووضع راسه على ظهر غيره
وهكذا يفعل كلٌ منها بنوبتهِ الى ان تبلغ البر بالراحة والامان · فمثل
هذا الاتحاد الكائن فيما بين الحيوانات يشير الي انها تعلم طبعًا ان
الانشقاق يبيدها · حتى ان الشياطين انفسهم مع انهم ارواح الشقاق
فيحفظون بينهم الاتحاد كقولهِ تعالى : ان كان الشيطان ينقسم على نفسهِ
فكيف يقوم ملكهُ (لوقا ص ١١) فاولى ان يكون مثل هذا الاتحاد واعظم
منه ابن البشر العاقلين المخلوقين علي صورة الله ومثالهِ ولا سيما نحن
المسيحيين اذ اننا جميعًا بنو ابٍ واحد سماوي وامٍ واحدة هي الكنيسة
المقدسة واعضاء جسد واحد ولنا راس واحد ونتكي على مائدة واحدة
وكلنا نرجو وراثة واحدة كما قال الرسول كونوا مجتهدين في حفظ وحدة
الروح برباط السلام فانكم جسد واحد وروح واحد كما دعيتم الى رجاء
دعونكم الواحد (افسس ص ٤)

ان الجسد واحد وله اعضاء كثيرة وجميع اعضائه مع كونها كثيرة انما هي جسد واحد (فرنتية اولى ص ١٢) فالاتحاد الموضوع بين اعضاء الجسد البشري الطبيعي يوضح لنا وجوب اتحاد الناس بعضهم ببعض . انه يوجد في الجسد الطبيعي اولاً اتحاد بين النفس والجسد هكذا يوجد في الجسد الادبي المؤلف من المومنين اتحاد روحي بالنعمة. ثانيًا يوجد اختلاف في الاعضاء المتنوعة فان الراس اشرف من اليد واليد اشرف من الرجل هكذا يوجد اختلاف بين الناس نظرًا الى شرف الاصل ودناءتهِ . ثالثًا اختلاف بالوظائف فان وظيفة العين النظر والاذن السماع هكذا يوجد اختلاف الوظايف بين الناس كالوالي والقاضي والطبيب. رابعًا الكفاءة في كل عضو والاقتدار على وظيفة لا يقدر غيره على مباشرتها فلا تستطيع العين ان تسمع ولا الاذن ان تبصر هكذا كل انسان كفوء لوظيفتهِ التي خُصص بها من الله فلا يمكن للملك ان يحرث في الارض او يعمل عمل الخدم ولا لهولاء ان يسوسوا المملكة . خامسًا الاشتراك بالمنفعة لان كل عضو لا يشتغل لذاته فقط بل لغيره ايضًا كذلك يقتضي ان الفقير يعيش من خير الغني والغني ينتفع من شغل الفقير وخدمتهِ . سادسًا رضى كل عضوٍ بوظيفتهِ دون ان يتوق الى مقام غيره او يحسد ما كان اشرف منهُ. فالرجل لا تحسد الراس على اكليلهِ ولا اليد تحسد باقي الجسم على كسوتهِ . هكذا يلزم كلاًّ من الناس ان يرضى بما قسمهُ الله لهُ ولا يحسد غيره على نعمتهِ ولا يتجاوز حدوده ويقاوم عناية الله وترتيبهُ . انظر كيف ان اعضاء الجسد يعين بعضها

بعضاً فالعين ترشد الرجل لئلا تعثر بحجر او تدوس افعى او شوكاً او تسقط في مهواة · والرجل تمشي من اجل العين اذا رات عن بعد ما يروقها او رغبت في ان ترى ما هو محجوب عنها · واليد تصون الراس بدفعها عنه ما يوءذيه · وهكذا كل الاعضاء تهتم باتفاق في مساعدة بعضها ولا سيما العضو المألوف فلو اتفقت ان الرجل أُشبكت فاي شيء من الجسم ابعد من العين عنها ومع ذلك ترى العين اول من اهتم في نظر الشوكة ورفعها والجسد كلهُ ينحني ليحدها واللسان يسال اينها والاذن تصغى الى الجواب واليد تبادر الى اقتلاعها حالة كون اليد والعين والجسد والراس واللسان في صحة حتى الرجل ذاتها ليست بمجعة كلها بل في موضع واحد فمن اين هذا الاهتمام الأَّ من الاتحاد · ونرى الامنية التامة فيما بين اعضاء الجسد الطبيعي فالعين لا تغش الرجل وتريها الشوك زهراً والهاوية سهلاً لتتاذى بدوسها ولا تخدع اليد وتبين لها ان العقرب بيضة والافعى سمكة فتمسكها وتتضرر بسمها . هكذا يلزم الناس ان يكونوا امناء في معاملاتهم ولا يغش بعضهم بعضاً ولا يضر احدهم الاخر كما ان الاعضا لا تضر بعضها واذا اتفق ان اليد جرحت اختها فالمجروحة تحتمل المها ولا تكافيها جرحاً بجرح واليد الجارحة تضمد لها جراحها وتشتغل عنها الى ان تبرا

وكما انه لا تستطيع العين ان تقول لليد مالي بكِ حاجة ولا الراس يقول للرجلين مالي بكما حاجة · هكذا لا يستطيع القوي ان يقول مالي بالضعيف حاجة ولا الغني يقول مالي بالفقير حاجة · فالجسم اشد

احتياجاً الى ما ضعف من الاعضاء فاي عضو اضعف من البطن
الذي هو بمنزلة مطبخ للجسد واي الاعضاء يحتاجه الجسد اكثر منه لانه
هو الذي يطبخ الاطعمة ويوزعها على سائر الاعضاء وكل منها ياخذ ما
يكفيه ويدع الباقي للباقي وبدونه تخور القوى وتنحل . ذكر عن مينانيوس
الاغريفي انه لما هجر شعب رومية المشيخة الرومانية ضرب لهم مثل البطن
المهجور من اعضاء البدن فقال : زعموا ان الاعضاء تظلمت ذات يوم من
البطن وذلك من ان تعبها وسعيها كله انما هو لاجلهِ وانه هو قائم في
الوسط مستريحاً لا همّ لهُ فيشغله ولا شاغل يهمه سوى التمتع بالملاذ الساعي
لهُ فيها باقي الاعضاء فمن ثم صممت على عصيانه وتحالفت على خذلانه
فابت اليد من ان تقدم الطعام للفم حتى ولو قدمته فالفم لا يقبله وعلى
فرض انه قبله فالاضراس لا تقضمه وعلى فرض انها قضمته فالزلعوم
لا يزدرده فعندها غشى على العين فكلت عن البصر واعتقل اللسان
فعجز عن التكلم وارتخت اليدان عن العمل وارتجفت الركبتان ولم تستطع
مسيراً واحدودب الظهر وخارت قوى الجسم كله حينئذٍ ظهر فضل البطن وما
لهُ من المنافع التي كانت تنكرها عليه باقي الاعضاء فهكذا يجري الامر في
انشقاقكم ايها الرومانيون . فاقنعهم بهذا الخطاب واخضعهم للمشيخة فلقد
اصاب هذا الخطيب بمثله لاننا كثيراً ما نرى الناس يزدرون بمن يظهر
انهم بادي الرأي ليس لهم منفعة للهيئة الاجتماعية الا ان يعيشوا من
كد غيرهم وهم باطلون عاطلون مع ان الجماعة تفتقر جداً الى رأيهم
الصائب وحسن ادارتهم في السياسة . فكما ان الاعضاء لا غنى لاحدها

عن الاخر هكذا الناس ما من احد منهم يستبد بنفسه في كل اموره
فالملوك تفتقر الى العساكر والجنود لاجل المدافعة وهولاء الى عملة الآت
الحرب وغيرها مما لا بد منه والتجار تحتاج الى النوتية والمكارين والحارثين
وغيرهم وهولاء يفتقرون الى التجار للانتفاع باموالهم ومرجع الجميع الى الفلاح
وكل حيّ يحيا من تعبه الملك والمملوك والغني والسعلوك والتاجر والصانع
والطيور والنمل وسائر الحيوانات الأ ان هذا الفلاح يحتاج الى غيره
ايضاً من العملة اذ لا غنى لهُ عن نجار وحداد وسكاف ونساج وغيرهم
فسبحان الحكيم القدير الذي رتب المخلوقات يستند بعضها الى بعض
في الاحتياجات وجعل المحبة رباطاً لكل جنس بجنسه لقيام الكون . ان
المحبة الصادقة كان يرسمها القدما بصورة طفل جميل مكشوف الراس
لابس ثوباً قصيراً مفتوح الخاصرة يشير بيده الى قلبه مكتوب على جبينه
صيف وشتاء وعلى قلبه قريب وبعيد وعلى طرف ثوبه الحيوة والموت .
فهي كالطفل اذ من شانها ان تزداد يوماً فيوماً وكما ان الطفل لا يعرف
الشر ولا يحسد ولا يتباهى ولا يأتي قباحةً ولا يظن السوء ويصدق كل
شيء هكذا يقتضي ان يكون المحب الحقيقي . ذاك الطفل كان جميلاً بياناً
لجمال المحبة كقول المرتل ما احسن واجمل ان تسكن الاخوة جميعاً بالمحبة
(مزمور ٣٢) ومكشوف الراس دليلاً على ان المحب المخلص يقر علناً
بالمحبة لا يصده خجل ولا يرده وجل . ثوبه قصير دليل على استعداد
المحب لخدمة قريبه دون عايق وباشارة يده الى قلبه دلالة على ان
المحبة يجب تكون باليد اي بالفعل والقلب باطناً وظاهراً ولا تكون

مراياة نظير من يظهر الحب ويبطن البغض · واما الصيف والشتاء المكتوبان على جبينهِ يشيران الى السعة والضيق فيجب ان تحب قريبك في يسره وعسره ولا تكن محبتك كمحبة النحل لحامل العسل ومتى فرغ العسل يتركه · والقرب والبعد المكتوبان على قلبه يدلان على وجوب محبة القريب ان كان حاضرًا او غايبًا فلا توقره وتطرب بحضرته وتحتقره وتغتابه بغيبتهِ · ويجب ان تحب قريبك حيًّا كان او ميتًا فالحي تمده باللازم لراحته الزمنية والميت بالمقتضي لراحته الابدية · فان حفظنا وصية المحبة عشنا بالسلامة والراحة وعرفنا اننا من تلاميذ المسيح القائل بهذا يعرف كل احد انكم تلاميذي اذا كان فيكم حب لبعضكم ومن خلا من المحبة خلت منه الفضائل والكمال المطلوب للخلاص لانها رباط الكمال

في الخطية المضادة الطهارة

من يعطيني غيرةً فنحاسية لاطعن برمح كلامي ذاك الاسرائيلي الدنس زمري وتلك المديانية العاهرة واقدمها كفارة عن سكان الارض كلها · غيرةً افني بنارها شر رذيلة لا يليق ان تذكر بين المسيحيين لئلا تتخدش مسامعهم من ذكرها واطهر حجارة الاماكن التي تدنست بنتن قباحةٍ ما هي الّا قاذورة الاثام ومنبع الشرور واسدّ فم بالوعةٍ افسدت بكرية نتانتها الهواء الكروي وصيرت الارض المثمرة مالحة · من يعطيني

شجاعة يوحنا المعمدان لاوبخ الهيروديسيين والهيروديسيات واقلب كرسي ملكة ظالمة راكبة على وحش قرمزي واخضعت لها ملوك الارض وسكر كل سكان الارض من خمر زناها (رؤيا ص ١٧) او من يعطي رأسي ماء وعيني ينبوع دموع لابكي ليلاً ونهارًا على المقتولين بسم هذه الافعى لابكي اولئك الغرقى بسببها في ذاك الطوفان العام والذين بسببها انحدرت عليهم تلك النار السادومية وانوح على اولئك الاربعة والعشرين الفًا الذين بسببها بادوا بيوم واحد وعلى تلك النفوس المحترقة بنار شهواتها والمتقلبة تحت سخط الله في تلك الهاوية الجهنمية · اللهمَّ أعطِ قوةً لكلامي ليكون لهُ وقع في القلوب وامنح الجميع ان يكونوا اطهارًا احرارًا انقيا بعيدين عن كلما يكدر نقاوة العفاف بشفاعة مريم الطاهرة التي نحييها بالسلام · · ·

اطلب اليكم يا اخوة برحمة الله ان تقيموا اجسادكم ذبيحةً حيةً مقدسة مقبولة لله (رومية ص ١٢) قال القديس توما انهُ لما كان للانسان من جود الله نفس وجسد ورزق · وجب عليهِ ان يقدم لهُ تعالى نفسهُ للعبادة ورزقهُ للتصدق وجسده ذبيحةً · وهذه الذبيحة ينبغي ان تكون مقدسة في خدمتهِ وعمل مسرتهِ · وحيَّة باستخدامها لعمل الفضائل لان الاجساد المستخدمة للرذائل تعد ميتة · وكما انهُ يقتضي لكل ذبيحة كاهن ومذبح وسكين ونار ومادة فهذه . الذبيحة يلزم ان يكون كاهنها الارادة ومذبحها القلب وسكينها الامانة ونارها المحبة ومادتها الجسد الميت عن الخطية والحي لله كما اذا كانت العين لا تنظر المنهى عنهُ

لكن الجائز واللسان لا يتكلم بالمجون. بل يبارك الشاتم واللاعن واليد لا تمتد الى السيئات بل الى الحسنات والاذن لا تصغى الى السماجات بل الى الاقوال الروحية النقية فيلزمنا اذاً الاحتراس على اجسادنا لئلا نتدنس بما يشين العفاف والطهارة والاَّ فلا تعود ذبيحة مقبولة لله بل تمسى اهلاً للاحتراق بسعير الجحيم

قال القديس برنردس ان الرذيلة الدنسة هي احدى مركبات فرعون محارب شعب الله التي تسحب راكبها الى البحر الاحمر اي الى بحيرة النار والكبريت ودواليبها الاربعة هي الشراهة. والتنعم بالملابس. والبطالة. وثوران الشهوة الردية. والفرسان اللذان يجرانها هما النجاح. والغنى. ويقودها الكسل والطمأنينة الكاذبة وصاحبها هو فرعون العقلي اي الشيطان فانهُ لا يألو جهداً ولا يترك حيلة الاَّ ويستعملها في تزيين هذه المركبة فلا يزال يجدد ما عتق من دواليبها ويشدد ما ارتخى منها ويصقلها صقل السيوف وهي اشد فتكاً بالنفوس ويغشيها بستائر موشاة تشف عما تحتها من قبيح العار ويرشها بما طاب من العطور والزهور وهي انتن من بحيرة لوط ينشر عليها بيرق الامان وهي مجموع المخاطر والمعاثر يرقم على ابوابها عنوان الحرية وهي سجن العبودية يدعوها محل الراحة والسكينة وهي لجة العنا والشقا وعاصف القلق. قاتله الله ما اخبثهُ واحيلهُ فانهُ يتشكل بهيئة ملاك النور وهو ظلام حالك واول هالك يدَّعي بالعزة وهو الذليل يتظاهر بالغنى وهو الفقير يبدي الصداقة وهو العدو الالد غدار مكار قتال الناس منذ البدء. فياما

اكثر المخدوعين من هذا المحال الذي يستعين باعوانهِ ويبعث بهم الى كل جهة ليستحثوا الناس ويدعوهم الى السفر بهذه الكروسة المبلغة ركابها الى ارض الظلمه وسعير النار الخالدة فيوجه بعض اعوانه الى الفاترين في الدين والمتفقهين بالشر لكي يحركوا اقلامهم لتنفث سم الرجاسة في تاليف كتب مفعمة من ضروب الادناس ويعرضونها للشبان والشابات فبمطالعتها يسري روحها الخبيث في عقولهم سريان الدم في العروق وتخرق في البابهم خرق الزيت في الجوخ سحق الله يدًا ترقم مثل هذه الكتب الجهنمية وابكم لسانًا ينطق بها وبرقع عقلاً يتأملها ومحق كل من يرغب فيها لانها براكين جهنمية تقذف من جوفها نيران الشهوات المهلكة ويوجه بعضًا الي حانات الخمر ليحرضوا الناس على السكر الذي فيه الدعارة وبعضًا الى المجالس الحافلة ليهيجوا الجهلة الى الاغاني السمجة التي تكدر نضارة الطهارة وتعكر صفاء الضمائر . ويرسل غيرهم الى الخدور ليحرضوا من فيها على الزينة الباطلة بالحلى الثمينة والرياش الفاخرة والملابس الخارجة عن حدود الحشمة وان يتعرضن لمقابلة الرجال ولا تعرض تامر ليهوذا (تكوين ص ١٨) وبتشباع لداود وامرأة فوطيفار ليوسف ابن يعقوب فيتعلقون باذيالهنَّ مسحوبين الى مركبة فرعون ويوجه بعض جنوده الى محافل الرقص والملاهي فيحثون الشابات ليرقصنَ بين الرجال ولا رقص ابنة هيروديا او يقودون الشبان ليرقصوا بينهنَّ رقص شمشون بين اهل فلسطين . ويرسل فريقًا ليكمن في الطرقات ويلقن المارين كلامًا تمجه الاذان فتتأثر منه القلوب السليمة

ويتشوش نظام حركاتها فتمسي حائرة بائرة . فكل من زمرة لوسيفوروس ينادي في كل مكان هلمّ ايها الناس ادخلوا هذه الكروسة وانشرحوا ولا تدفعوا اجرة ولا نفقة مع انه يسلب منهم جل ماعندهم واثمن ما ملكت يدهم ويخسرون كل ما ربحوا من برٍّ وخير اذ انهم بهذه الخديعة الشنيعة يخسر بعضهم صيتهُ الحسن الذي هو خير من مجموع المال وبعضهم يفقد مجني عمره فيقع في فقر مدقع تطبيقًا للمثل القائل بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ومنهم من يفقد صحته فيبلى بامراض عضالة قتالة فيذوق منها علقم الصبر ومرّ العذاب متقلبًا على فراش الضنى ونار الشدايد ومنهم من ينغش جسمهُ وضميره بدود ناخز لا يدعهُ يدري ما لذة الوسن ولا راحة البدن وتبتدى جهنمه من هذه الدنيا . ذكر عن رجل انهُ كان قد تورط في حمأة خطية الدنس و بسببها ابتلاه الله بامراض عضالة انحلت جسمه واضعفت قواه حتى عجز عن ابداء الحركة واعجز الاطباء عن شفائهِ اخيرًا اجمعوا على ان يلتف بملحفة مبتلة بروح العرقي ولما لفوه بها وخاطوها على جسمه لم يجدوا ما يقطعون بهِ الخيط سوى لهبة شمعة كانت بيد دليلة شمشون وحين ادنتها من الخيط التهبت الملحفة واحترق الملتحف بها حالاً وربما لم يكن حظها احسن من حظه لانهُ يقدّر عليها انها حاولت اطفاءه فالتهمتها النار سوية وجرتها مركبة فرعون الى بحيرة النار والكبريت . المركبة التي يعد ابليس ان فيها كرامي هزازة وطنافس ناعمة يجلس عليها الركاب مع انهم لا يجدون فيها سوى شوك القتاد يصورها لهم نظير مركبة ايليا تصعدهم الى السماء

وما هي الاَّ مركبة فرعون تهبط بهم الى بحر جهنم ولا يزال كل يوم يشحنها نفوسًا ويحضرها امام الديان الرهيب فويحًا لمن تعرقل بهذه الشبكة الشيطانية الجامعة من كل اجناس القبائح . فما اكثر الهالكين بسببها وما اشد العقاب المعد لمن يدنس هيكل الله بها . اما تعلمون ان اجسادكم هياكل الروح القدس (قرنتية اولى ص ٦) ومن يدنس هيكل الله يفسده الله لان ما سواها من الخطايا يدنس جزءًا واحدًا من الانسان وهو النفس واما هذه فتدنس الانسان بجملتهِ

فلا مهرب لمن تدنس بهذه الرذيلة من غضب الله المريع وعقابهِ الشديد والكتاب المقدس يشهد بذلك شهادة واضحة يقررها ذاك الطوفان الذي اهلك كل ذي جسد كان قد افسد طريقهُ ما عدا ثمانية انفار كانوا بريئين منها . وتثبتها تلك النار التي امطرها الله على المدن الاربع واحرقت كل سكانها ومن اجلها قتل الله اونان بغتةً ومدينة شخيم ادركها الخراب ورجال ساره السبعة خنقهم الشيطان لاجل هذه الخطية وقد ابلت شمشون بالعما واضرت داود ضررًا بليغًا واهلكت الشيخين اللذين تهما سوسنة لعمري ان هذه الضربات التي بها انتقم الله من الدنسين شانها ان توعب قلوب الخطاة خوفًا ورعبة من هذه الافة المهلكة والرسول يقول عن مثل هولاء انهم لا يرثون ملكوت الله حقًا انها نار جهنمية الحنجرة مادتها والكسل لهيبها الرجاسة رمادها والكلمات السيئة شرارها العار دخانها والعقوبة نهايتها وفوق ذلك انها تقصر العمر وتعمي العقل وتصير فاعلها اقبح من سكان الجحيم

لان سكان الجحيم يقرون بوجود الله واما الزاني فيقول في قلبه ليس اله

الهرب الهرب من اسبابها لان النصرة في هذه المعركة تتقرر للجبان

اهرب منها كمن يهرب من النار خوف الحريق وكمن يفر من الافعى مخافة سمها فمن يصارع المتلطخ بالوحل ان لم ينغلب منه فيتدنس من وحوله انظر الى يوسف الحسن فانك تراه هاربًا تاركًا رداه بيد مولاته فاهرب ولا تعتمد على قوتك فكما ان النار تلين الحديد وتحيله الى طبعها هكذا هذه النار تلين من كان اصلب من الحديد ومن دخل المطحنة ولو لم يصر طحانًا فتتغبر ثيابه كن حريصًا على حفظ الحواس فانها مداخل الموت واهرب من البطالة فان الفراغ يعلم ضروب الخبث (ابن سيراخ ص ٣٣) فالمشتغل يجربه شيطان واحد واما البطال فيجربه كثيرون وعليك بالقناعة في المأكول والمشروب لان من ينعم جسده يعطي عدوه سلاحًا وان نقص الحطب تنطفي النار

ان سيدنا لهُ المجد كان يكره هذه الرذيلة غاية الكراهية حتى انه احتمل في تلاميذه بعض خطايا مثل عدم ايمان توما وطمع يوضاس وجحود بطرس واما هذه الخطية فلم يسمح ان يشاب بها احد المقتربين اليه لان الذي يرعى بين بياض السوسن وطهارة العفة لم يحتمل ان يكون بين خاصته من يفوح منه نتن هذه القاذورة بل نراه قد احب يوحنا اكثر من الباقين لانهُ كان نموذج الطهارة كما انهُ اختار مريم العذراء امًا له لانها بتول طاهرة ومار يوسف مربيًا لهُ كونهُ بتولاً والمعمدان سابقًا للانذار بهِ لهذه الفضيلة نفسها التي بدونها لا يستطيع احد ان يعاين الله

هي التي تعد النفس لجلاء المعرفة بالله تعالى واسراره الغامضة وشاهد ذلك ذاك الحبيب الذي اتكأ على صدر المسيح وكشف لهُ غوامض السرائر وسرائر الغوامض ومثلهُ بولس الرسول الذي خطف الى السماء الثالثة وشاهد الذات الالهية ويوسف العفيف الذي عبر احلام فرعون وخادميهِ الساقي وريس الخبازين فما هذه الاستنارة الاَّ من سنا تلك الطهاوة ان من استسار بالطهارة على الارض يستحق ان يكون في السما بين الملائكة لا بل اعظم منهم لانه ليس بعجب اذا لم يتسخ الثلج وهو في الجو انما العجب اذا كان بين الدمن ولم يتسخ هكذا ليس من العجب طهارة الملايكة في السماء حيث لا منازع ولا معارض بل العجب من طهارة البشر بين معاطب هذه الحياة الدنية حيثما الجسد البالي يثقل النفس ونرى الملاك اعتفى من ان يسجد لهُ يوحنا الانجيلي لانه كان اعذر حليف الطهارة (رؤيا ص ٢٢) وهي انقذت نوح وعايلتهُ من الطوفان العرمرم والله سبحانه وتعالى لمحبتهِ الطهارة حتى في الحيوانات اوعز اليهِ ان يدخل معهُ الى السفينة من الحيوانات الطاهرة سبعة سبعة ومن غيرها اثنين اثنين فقط

ذكر عن القديس مرتينوس انهُ نظر ذات مرة حقلة فجاء جانب منها رعته الشاء وجانب حفرته الخنازير وجانب صحيح نابت فيه الحشيش الاخضر المزين بزهور مختلفة · فقال ان الجزء الاول هو بمنزلة المتزوجين الذي رعتهُ الشاء فانهُ وان لم يكن فاقداً للنعمة بالكلية الا انه خالٍ من شرف الزهور والثاني الذي حفرته الخنازير القذرة هو بمنزلة الدنسين

الذين تعروا من نعمة الله وعدموا كل فضيلة والثالث الذي لم يلحقهُ ضر هو رسم يدل على مجد البتولين الاطهار المزدانين بزهور الفضائل كزنبق الطهارة وورد المحبة ونردين التواضع وبنفسج الرجا فلنجتهد في اقتنا هذه الفضيلة لنكون هياكل الروح القدس الذي يحل فينا بشبه حمامة فكما ان تلك الحمامة النوحية اذ لم تجد لها مستقراً فيما بين الجثث الميتة رجعت الى السفينة هكذا الروح القدس لا يسكن في الاجساد النجسة بل في الانقياء الاطهار الذين يمتثلون لقول الرسول القائل اطلب اليكم يا اخوة برحمة الله ان تقيموا اجسادكم ذبيحة حية مقبولة لله . فاسهروا وصلوا لئلا تدخلوا التجارب اسهروا على عيونكم من النظر الى كل موضوع خطر وعلى اذانكم من سماع الاحاديث التي تفسد الضمائر السليمة وعلى عقولكم لتطرد عنها كل الافكار المضادة الطهارة . وصلوا قبل التجربة لئلا تدهمكم وفي حين التجربة لئلا تغلبكم واستعينوا بالعذراء والملاك الحارس والقديسين شفعايكم . وداوموا اقتبال الاسرار المقدسة واقمعوا . اجسادكم بالتقشفات والاماتات فالواجب على الانسان ان يقمع جسده ويستعبده لئلا يرذل كقول الرسول لانهُ كما ان كثرة الامطار توحل الارض وتصنع بركاً من الماء لا يتربى فيها الاَّ الحيات والضفادع والدود هكذا تنعم الجسد بالاكل وشرب المسكرات يولد شهوات ردية ورغبات قبيحة وفواحش يستحي منها اوقاكم الله من مثل ذلك وحفظ انفسكم واجسادكم بالطهارة لتبلغوا الى مكان القديسين بشفاعة مريم الطاهرة امين

في خطية الشك

قال السيد المسيح في الاصحاح الثامن عشر من بشارة متى · الويل للعالم من الشكوك والويل لذلك الانسان الذي تقع الشكوك عن يده · · ·

ان المراد بالشكوك اقادة الغير الى الخطية بالمثال والاقوال وهذي الخطايا ملأت الارض وقلّ من يخافها فترى اكثر الناس على اختلاف حالاتهم ما بين قايد الى الشر ومنقاد اليهِ ومن جرى ذلك تفوت الرذيلة واشتدت وطأتها في المملكة البشرية وضعفت الفضيله وكثر الازدراء بمن يحافظون عليها ويراعون مبادىء الاداب الصحيحة والدين القويم واصبحت طريق الخلاص مملوة من حجارة المعثرة والشك غير مبالين بصواعق الويل المضاعف التي يرشق بها الله المشككين والمنقادين اليهم الذين يسببون الموت الابدي بعضهم لبعض ومثلهم مثل الفيل والحية التي تلتف على رجليه لتقتلهُ بسمها فيقع عليها ويموتان سويةً هكذا حالة من يقود غيره الى الشر ليهلكه فيهلك هو ايضاً وعلى ذلك اقتضى ان نبين عظم الشرور التي تتأتى من المشككين للغير ولا نفسهم راجين من الله ان يمنح قوة لكلامه الالهي لكي يبيد هذه الشكوك والمعثرات من العالم كله · · ·

ان المشككين قد اتخذهم ابليس جنوداً لهُ ليحارب بهم من لا يقدر

ان ينتصر عليهم بذاته ويسلحهم بسلاحين الاول المثال الردي · والثاني الاقوال السمجة ذات المعثرة · فالمثال الردي هو اشد مقوَد يجرُّ الى الشر لان الانسان يميل طبعًا الى اقتفاء مثال الغير وهذا الميل الغريزي يحركه منذ الصغر الى ان يفعل ما يرى الناس يفعلونهُ كما يبان لنا من اعمال الاولاد فترى منهم من يتخذ لهُ خشبة بمنزلة فرس يمتطيها متقلدًا ركاب الخيل الذين يشاهدهم مرارًا وترى بعضهم يتقلد ادوات الفلاحين وبعضهم ادوات الكتبة وارباب الصنائع وبعضهم يرسمون على قدر ما يمكنهم الحال رسم هياكل ومذابح ممثلين ما يفعلهُ خدمة الدين في المعابد ومنهم يرسم هيئة عربة بخيلها وركابها وسائر ادواتها ومنهم من يصنع لهُ شبه سفينة تجري في البحر · وترى من البنات من تتقلد الخياطة · ونسج الابرة · وتقليد العجن والخبز وغير ذلك وبالجملة ان كلاًّ منهم يصنع على مثال ما يرى من معاصريه ومعاشريه ان صلاحًا وان طلاحًا غير ان الانسان اميل الى الشر مما الى الخير لان ثقل الطبيعة الفاسدة يميل بهِ الى اسفل ويجري بهِ الى الفساد جري التبن مع الماء · فعلى مثال شاول الذي اخذ سيفهُ وسقط عليهِ ومات صنع حامل سلاحه ومات معهُ (ملوك اول ص ٣١) وكما فعل ياربعام بسجوده للعجلين الذهبيين فعل الشعب كلهُ فكان عملهُ هذا عثرة لهم (ملوك ٣ ص ١٢) وعلى مثال حمور مشى كل اهل شكيم (خروج ص ٣٤) فاختتن كل ذكر منهم فعاد ذلك وبالاً عليهم فمن هنا يتضح عظم الشر الصادر من قبل الاشرار بمثال سيرتهم المشككة وقد يعرض لكثيرين ماعرض لزكا الذي لم يقدر ان

يرى السيد المسيح لقصر قامته ولا ان يدنو منه لازدحام الجمع (لوقا ص ١٩)
فكم من الشبان يشعرون باطنًا بما يحثهم على مشاهدة المسيح والاقتراب
منه بتناول اسراره المقدسة فتصدهم عن ذلك قوة المثل الردي ·
فيرغبون في قطع سلاسل رذايلهم والدخول في منهج الفضيلة فيمسكهم
عن ذلك نموذج السالكين في سبل الشر · ويطفئ منهم النور الذي
يضيء لهم باطنًا ويقسي قلوبهم فلا تعود تتاثر من مناخس ضمائرهم بل
يتخذون مثال الاشرار اعذارًا تسكن اضطراب افكارهم زاعمين ان ما
يفعلهُ الاكثرون ولو كان شرًا هو مباح ولا باس من فعله · فكان
الواجب عليهم ان يصعدوا مثل ذكا الى فوق جمهور الاشرار معتبرين
ما يفيد خلاصهم غير ملتفتين الى ما يصنعهُ مثل هولاء المشككين · لان
الشر لا يبطل ان يكون شرًا بكثرة فاعليه · ولا الشريعة تزول بمعصية
مخالفيها · ولا العقاب يخف بزيادة المذنبين · غير ان الذين يبلغون
الى هذا الكمال معتقدين ان المرء مجزيٌّ بفعله لا بفعل غيره هم قليلون
واقل منهم الذين يقولون مع المرتل ابغضت الاثمة واحببت شريعتك
اعدلوا عني ايها المسيئون فارعى وصايا الهي (مزمور ١١٨ ع ١١٣)

كثيرًا ما نسمع الشيوخ يقولون ان الزمان تغير وما كنا لنرى في
ايامنا الماضية ما نراه في شبان وشابات هذا العصر فالديانة كانت حارة
والشرايع والنواميس محفوظة · فما كنا نشاهد في المسيحيين من يهمل
فروض ديانته مستخفًا بجميع الوصايا غير مبال بسماع القداس ولا بصوم
ولا صلوة ولا اعتراف ولا حفظ احد وعيد · ولا كنا نسمع من يشتم

الدين ولا من يحلف زوراً ولا يزدري بوالديه ولا من يندد بعقائد الديانة فكيف تغيرت الاحوال وانقلب الزمان فلا نعلم · فنجيبهم ان مبدأ هذا كله من تلك المدرسة التي افتتحها ابليس واتخذ المشككين معلمين فيها · فشخص واحد فاسد السيرة ينهج السبيل لكثيرين ليتعلموا منه ويقتفوا اثاره وامرأة واحدة عديمة الادب تجتذب وراها كثيرات يتشبهن بها · وابنة واحدة تخترع نوعاً من الزينة الباطلة الدالة على عدم الحشمة والرزانة يقتدي بها بنات كثيرات · وربَّ بيت واحد تغرب وتعلم من غربته شروراً لم تكن معروفة في بلدته اتى بها وعلمها لاهل بيته وجيرته · وفتىً واحدٌ يطالع كتباً فاسدة تفوح منها روائح وبائية فتشربها ومنهُ تسري العدوى لكثيرين · اسفاً على ما صرف عليهِ اهلهُ من المال حتى تعلم · واسفاً على ما كانت ترجو منه الهيئة الاجتماعية من الفوائد الحسنة التي كانت تزيدها رونقاً في الدين والدنيا · والاسف كل الاسف على نفوس تعلمت من مثله الشر وصارت تعلم الاخرين ايضاً · فخير لهُ لو لم يتعلم وخير لجماعة الناس لو تعلم صناعة افادها وافاد نفسهُ بها · فابليس مدير مدرسة الشكوك هذه يعلم جيداً ان الخطية الخفية تضر فاعلها فقط نظير مرض شديد قتال لكنهُ غير وبائي فانهُ يضر بالمريض وحده ولكن حينما يستوبئ فحينئذٍ يضر بالكثيرين · او نظير بئر لبيت واحد مسممة فانها لا تضر الاَّ سكان البيت ولكن اذا كانت لبلد كامل فتضر بجميع سكانه ولهذا يوعز ابليس الى اعوانهِ معلمي مدرستهِ ان يعلنوا الشرور بمثالهم الردي وهذا هو السلاح الاول

واما السلاح الثاني فهو الاقوال السمجة التي قال عنها الرسول
انها تفسد الاخلاق السليمة (قرنتية أولى ص ١٥) بهذا السلاح يتسلح
تباع لوسيفوروس وبهِ يضطهدون الفضيلة وينتهكون حرمتها مشوهين
حسن بهائها فيلبسونها ثوب الازدراء والاستخفاف ليبعدوا سامعيهم عن
ممارستها . فكم من اعمى بالخطية يريد ان يصرخ مع اعمى اريحا قائلاً يا ابن
داود ارحمني وهم يزجرونه ليسكت مجدين على سد فمِهِ لئلا يلتمس غفران
خطاياه واذا نظروه يمارس الصلوة والقرأة الروحية وبعض افعال
التوبة يرشقونهُ بنبال السنتهم الموعبة سماً قاتلاً فتارة يزدرون بهِ مستخفين
بافعاله كانهُ انسان بسيط سادج لم يدرك حقائق الامور ولا اشتم رائحة
التمدن الجديد وتارةً ينتهرونه بالفاظ قاسية بقولهم لهُ لا نريد ان نراك
مرة ثانية تصنع مثل هذه الافعال الدالة على ضعف العقل ما هذه
الخرافات التي استولت على مخيلتك دع عنك هذا كلهُ والاَّ فلست
انت منا ولا نحن لك فامضِ احبس نفسك في مغارة فتكون انت في
وادٍ ونحن في واد . واحياناً يظهرون الشفقة على حالتهِ بالفاظ عذبة
مازجين السم بالعسل مصورين لهُ اتعاب الفضيلة الشاقة انها غير محتملة
كما فعل اولئك الذين جسوا ارض الميعاد وصوروها لبني اسرائيل انها
تبتلع سكانها قاصدين ان يخيفوا الشعب المختار ويمنعوه عن دخول
تلك الارض التي تدرُّ لبناً وعسلاً هكذا يقول المشككون لمن يرونهُ
سالكاً في طريق الفضيلة انت ما تعودت مثل هذه السيرة القشفة
المضنكة التي تبلبل مخيلتك وتدوخ راسك وتتلف عافيتك وتدنيك

من الموت سريعاً فهذه كلها ليست بلازمة اتظن اننا كلنا لا نريد خلاص نفوسنا ايضاً اما يجوز لنا ان ناكل ونشرب ونلتذ ضاحكين ونحن نودُّ خيرك وراحتك فالزمان الذي تصرفهُ باطلاً بالصلوة والعبادة أصرفهُ بما يجديك نفعاً بمالك وخيراتك . ويا ليتهم يقفون عند مثل هذا الكلام ولا يتجاوزون الى ما هو اعظم شرّاً واشد قباحةً وكفراً ويتفوهون بالفاظٍ تخدش الاذان ويمجها السماع ويقولون في مذاكراتهم عن الخطايا الاشد قبحاً والاكثر نتانة انها هفوات ناتجة من الضعف البشري وان الله يغفرها بسهولة لانهُ رحوم ولانهُ لم يخلقنا للهلاك بل للخلاص فالويل ثم الويل لمثل هولاء الذين يخدعون القريب ويقدمون لهُ صلاً ضمن حزمة من الزهور فحالما يدنيها من انفهِ يشتم رائحتها يموت . فبكل عدل يستحقون ان تنحدر عليهم الصواعق وتمحقهم اوان يعلق في رقابهم حجر الرحى ويغرقوا في لجة البحر لان السنتهم تعلمت في مدرسة اوقح الشياطين وكلماتهم المسمومة تدب مثل الاكلة في القلوب السليمة . باقوال حواء انجرّ آدم الى تعدي الناموس اذ كانت تسهل لهُ اكل الثمرة المنهى عنها بقولها خذ فكل تنفتح عيناك وانا اكلت ولم يصبني شر ولا مت ولم تخاف ان تموت اذا فعلت ما فعلتهُ انا . وها انا حية بعد لم امت . وهكذا يتخابث بعض الاشرار ليشركوا غيرهم بجريرتهم وكما اضلت الحية حواء وخدعت حواء آدم هكذا هولاء يخدعون الانقياء القلوب فاذا كان آدم الكامل بالمعرفة والمزين بالنعمة انقلب فما حالة السذج . ان الشيطان لما راى ان اسلحتهُ قلّت وحيلهُ فرغت في محاربة ايوب استخدم لسان امرأته ضده

فطفقت تقرّعه وتحرضهُ على التجديف وقطع الرجاء كي يقتل ذاته بذاته بقولها جدف على الله ومت (ايوب ص ٢) فما كل مجرب ايوب ذو قلب اصلب من النحاس لينتصر في مثل هذه الحرب لان اكثر الناس قلوبهم اضعف من الزجاج تنكسر من ضربة اللسان التي تطحن القطام فينتقلون من طريق البر الى طريق الشر

ان الكنيسة الآن حاصلة على حال السلام من قبل الوثنيين وسيوفهم التي بها اراقوا بحارًا من دم المسيحيين ارتدت الى غمدها والذين كانوا يضطهدونها اصبحوا اصدقاها واحتضنوا ايمانها كقول اشعيا (ص ٦٠ ع ١٤) وبنو الذين عنوكِ يَفدون عليكِ خاضعين ويسجد لاخامص قدميكِ كلُّ من ازدراكِ . الآن ابليس اقام على الكنيسة اولادها المسيحيين ليضطهد بعضهم بعضاً والذين اثبتوا تعبدهم للسيد المسيح بقسم يحاربونه الآن ولهذا يحق للكنيسة ان تقول ان محاربة الوثنيين لاحبُّ اليَّ من اضطهاد المسيحيين المشككين لانهُ في محاربة اولئك كان ينتشر الايمان ويتقوى وتزداد قداسة المومنين واما اضطهادات المشككين فمن شانها ان تبيد الايمان او تضعفهُ ولذلك قال سيد الكل الويل للعالم من قبل الشكوك . ولم يقل الويل للعالم من كثرة الحروب والبلايا التي ستدركه ولا من العتيدين ان يبذلوا جهدهم ان يستاصلوا بالحديد والنار الايمان الذي اتيت بهِ من السماء وغرستهُ بتعب جزيل وسقيتهُ بعرقي ودمي بل انما قال الويل للعالم من اجل الشكوك لان اعداء الكنيسة الاولين كانوا يزيدون عدد سكان السماء اما اعداؤها الآن

فيزيدون عدد الهالكين في جهنم فالويل ثم الويل اذاً للعالم من الشكوك وهذا الويل لا يلاحظ الذين تصير لهم الشكوك فقط بل الذين تصدر منهم الشكوك ايضاً ولهذا قال الويل لذاك الانسان الذي تقع الشكوك عن يده وهذا ما نوضحهُ في القسم الثاني

ان الشك لاشد ضرراً من سم الافعى لان سم الافعى موت لمن تلسعهُ وحفظ لحياتها اذ لو فرغ منها لماتت واما المشكك فانهُ يميت نفسهُ ونفس من يشككه فذنبهُ مضاعف وقصاصه شديد لانهُ يساعد ابليس على اختطاف النفوس التي شراها الرب بدمهِ الثمين ويهدم بمثاله واقواله ما بناه السيد المسيح بمدة ثلاث وثلاثين سنة · ذكر عن الانبا البرتوس الكبير انهُ كان قد صنع تمثالاً بصناعةٍ غريبة حتى ان ذاك التمثال كان يسير من ذاته وينطق صريحاً ببعض الفاظ فاتفق يوماً لتلميذه القديس توما اللاهوتي ان دخل قلاية معلمه البرتوس حيث كان هذا التمثال فراه يمشي ناطقاً بالفاظ قليلة فظن بهِ انهُ حيلة من حيل ابليس فدنا منهُ وكسره وفي الحين دخل البرتوس ورأى التمثال مكسوراً فالتفت الى تلميذه وقال لهُ اهاً يا ابني ما الذي صنعت انك لقد اتلفت عملاً اشتغلت بهِ يداي مدة ثلاثين سنة فهذا ما يقولهُ الله للانسان المشكك لا بروح الاناة والدعة بل بحركة الغيظ والغضب عند امتثاله امام عرش عدلهِ ليدينه على ما فرط منهُ من الشكوك فينتهره بصوت ارهب من صوت الرعود قائلاً انك انت الشقي الذي اتلفت عمل يدي انت الذي اهلك النفس التي تعبت من اجل خلاصها مدة

ثلاث وثلاثين سنة اني من اجلها انحدرت من السماء متجسداً واحتملت اعظم الاتعاب وافظع الاهانات واشد العذابات وارهب الميتات لاجلها عرقت دماً في البستان لاجلها جلدت وكللت بالشوك وعلقت على الصليب عرياناً . . . وانت اختلستها من يدي وبعتها للشيطان لاجل لذة وقتية وشهوة بهيمية . والرسول يتأوه منك بقولهِ اهكذا يهلك بسبب علمك اخوك الضعيف الذي مات المسيح لاجله (قرنتية اولى ص ٨) ولنا في ذلك مثل يطابق ما نحن في صدده وهو ان ملكة معظمة بعد ما حملت بابن في مستودعها تسعة اشهر وولدتهُ باشد الاوجاع وفيما كانت في بحبوحة الفرح بابنها ونجاتها من الاوجاع المرّة والملك يمرح معها وجميع المملكة تهنئها مظهرة علائم السرور بهذا المولود واذا بمرضعتهِ حملته وصعدت بهِ اعلى القصر ورمتهُ عمداً الى اسفل فمات . ترى ما اشد الحزن الذي يستولي على الملك والملكة والمملكة من هذا الخطب الشديد المريع وما ارهب العقاب الذي تستحقه تلك المرضعة الشقية التي عوضاً عن انها تغذيه بلبنها قتلته بسمّ مكرها . فالملك هو السيد المسيح والملكة عروسته هي الكنيسة المقدسة والمولود هو المسيحي الذي اولده يسوع باوجاعه القاسية على الصليب والكنيسة اولدته ثانية بالمعمودية المقدسة وفيما هي تفرح بهِ والله يبدي سروره قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت وسكان السماء يفرحون لانه سيكون رفيقاً لهم في الفردوس واذا بك يا ايها المشكك الاثيم حملته بمثالك وطرحته في هوة الخطية فماتت نفسه موتاً ابدياً فيا ما اشد الحزن الذي يحزن بهِ ابن الله على هذه النفس

والغم الذي يشمل الكنيسة بسبب هلاكها ويا ما ارهب العقاب المرخر لنفسك التعيسة في اسفل دركات جهنم الخالدة . انت هو ذاك التنين الذي طُرح على الارض واضطهد المرأة التي ولدت الولد الذكر وقد القى من فيهِ ماء كالسيل ليهلكها . . وذهب ليحارب باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله ولهم شهادة يسوع المسيح (رويا ص ١٢) فان كان الشهداء القديسون يطلبون من الله ان ننتقم لهم من الذين قتلوهم مع ان سفك دمهم سبب لهم ربح المجد الابدي فماذا يكون الان صراخ ذاك الشخص الذي خسرته السعادة الابدية وطرحتهُ في هوته جهنم . وان كان الله لا يدع بدون عقاب من سر بحرق بيت القريب فماذا يكون عقاب من احرقه . ومن يفرح بهلاك الغير لا ينجو من العذاب كما قال الحكيم في (سفر الامثال ص ١٧) فبالاولى من يسبب له الهلاك . ومن سبب هلاك نفس بمثاله او كلامه يلتزم ان يرد نفساً عوضاً عنها والاّ فلا ينجو من الهلاك فالحذر من ان تكونوا لاحد شكاً او عثرة بل كونوا مثالاً صالحاً واسعوا في صد القريب عن فعل الشر مجتهدين في تخليصهِ كي تشتركوا معه في اخذ الثواب والمجد الابدي وتنجوا من الويل المعطى للمشككين بشفاعة مريم اكبر مساعدة في خلاص العالم وجميع القديسين امين

في السرقة

قال الله في وصيته السابعة لا تسرق

ان السرقة عبارة عن سلب مال اجنبي بغير رضى صاحبه وقد تحرمت السرقة منذ العصر الاول بعد ما جرت القسمة على الخيرات الارضية لاجل الراحة باستعمالها ويظهر من الكتاب المقدس ان آدم واولاده تقاسموا الخيرات بينهم على ان ما كان للواحد لا يكون للاخر حيث يذكر ان هابيل قرب لله من ابكار غنمهِ (تكوين ص ٤) واما كيف جرت القسمة فقد اختلفت المذاهب في ذلك فبعضهم ذهب الى ان منشاها السلطة الابوية وبعضهم الاتفاق بين الناس وبعضهم السلطة المدنية وبعضهم بوضع يد الواحد على شيء غير محرز من غيره وعلى ذلك توجد وصية طبيعية ومذاعة من الله تنهى عن سلب حق الغير وتامر برده كاملاً حين يخرق ومن خالفها يذنب الى الله القائل لا تسرق والى القريب الذي لهُ حق ان يتمتع بما قسم لهُ دون تعدٍ والله سبحانه وتعالى قد رسم هذه الوصية وحررها على قلوبنا كما قال طوبيا البار كل شيء تبغض ان يفعله احد بك لا تفعله انت بغيرك (طوبيا ص ٤) ويسوع المسيح يقول في انجيلهِ كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم بهم ايضاً (لوقا ص ٦) فالانسان يسمع هذه الاصوات الالهية ويتعداها لا يريد ان الناس تختلس شيئاً مما له وهو يختلس ما تصل اليهِ يده فما ذلك الاّ من

تحريض الشيطان لكي يبلبل نظام الطبيعة ويسلب راحة الانسان ويهلك
نفس السارق وها انا اوضح لكم كم يتأتى من الشرور بسبب السرقة
ومحبة المال معلنا ان لا مغفرة للسارق الا بالرد وقبل الشروع ...
قال الرسول ان حب المال اصل كل شر (تيموتاوس ص ٦)
ان للاصل اي الشرش ثلاث خواص ١ً ان يكون مخفياً ٢ً ان
يكون مربياً للشجرة ٣ً ان يكون متمكناً في قلب الارض هكذا المال
فانه يختفي في عمق القلب ويربي كل الرذائل ويعسر استئصاله جداً .
ان محبة المال فتحت مدرسة كبيرة وكثيرون يدرسون فيها ويمهرون في
معرفة جمع المال الزمني مع انهم جهلاً في امر خلاصهم الابدي فترى
عيونهم وعقولهم مفتوحة لتحصيل الخيرات الفانية وعمياء عن الخيرات
الراهنة هذا هو الداء الدفين المدفون في اقصى مخادع القلوب ويسترونه
بحجج واهية فترى ذلك البخيل المدعي الفقر يتطاول على ارزاق غيره بحجة
فاقته وعوزه وهو نظير حية ذات راسين فبالراس الواحد يمسك ماله
باخلاً بالصرف على نفسهِ وعلى عيالهِ وبالثاني يسلب مال الناس . قال
الرسول ان الذين يحبون الغنى يقعون في بلايا كثيرة وفي فخ الشيطان
(تيموتاوس ص ٦) فكما ان من يطمر في الارض فخاً يلقي فوقه طعماً
لذيذاً ترغيباً للفنيصة كذا يفعل الشيطان في اقتناص البشر فانهُ يتخذ
من كل شيء طعماً للطامع فيصطاد بعضاً بثمرة كادم وحواء ويلقنهم
اعذاراً باطلة فيقولون مثلاً هذا عنقود عنب او طابع تين او كوز رمان
اكلناه ولم نحمل معنا ماذا تقول يا اخي لو دخل قوم الى كرمك او

حنلك او بستانك وكل منهم اكل في فمه ولم يأخذ معهُ الى بيته غير انهم لم يتركوا لك فيه شيئًا من اثماره هل كنت تعذرهم وترضى بهذه الحجة كلاَّ فلمَ تعذر نفسك بما لم تعذر بهِ غيرك · ويصطاد بعضًا بحيلة الاعتياض زاعمين ان فلانًا اكل تعبنا ولم يدفع لنا الاجرة كما نستحق مع انهُ يكون قد دفع لهم ما وقع الشرط عليهِ او يقولون اخذ منا زيادة عما لهُ او طمع على رزقنا فطمعنا عليهِ وكل منهم يقيم نفسه قاضيًا لذاته وحاكمًا لاستحصال ما يحكم لهُ بهِ طمعه وبخله فلا يصده خوف الله ولا ترده عصا الناطور · ولذا نسمع تظلم الاغنياء واصحاب الاملاك من الفقراء والشركاء قائلين انهم لصوص سارقون ومع ذلك اظن ان بعض الاغنياء يسرقون اكثر من الفقراء لان ما تخطفه يد قوي اعظم مما تسلبه يد ضعيف فالنحلة تجني من الزهور زومًا ولا تضرها واما الدبة فتبتلع بدقيقة واحدة كل ما جنته النحلة بسنة كامله وتخرب كوارتها فتموت جوعًا مع اولادها فكم من المساكين قد خربت بيوتهم من جور الاغنياء والمقتدرين بتحميلهم اياهم فوائد وزوائد غير مباحة

واين هم من سرقات التجار بواسطة المكيال والميزان والحساب وبيع الخسيس باغلى ثمن موجلاً وشراء رزق المعوزين بابخس الاثمان وتستير عيب البضائع وسرقات الذين يشترون من الخدامين والخدامات ومن الاولاد والنساء غيابةً عن ارباب البيوت وغيرهم من الذين لا يحل لهم بيع ما يبيعون كالشركاء قبل القسمة وهلمَّ جرًا وقس على ذلك سرقات الصناع اما بتعطيل مصنوعاتهم او باستبقائهم لانفسهم فضلات

ما صنعوه بحجلة تنقيص الاجرة . ومثلهم الذين يوجدون الاشياء المفقودة اي الضائعة ويسكتون عن ردها لاربابها فمثل هولاء المذكورين يتوهمون ان الغنى يتحصل بالحرام والبيوت تعمر بمال الظلم ولا يدرون انه يصيبهم مصاب الحجلة العاقر . قيل انهُ يوجد حجلة عاقر لا تبيض وحين ترى غيرها من الطيور يصنع اعشاشًا ويفرخ يتداخلها الحسد فتأخذ ان تجمع قشًا وتصنع لها عشًا وتسرق من بيضات غيرها وتضع في عشها ثم تقفّ عليها لتفقسها فتصير فراخًا لكن حالما يسمع الفرخ صوت امه الاصلية يتبعها تاركًا تلك التي فقسته فلا تجد في عشها الَّا القش والاقذار هكذا يصيب من شاء ان يغتني ويعمر لهُ بيتًا من الحرام فالرزق يصرخ نحو صاحبه ويطير من بين يدي السارق وينتقل الى اخر اما بموت السارق او بفقره فلا يبقى لهُ الَّا سواد الوجه والعار ومَثله مثل من يتناول طعامًا مسمومًا فيستفرغ كل ما في احشائهِ من جيد وردي وعنه قال ايوب الصديق قد ابتلع اموالاً الَّا انه يقيئها . الله يستخرجها من جوفهِ . . . لانهُ هضم المساكين وخذلهم واستلب البيوت ولم يبنها (ايوب ص ٢٠) او يصيبه ما اصاب بائع الخل . قيل ان خلَّالاً كان يمزج خله بالماء وياخذ ثمنه ثمن خل صرف فبدا لهُ ان يسافر بحرًا فجمع ماله في صرة واصحبها معهُ واذ كان في وسط البحر والصرة بجانبه واذا بسعدان خطفها وصعد بها اعلى صاري ذلك المركب وهناك فتحها بمرأى الخلال ورئيس المركب وسائر الركاب وشرع يرمي درهمًا في الماء ودرهمًا في المركب الى ان فرغت الدراهم برمتها وصاحبها يتاوه متأسفًا على

تلك الخسارة ويبكي على فقده نصف مالهِ فعند ذلك اخذ ريس المركب سلبه ويسأله عما اذا كان داخلاً عليه شيء من الحرام حتى جرى لهُ ما جرى لانهُ لم يكن عادة للسعدان ان يصنع هكذا فاقر الحلال بواقع الحال وكيف انهُ كان يبيع الماء بسعر الخل فقال لهُ الريس المذكور · بعدل جوزيت · لان رزق الماء يعود الى الماء · · · ويوكد لنا الاختبار ان الحرام لا يثبت لاننا كثيرًا ما نرى في الناس من يزهر اليوم مثل اللوز بالغنى والثروة التي احرزها بطرايق محرمة وغدا يضحي فقيرًا اصفر اليدين لا يملك قوت يومهِ لان ما جمعه بالنوع المذكور اما تبتلعه البحور واما تنهبه اللصوص واما يفقده بالكسر من غير ان يعرف وجهًا لكسرته · او يخسره بكثرة عملائهِ ولم يستفد الاَّ الندم · فمحبة المال تعمي الانسان حتى انهُ لا يعود يرى ما تراه البهائم · وشاهده ما ذكره الكتاب المقدس عن بلعام النبي انهُ لما تسلطت عليهِ شهوة المال ركب اتانه وذهب حيث كانت تسوقه هذه الشهوة وبينما هو سائر في طريقه اذا بملاك وقف امامه بسيفٍ مجرد فالاتان رأت الملاك والنبي البخيل لم يره (اعداد ص ٢٢) وهكذا اظلمت عقل يوداس حتى نسي احسانات المسيح ولم يعد يراها وباع معلمه ثم شنق نفسه وهالك الى الابد . ومثل ذلك حنانيا وامرأته صبفورا اللذان قادهما الطمع الى اخفاء جزء من ثمن الحقل فكان ذلك وبالاً عليهما اذ عاجلتهما النقمة الالهية

فهذا الشرش العميق يربي شرورًا لا تكاد تحصى · فحبًا بالمال تثور الخصومات والنزاع وتكثر الاقسام الكاذبة في البيع والشراء وشهادات

الزور في المحاكم لاختلاس مال اليتيم والارملة التي كلما رأت ظالمها تلعنه وتعلم اولادها ليلعنوه ما داموا احياء٠ محبة المال تحرك التاجر على فتح دكانهِ نهار الاحد والعيد وتمنعه عن استماع كلام الله وتناول الاسرار المقدسة محبة المال تميت الحق وتحيي البطل ٠ والحاصل ان الارض المشتغلة باصدار الذهب والفضة لا تبرز نباتًا وعلى هذا المثال لا يمكن المهتمين بالارباح الارضية ان يثمروا ما يفيد الحياة الابدية٠ قالت الاطباء لا شفاء لجراحات المستسقي لان مداواة الجرح تتوقف على تجفيفه وتنشيفه وهذا لا يكون في الجسم المستسقي الممتلىء من الماء هكذا هي جروح خطايا من يحب المال فكيف يداوى جرح العجرفة وحب الانتقام والحنجرة في الاغنياء مع ان الغنى مربيها فالواجب تفريغ خزاينهم منه ليجف ينبوع خطاياهم او على الاقل يقطعون امالهم المتواصلة في طلابه والّا فلا شفاء لمن يهرب من الطبيب او يفتش على طبيب يقصر في علاجهِ كمن يبحث على معلم اعتراف ساذج او متساهل لا يبحسه بل يقدم لهُ وسادة لينة ليرقد في حضن شره واذا اتفق ان وقع بين يدي٠ كاهن غيور ينبههُ على سوء حالهِ ويتوعده بمسك الحل ان لم يتب ويرد فينصرف عنه مغتاظًا ولن يرجع اليهِ ابدًا كما فعل ذاك الشاب الكثير الغنى الذي لما حثه المسيح على توزيع ماله على المساكين ليكون لهُ كنز اعظم في السماء مضى حزينًا ولم يعد ليسأله عن شيء (لوقا ص ١٨)

ان من اختلس شيئًا لغيره لا يخلص ان لم يرد المسلوب فبعض الناس يتوهمون ان رد المسروق الى صاحبه هو قانون تحت سلطة

المرشد وله ان يخففه او يبدله والحال انهُ امر آلهي لا يستطيع احد ان يحل
منه شيئًا حتى ان الموت الذي يحل رباط الزيجة لا يحل التزام الرد فلو
قام احد من الموت باعجوبة لما التزم ان يساكن قرينه الحي واما ديونه
فيلتزم بوفايها تمامًا فباطلاً يصوم ويصلي ان لم يرد فالكاهن يقول لهُ انا
احلك والديان المرهوب يأمر خدام عدلهِ قائلاً شدوا يديه ورجليه
والقوه في الظلمة البرانية . فبعض الناس يعتذرون عن الرد بعدم
الامكان وهم ينفقون على ايثارهم اضعاف ما عليهم فلو قصدوا الاقتصاد
بنفقتهم لوفوا دون انزعاج . وغيرهم يمطلون بوعد الرد من يوم الى يوم
ومن اعتراف الى اخر ولا يدرون ان الحرام كالنار كلما صار ابطاء في
اطفائها زاد اضطرامها فمن منكم تقع جمرة على يده او على ثوبه ولا يلقيها
حالاً فكيف يحتمل مال الحرام في بيتهِ وهو مجلبة البلا والغلا والامراض
وقل المواسم . واني لا يخشى من اللعنة التي تقع في بيت السارق وتستأصله
من اساساته مع ان هذه المكاسب المحرمة لا تزل تصرخ في اذني السارق
رد رد مال الظلم . ذكر عن القديس ميداردوس انهُ كان عنده ثور
فسرقه سارق وساقه الى بيته واخفاه في اصطبل وهو فرح بما كسب
غير ان الثور كان معلقًا في رقبتهِ جريس فاخذ يطن مع ان السارق
كان قد ملأهُ من التبن وربط فمه بخرقة فلم يزل يطن ثم فكه ووضعه
على الارض فلم يسكت ثم في صندوق فلم يزل يقرع اخيرًا انتبه على
خطيته ورد الثور لصاحبه فسكت الجرس . فالجرس هو ضميرك الذي
لا يزال ينبهك لترد ما عليك ولا تستطيع ان تسكته وتسكنه ما لم ترد

ولا تحل من قيود اثمك ولوحلك عظيم الاحبار ان كنت قادرًا على
الرد ولم ترد · وماذا نقول عن الذي يأخر الرد الى ساعة موته محتجًا
انه يحرر في وصيته ان اعطوا فلانًا كذا خلاص ذمة فلا يصير سخيًا على
الناس الا عند رحيله من بينهم ومن يعلم ان كان الورثة يتممون وصيته
او من يدري انه لا يموت فجأةً بدون وصية · ان زكلي العشار حينما
تاب حقًا قال ان كنت غبنت احدًا بشيء فالان اعطيه اربعة اضعاف
ولم يقل سوف اعطيه فلذلك قال السيد المسيح اليوم صار الخلاص
لهذا البيت (لوقا ١٥) فالذين يوءخرون الرد الى الساعة الاخيرة
يشبهون البحر الذي لا يرد الى البر ما ابتلعه سوى اشياء قليلة مكسرة
وناقصة فبعد ان افقروا كثيرين وابتلعوا مالهم وارزاقهم يظنون انهم
اكملوا كل البر اذا اوصوا بصدقة ما للفقرا او للكنائس او وزعوا بعض
دريهمات حسنة قداسات نعم ان هذا يكفي اذا كان صاحب الشيء
مجهولاً واما اذا كان معروفًا فلا · فالفقير الذي تعطيه ثوبًا يفرح لكن
الذي عريته من ثوبه يحزن فذاك يسال الله ان يرحمك وهذا يطلب
منه تعالى ان يحكم بالعدل بينك وبينه والعدل هنا لا رحمة فيه فما اكثر
الذين يهلكون بسبب الحرام · خبر ذكر عن رجل اغتنى من السرقة
والربا فاذ دنا من المنون حضر عنده الكاهن واخذ يعظه ليرد مال
الناس وكان لهُ ابنان فاخذا يعظانه ايضًا فاجاب ان كل رزقي حرام
ان عوفيت فبماذا اعيش واذا مت فبِمَ تعيشان فقالا لهُ خلص نفسك
ولا يهمك امرنا فقال لهما ان الله ارحم من الناس ومات ذاك الشقي بغير

توبة وبعد دفنته قام ابناهُ يتقاسمان الرزق فقال الصغير تعالَ يا اخي نرد هذا المال لاصحابه ولا نتدنس بخطايا والدنا فاجابه اخوه انا ما رايت ولا سرقت فابي يجاوب عن نفسه فاخذ الصغير نصيبه ورده الى اصحابه وترهب وبعد حين مات اخوه فاخذ يطلب من الله لاجله واذا بالارض تزلزلت وانفتح هوتة عظيمة مملوة نارًا تلتهب ونظر اباه واخاه في وسطها يلعن بعضهما بعضًا فالاب يقول لابنه لتكن ملعونًا ايها الشقي لاني هلكت حتى اغنيك والابن يجيبه بل انت ايها الوالد الشقي لولا حرامك ما وصلتُ لهذه النار فهذه لغتهما وهذه نغمتهما مناوبةً الى الابد. فاهربوا من الحرام لتنجوا من العقوبات الزمنية والابدية بشفاعة مريم البتول ونعمة الاب والابن والروح القدس امين

في الثلب والنميمة

قال يعقوب الرسول ان ظنَّ انسان انهُ دين ولا يلجم لسانه فديانته باطلة (ص ١ ع ٢٦)

ان الطبيعة باعمالها العجيبة تعلمنا وجوب الاحتراس على اللسان حين التكلم على انها تكمل كل اعضاء الانسان في مستودع امهِ قبل ان تبتدي بتكوين اللسان فكانها تتصعب عمل هذا السيف ذي الحدين الذي يميت ويحيي كما قال الحكيم الموت والحياة في يد اللسان والذين

يحبونه ياكلون ثماره (امثال ص١٨) ومنه تخرج البركة واللعنة وحفظتهُ ببابين وقفلين الاول الاسنان والثاني الشفتان فهما كسورين وجعلت فيه عرقين الواحد يتصل الى القلب الذي هو ينبوع كل العواطف والاخر الى الدماغ حيث مركز العقل لنستدل من هذا التركيب على ان الكلمة ينبغي ان تخرج من القلب وتتدبر من العقل قبل بلوغها الى اللسان لان الكلمة البارزة من الفم كحجر مرشوق باليد هيهات عودها او ضبطها . قال سقراط الفيلسوف طالما ندمت لاني تكلمت وماندمت قط لاني سكت لان المسكوت عنه يمكن ان يقال بعد واما المقول فلا يرتد الى عدمه ولما كان كمال الانسان متوقفاً على حبس اللسان كما قال يعقوب الرسول من لا يخطأ بكلامه فهو رجل كامل (ص ٣ ع ٢) وجب ان نتكلم على شر اللسان الذي هو عضو صغير لكنه كنار قليلة تحرق غابات كثيرة غير اني لا اتصدى الآن الى تعديد شروره كلها فاضرب صفحاً عن الاقسام الباطلة وشتم الدين واللعنات التي تملأ البيوت بلاء وشقاء ولا اذكر ما يسري من السم بسبب الكلام القبيح والاغاني السمجة التي تفسد الضمائر بل اني عزمت على كبح لسان الثالب والنمام الذي لا يزال هاتراً عرض الناس يجرح ولا يداوي وقبل الشروع . . .

يذكر الكتاب المقدس عن دانيال النبي انهُ رأى حيواناً طالعاً من البحر شبيهاً بالدب وفي فمه ثلاث اضلع بين اسنانه فبكل عضة كان يسبب ثلاث جراحات فلنا بهذا صورة الثالب الذي هو كوحش ضارٍ

يتعمد اذى الناس وحد اسنانه كحد السيف ولهذا قد شبه الروح القدس اسنان النمام بالسيوف بقوله الجيل الذي اسنانه سيوف (امثال ص ٣٠ع١٤) وبدقيقة واحدة يجرح بلسانه ثلاثة اشخاص فيضر اولاً صيت الغائب ثانياً ضمير الحاضر ثالثاً يضر نفسه ضرراً عظيماً . فيضر الغائب لانهُ يشين عرضه الذي هو اعظم من كنوز الارض كقول الحكيم ان الصيت الصالح خير من المال الكثير (امثال ص ٢٢) وقال ابن سيراخ احتفظ بالاسم الصالح لانهُ يبقى لك افضل من الف ذخيرة ثمينة (ص ٤٧) ان التفاحة ما دام قشرها سالماً من الجرح تستمر ذكية الرائحة وتصلح ان تهدى الى الملوك واشراف الناس ولكن متى جرحت فسدت ويرتكبها الذر هكذا الانسان ما دام صيته حسناً واسمه صالحاً يصلح لمباشرة كل الوظائف المناسبة لهُ ولكن متى جرحه لسان الثالب وشنع صيته فلا يعود يصلح لشيء بل يطرح خارجاً ويضحي هدفاً لسهام الكلام فلا غرو ان الشيطان يسعى مع الثالب ويضرم في فيه لهيباً جهنمياً لكي يحرق كل ما يريده بكلمة خبيثة وقد سمى يعقوب الرسول لسان النمام لساناً متقداً بنار جهنم ص ٣ فتراه يبتدي بالمدح وينتهي بالقدح يبتدي بالشفقة وينتهي بالقساوة يدخل من باب الصداقة ويخرج من باب العداوة ويبالغ في ايراد نقائص القريب وتعظيمها كأن بيده النظارة المعظمة تريك البقة كالنسر والبعوضة كالجمل وما اشبهُ بالذباب الذي يدع ما صح من الجسم ويحوم على الجروح والقروح قال ابن سيراخ اللسان المدمدم اشدُّ من جهنم ص ٢٨ لان جهنم تعذب الاشرار فقط

اما النمام فيعذب بلسانه الاخيار والاشرار تراه يذم الجميع بلا رحمة فلا يوقر كاهنًا ولا يعتبر جليلاً ولا يرهب من راهب لا يعذر عذراء ولا يحسن الظن بمن حسنت سيرته وسريرته فان رأى عابدًا قال عنه انهُ مرائي وان نظر راجحًا قال انهُ مراب . يستطلع خبايا الزوايا ويترجم عما في النوايا فيأول الخير شرًا والنفع ضرًا . فهو كالعناكب التي تستقطر سمًا مما تجني منه النحلة عسلاً ويسابق الدود على انتهاش الموتى . لانهُ لا يكتفي بذم الاحيا بل يشرع ان يذم الموتى الذين ربما نفوسهم تكون في السماء

وهذا قليل بالنسبة الى ضرر السامع فانهُ يضره بنوعين الاول بخرقه حجاب الحيا الذي يضبط الانسان عن الاقدام على الشر فمتى من يسمع ان فلانًا فعل الخطية الفلانية ياخذ في ان يحدث نفسه قائلاً قد بان لي ان هذه ليست بشيء قبيح مخيف كما كنت اظن . فان كان ساقطًا بمثلها فيستخف بشرها لسماعه من النمام ان غيره اقترف هذا الذنب . وان بريئًا منها فتنفخه ريح الكبرياء او يجتري على ضيعها ان البرص متى كان مخفيًا تحت ذيل المنو بهِ لا يضر بسوى هذا المبتلى لكن اذا شرع الناس يلمسونه يصير مرضًا وبائيًا ورويدًا رويدًا يسرى الى البلد كله هكذا الشر الخفي يضر فاعله فقط واما اذا اشتهر فيصير مرضًا بالعامة . والضرر الثاني المسبب للسامع هو انقياده لمشاركة النمام بالنميمة والاقتداء بهِ وبلومه الناس يجعل نفسه افضل منهم ويقيم ذاته رئيسًا عليهم قال القديس برنردوس ان ذنب النمام والسامع لهُ هما سيان . ولا فرق بينهما الا بهذا وهو ان الثالب يكون الشيطان على لسانهِ واما

السامع فيكون في اذنهِ كما ان الذي يلقي ناراً على دار ليحرقها لا يخطأ هو فقط بل يخطأ ايضاً من يراها ولا يسارع الى اطفائها لكنه يصطلي عليها هكذا لا يذنب النمام وحده بل الذي يسمعه ولا يمنعه ايضاً مع كونه قادراً على منعه اما بقطع حديثه بحديث آخر كمن يلقى رداء بازاء الثور الهائج ليصده عن ان ينطح انساناً . واما باظهاره عبوسة الوجه ليشعر الثالب بعدم رضاه فيسكت كقول الحكيم ريح الشمال تبطل المطر والوجه العبوس يبكم اللسان الثالب (امثال ص ٢٥ ع ٢٣) او بالهرب منه كمن يهرب من وجه الحية لانهُ لولا السامع يصغى لما تكلم النمام فما من احد ياخذ بضاعته حيث لا يوجد من يشترى منه . فاقتدِ يقول ابن سيراخ سيج اذنيك بالشوك ولا تسمع اللسان الخبيث . لان اللسان الثالب اقلق كثيرين وبددهم من امة الى امة وهدم مدناً محصنة وخرب بيوت العظماء وكسر جيوش الشعوب وافنى اماً ذات اقتدار ومن اصغى اليهِ لا يجد راحة ولا يسكن مطمئناً ص ٢٨

ثم ان النمام يجرح نفسه ويلحق بها ضرراً جسيماً فانهُ اولاً يصير ممقوتاً من الله ومستحقاً للعنة كقوله تعالى النمام ذو اللسانين اهل للعنة لاهلاكه كثيرين من اهل المسالمة (سيراخ ص ٢٨) ولمخالفته قوله تعالى بلسان ابن سيراخ ان سمعت كلاماً فليمت عندك (ص ١٩) . ثانياً يصير مكروهاً من الناس لانهم يتحذرون منه لخوفهم من ان يقول عليهم امام الغير ما يقوله عن الغير امامهم فايُّ شيء اكثر ضرراً واعظم شراً من ان يكون الانسان موضوعاً لبغض الله والناس . ثالثاً يضع

امر خلاصه في خطر الهلاك لما يحدثه من الضرر بتعريه القريب من صيته الذي يفضل كل ما ملكت يده وكثيرًا ما يهون على الانسان ان يخسر ماله دون صيته وان يُجرح جسمه ولا اسمه . قال الحكيم ضربة العصا تصنع جرحًا وضربة اللسان تحطم العظام (ابن سيراخ ص ٢٨ ع ٢١) ان الطاووس اذا نتف ريشهُ المجمل بهِ يضطر الى ان يختفي في الاصطبل وعلى مثال ذلك يتفق لكثير من الناس لفقدان صيتهم ان يتنحوا عن العالم ويخسروا خيرات جمة كانوا ربحوها لو لم يتعطل صيتهم بلسان النمام . فمن يعري القريب من صيته يشبه الذين عروا المسيح على الصليب . وخطيته عظيمة وعقابه شديد ومن اضطلاعنا على الاسباب التي تحمله على المذمة نطلع على كبر ذنبه وجسامة اثمه . لان الذي يحركه الى ذلك هو . اما بغضة مخفية نحو القريب كنار تحت الرماد فيتظاهر انهُ صديق محب حال كونه عدوًا ماكرًا فتسمعهُ يقول ان فلانًا صديقي وانا اودُّ خيره لكن انا اسف عليهِ لانهُ لص ويده طويلة . واما حسد لنعمة القريب فيريد تنكيسه ولو لم يستفد من ذلك شيئًا فينفث سم حسده بقوله عليهِ انهُ عديم الامانة في معاطاته كذاب في اقواله مراوغ في الاخذ والعطا وفي البيع والشراء والى الحسد بالخصوص تنتمي النميمة لانها ابنته كما سماها المعلم الملايكي . ولكن بئس الخليفة هي وكما ان احدى الضربات التي ضرب الله بها المصريين كانت الضفادع هكذا احد شرور الدنيا هو النمام الذي لا يزال مستغرقًا في وحول الخطايا كالضفادع . يصمت في النهار عما

فعلهُ القريب من الخير ويصيح في الليل كاشفاً زلاته ويضر بلسانه اكثر
مما يضر بيده لان مضرة يده تتصل الى الجسد فقط واما مضرة لسانه
فتلتحق بالنفس التي هي اشرف من الجسد ويده لا تضر الاَّ الحاضر واما
لسانه فيضر الحاضر والغائب · قبح الله وجه الحسد وابكم لسان النمام
الحسود · واحياناً تتولد النميمة من خباثة النمام الذي يحب ان يفني
الخير ويشين الصلاح لان صلاح الابرار توبيخ للاشرار فالنمام الخبيث
يشوّه محاسن الفضيلة بمذمته لها وللسائرين بها لئلا يبان قبح سيرته
اذا قابلها بحسن سيرتهم ومثلهُ في ذلك مثل الجمل الذي يعكر الماء بدوسهِ
كيلا يرى فيه شناعة صورته · ويصح فيهِ ما قيل في المثل · انَّ طيبَ
الورد مؤذٍ بالجُعَل · ولا يختلق الشر على الناس الاَّ من كان شر الناس
لان اللسان ترجمان الجنان والاناء ينضح مما فيهِ فاناء الخل لا ينضح عسلاً
بل خلاً والشجرة الجيدة لا تثمر رديًا · فمن ثمارهم تعرفونهم

فياما اصعب مداواة الشرور الصادرة من النميمة وما ابعد اصلاح
اضرارها واصعب الامرين خلاص الثالب اذ لا تغفر خطيته الاَّ بالرد
وهذا الرد ضرب من المحال لعدم معرفته بكل ما احدثهُ من الضرر
فالذي يسرق حنطة معدة للطحن يرد قيمة المثل ولكن ماذا يرد من
سرق حنطة معدة للزرع في حقل جيد لانهُ لا يعرف كمية ما كانت
تعطيه من الغلال هكذا ما من احدٍ غير الله يعرف بالتدقيق قيمة الضرر
المتأتي من لسان النمام والثالب ماذا ترد لتلك الابنة التي شهرت ذنبها
المستتر او ثلبتها زوراً وعدواناً فامست متروكة نظير كرمة ملقاة بدون

سند أتعلم باي بيت كان نصيبها واي حظ كان لها لولا لسانك وماذا
تعوض على ذاك الذي هترت عرضه فتهقرت احواله ولولا شر لسانك
لكان مزهرًا كالنخلة في قادس ونامياً كالارز في لبنان فكم من نمام يعدُّ
النميمة تنزهًا نظير نيرون الملك الذي احرق رومية وكان يتنزه على
لهيبها فترى النمام جالساً يتفرج على نارٍ قذفتها براكين لسانهِ الجهنمية
في البيوت والاديرة وسودت بدخانها اعراض الناس فاينما جلس يقع
باخيه وعلى ابن امهِ يضع شكًا وما اشبه مثل هذه الالسنة بثعالب شمشون
التي ربطها بعضها ببعض جاعلاً ذنبًا الى ذَنَب ووضع بين كل ذنبين
مشعلاً واوقد المشاعل وارسل الثعالب في زرع الفلسطينيين فاحرقت
الاكداس والزرع حتى الزيتون (قضاة ص ١٥) هكذا يصنع العدو
البشري فانهُ يستخدم النامين والسامعين لهم رابطًا بعضهم ببعض باشتراكهم
بالنميمة جاعلاً بين لسان الثالب واذن السامع مشعلاً موقدًا بنار
الغيبة والوقيعة ويحرق بها زرع اعمال القريب الصالحة ويسود بدخانها
بياض صيته الحسن . ولكن فليعلم مثل هولاء انهم سيحترقون بنارٍ
شوَّهوا بها شان غيرهم . فثعالب شمشون احترقت بالنار التي بها احرقت
زرع الفلسطينيين . فانا اتعجب كيف استطاع شمشون ان يصطاد
ثلاثماية ثعلب بوقت واحد وها ان الشيطان يصطاد ثلاثماية بثلاثماية
من النامين والسامعين لهم ويكردسهم في تلك النار الخالدة هذا ما يصنعهُ
الثالب ولا يعتبره ويا ليتهُ يعترف بهِ لكي يوضح لهُ مرشده جسامة ذنبه .
واذا اعترف بها احيانًا يعتذر قائلاً انهُ لم يقصد ضرر احد بثلبه بل كان

يصده تحسين الحديث ليكون مقبولاً كأن الثلب في الكلام كالملح في
الطعام واذا نصحه مرشده ليكف لسانه عن الثلب فيقول لا اقدر
واذا الزمهُ بالتبرير وامسك عن حله فينفر منهُ وينتقل الى غيره فيغير
المرشدين ولا يغير سيرته فما اقربهُ الى جهنم · خبر ذكر عن رجل نمام
اتهم امرأة بانهُ اوقعها في الخطا ثم ذهب عند كاهن يدعى كاسترو واعترف
لهُ بهذه التهمة فالكاهن نهض حالاً من كرسيه وقال لهُ اغرب عني
لانك هالك فخجل المعترف جداً وكاد يقطع رجاءه غير انهُ افتكر بان
هذا الكاهن قاسٍ عديم الصبر وانهُ يجد كاهناً ارحم منهُ فقصد مرشداً
صالحاً غيوراً فطناً صبوراً وشرع يتظلم لديه من طبيب نفسه الاول
قبل ان يلتمس دواءً لمرضهِ فالكاهن عزاه معتذراً عن ذاك · فلما اقر
بتلك التهمة الكاذبة قال لهُ يلزمك ان تكذب نفسك علناً وتبرر تلك
الامرأة فنفر التلميذ وقال كيف يمكن ان اشهر ذاتي كذاباً واشين شرف
اصلي واهلي فما امكن المرشد ان يقنعهُ لا بالوعد ولا بالوعيد فلما ايس منهُ
نهض من الكرسي وقال حقاً ان الانبا كاسترو اخبر مني وافضل لانهُ
عرف هلاكك حالاً واما انا فلم اعرفه الاَّ بالامتحان قال هذا ومضى
متوارياً عنه · وذكر عن الانبا اسحق انهُ مضى ذات يوم الى مجمع من
مجامع السياح فظن سوءاً في احدهم وقال انهُ اهل للعذاب لاجل نقص
ما شاهده فيه فلما عاد الى قلايته وجد على بابها ملاكاً واقفاً يصده
عن الدخول فسالهُ الانبا المذكور عن سبب منعه فاجابهُ الملك ان الله
ارسلني اليك لاخبرك ان السائح الذي حكمت عليهِ انهُ مستحق العذاب

قد مات ووقف الحكم عليهِ ليعرف منك ماذا تريد ان يفعل بهِ والى
اين يذهب بنفسهِ الى السماء ام الى جهنم فارتعد الانبا من ذلك واي
ارتعاد وغشي عليهِ ولما انتبه استغفر عن ذنبه فقال لهُ الملك ان الله قد
غفر لك ولكن احذر من ان تقيم نفسك ديانًا على احد قبل ان يحكم
عليهِ ديان البشر · قال القديس بونا ونتورا ان الله اعطى الانسان لسانًا
ليمدحه بهِ ويعمر القريب ويشكو نفسه فالنمام يخالف هذه الغايات الثلاث
لانهُ يغيظ الله ويصير للقريب حجر عثرة ويضر هو نفسه ضررًا كبيرًا
فيحصل على خطر الهلاك الابدي فاحذروا اذًا من سقطات اللسان لئلا
يكون سقوطكم للموت بلا شفاء اوقاكم الله من مثل هذه الخطايا وحفظ
السنتكم من كل ثلب ونميمة لتستحقوا ان تسبحوه في السماء امين

في الكذب

قال القديس بولس الرسول · انبذوا عنكم الكذب وليكلم كل
واحد منكم قريبه بالحق لانَّا اعضاءٌ بعضنا لبعض (افسس ص ٤ ع ٢٥)
انهُ لقد ذكر بلوتركوس المؤرخ عن ارتحشستا ملك الفرس انهُ
كان قد امر في شرائعه ان يثقب لسان الكذاب بالحديد في ثلاثة
مواضع · فبالحقيقة ان الانسان الكذوب يستحق مثل هذا القصاص
المثلث · لانهُ بالكذب يخالف الطبيعة · والعقل النطقي · والايمان

ويتكلم خلافاً لما في عقله وضميره وذلك مما لا يجوز قطعاً لا من اجل حفظ السلام ولا لاجل حفظ مملكة حتى ولا من اجل خلاص العالم برمتهِ ان العلماء يميزون ثلاثة انواع من الكذب احدها اصطلاحي وهو حينما يكذب الانسان لاجل نفع يخصهُ او يخص غيره · والثاني انشراحي وهو حينما يكذب قاصداً التنزه والانشراح · والثالث كذب مضر بحياة القريب او بشانهِ او بمالهِ وهذا شر انواع الكذب وكما ان الحيَّات لا تضر على حدٍ سوى هكذا الكذب منه خفيف ومنه ثقيل ومهما كان فانهُ اسية الى الله ويمقته تعالى ويضر نفس من ينطق بهِ وعليهِ وجب ان نتكلم في خطابنا هذا على الكذب بوجه العموم موضحين كيف ان يخالف اعمال الطبيعة المبدعة من الخالق ويضاد العقل والصواب المغروسين في الانسان العاقل ويضر بالهيئة البشرية كما انهُ يضاد الايمان مضادة كلية · فاحسنوا الاصغاء على حميد عادتكم وقبل الشروع · ·

ان الكذاب يخالف الطبيعة لانها لا تغش بفعلٍ ما من جميع افعالها بل تبتدي غاية الاجتهاد في ان تنطق دائماً بالحق واذ كنا قاصرين عن معرفة الجواهر كما هي في ذاتها فالطبيعة تظهرها باعراضها وتحمينا من كل خداع · فاذا شهدت احدى الحواس كذباً بوجه التغافل تريد الطبيعة حالاً ان حاسة اخرى تصلح ضلال تلك الحاسة الغاشة · فلو رأت العين في الماء عوداً معوجاً فيما انهُ في ذاته غير معوج لظهرت الحقيقة حالاً بواسطة رفعهِ من الماء بل لو اتفق ان جميع الحواس تشهد كذباً فالطبيعة تنفي هذا الكذب بواسطة العقل ولا نرى فرداً من

انواع الموجودات الطبيعية يفعل بخلاف طبعهِ ويظهر غير الحقيقة فالشمس لا تبان منيرة مرسلة اشعتها في المسكونة بينما تكون محجوبة بالغيوم ولا الارض تكذب مظهرة لنا انها مخصبة مخضلة حال كونها مجدبة يابسة ولا السحاب يظهر لنا انهُ ممطرٌ وبلاً فيما انهُ سحاب جهام لا ماء فيهِ واما الكذاب مع انهُ قد تعلم في مدرسة الطبيعة هذه المتكلمة بالحق فيعلم لسانه ان ينطق بالكذب كما قال ارميا النبي (ص ٩ ع ٥) فانهُ بهذا يخالف ترتيب الطبيعة فما الذي يترتب على الانسان الذي لا يستخدم لسانهُ الاَّ ليجأر كالثور ويعوي كالكلب وينخر كالخنزير فبلا شك انهُ يترتب عليهِ ان يقطع لسانه لانهُ خالف ناموس الطبيعة فبالاولى يجب ان يخرس ذاك اللسان المتكلم بالكذب . وكما ان الساعاتي يقصد بوضعهِ ابرة في الساعة ان تظهر بامانة حركة دواليبها الداخلية فان اخلت كاذبة تهين صانعها وتستحق ان ترفع وترذل هكذا قصدت الطبيعة بجعلها اللسان ان يظهر بامانةٍ ما في باطن الانسان فان اخل كاذباً فانهُ يهين الطبيعة ويستوجب القطع

ثم ان الانسان الكاذب لا يهين الطبيعة وحدها بل انهُ يهين العقل النطقي ايضاً لان العقل هو المحافظ حقائق الامور كما هي واللسان الكاذب يظهر غير الحقيقة فكأَنَّ العقل يقول لهُ حال تعمده الكذب اصمت ايها اللسان . واللسان يقول لهُ انت اصمت لا يعنيك . وبهذا يهين الهيئة الاجتماعية ايضاً لان الانسان لم يخلق لنفسهِ فقط بل انهُ خلق لاجل القريب كما قال القديس توما . فالانسان الفردي يستحيل

عليهِ ان يستبد لنفسه بكل ما تقوم بهِ الحياة فانهُ يحتاج الى نجار ونساج وعمار وفلاَّح وما اشبه وكما انهُ يحتاج غيره فغيره يحتاج اليهِ بكثير من امور هذه الدنيا ولا رابط يتكفل بحفظ الامنية والراحة العمومية الاَّ الصدق في الكلام والمعاملات والحال ان الكذب مخل بكل ما ذكر فاذًا هو مضر بالراحة العمومية واشد ضرًا من الدراهم المغشوشة لان الدرهم المغشوش خسارته مقصورة على قدر قيمته ومحصورة في من يظهر غشه بيده · واما اضرار الكذب فكثيرة جدًا فكم من دماء مهدورة واعراضٍ مهتورة واموالٍ مسلوبة واملاكٍ مغصوبة بسبب الكذب واذا فحصتم عن العدوات التي تقاوم عهدها والخصومات التي يمكن عقدها تجدوها مسببة من انسان كذوب · ومع هذا نرى الكذوب لا يقبل فلسًا مغشوشًا وهو يملأ قلبه وفمه من الكذب ليغش الناس فلو كان الحق معتبرًا في العالم نظير الذهب لكان يتعذب الكذاب باشد عذاب مما يتعذب بهِ من سك دراهم مغشوشة ولكننا نرى السجون مشحونة من الكذابين الذين يملأون الدكاكين والشوارع كل يوم من الباعة والمبتاعين · فلو كانت تقول العين لليدين ان الجمر الملتهب هو جمر مصور فقط او تقول للرجل ان العقارب هي نمل او للفم ان الطعام هو سم وان السم هو طعام لكان يباد الجسم الطبيعي ويحل المركب البشري فهذا ما يحدث من قبل الكذب في الحياة المدنية التي هي جسد ادبي مركب من الذين يعيشون في العالم جملة فالروح الذي يحيي هذا الجسد الادبي هو الصدق ولهذا قال الرسول انبذوا عنكم

الكذب وليصدق كل واحد منكم قريبه في الكلام لاننا اعضاء بعضنا لبعض واما الكذب فانهُ اكبر آفة لفساد هذا المركب · فليبكم فم الكذوب ويعتقل لسانه ولتخرس شفاه الكذب (مزمور ٣٠ ع ١٨)

اننا قد تكلمنا عن الكذاب انهُ مخالف الطبيعة حال كونهِ جبلة منها ومضاد العقل النطقي حال كونه مدبرًا منه ومضر بالهيئة البشرية حال كونه فردًا منها فيقتضي ان نتكلم عنه الآن انهُ يخالف الايمان بما انهُ مسيحي لان ايماننا يحرم الكذب اشد التحريم ويوجب علينا ان لا نتكلم الاَّ بالحق وان يكون كلامنا نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير (متى ص ٥) فاول من نطق بالكذب هو الشيطان وذلك حينما خدع حواء بقوله لها لن تموتا (تكوين ص ٣) فاذًا كل كذاب هو تلميذ مدرسة الشيطان معلم الكذب لا بل هو ابن لهُ كقولهِ تعالى للكذابين انتم من ابٍ هو ابليس وشهوات ابيكم تبتغون ان تعملوها هو من البدء قتال الناس ولم يثبت على الحق لانهُ لاحق فيهِ · اذا تكلم بالكذب فانما يتكلم بما هو لهُ لانهُ كذوب وابو الكذب (يوحنا ص ٨ ع ٤٤) فالكذاب اذًا مرذول من الله لان الله والد الحق منذ الازل والشيطان والد الكذب فينتج انهُ يوجد نوع قرابة بين الكذاب ولوسيفوروس في درجة اولى من الخط المستقيم فلهُ حق الوراثة في جهنم وكما انهُ خزاه الله استخدم لسان الحية في الكذب على حواء هكذا يستخدم لسان الكذاب فيكون الكذاب بمنزلة حية يبث سمه في اذان سامعيهِ · فالسيد المسيح انحدر من السماء ليظهر الحق ويبثه في العالم كله

حسب قوله تعالى اني لهذا ولدت ولهذا اتيت لكي اشهد للحق (يوحنا ص ١٨ ع ٣٧) والشيطان خرج من جهنم ليعلم الكذب ويبثه في المسكونة باسرها فيقول لمحب المال اسرق اطمع غش في البيع والشراء والاخذ والعطا واحلف كذباً تربح اموالاً وافرة وتصير ذا ثروة كثيرة والحال ان الحرام يبيد الحلال ويفسده كما ان درهم سم يفسد قنطار عسل وجذوة نار تحرق كل ما في الدار . ويغري المبغض على الانتقام واخذ الثار بقوله لهُ ان لم تنتقم من عدوك يحط شانك وتخسر شرفك وتقل مهابتك وقد فاته ان شرف الانسان ان يرتد عن الخصومة وبهذا يعتبره الناس ويهابونه . ويكذب على ذاك الانسان قائلاً لهُ ارتكب الفحشاء تجد لذة وافرة وهناك الغش التام لانهُ اية لذة في المرارة واية راحة لمن يحمل على عاتقهِ احمالاً دونها ثقل الجبال الشم . قد كذب على حواء ونظرنا ماذا كان من كذبه . وكذب على قاين بقولهِ اقتل اخاك تربح ولا ازيدكم علماً بما حصل عليهِ ذاك التعيس من عدم الراحة كذب على عاخان حتى سرق فكانت النتيجة انهُ مات رجماً وعلى يهوذا فمات شنقاً وعلى الشيخين الدنسين والشاهدي زور على سوسنة فماتا قتلاً . وكما ان الطبيعة تمنح الامهات لبناً قبل ان يلدن بزمن يسير هكذا يصنع الشيطان بالاطفال فانهُ يرضعهم لبان الكذب قبل ان يلدوا باقي الخطايا . ولا ريب ان السرقة والزنى والحنث والقتل والغش وكل خطية تتربى بالكذب وبالكذب تنمو وبهِ تتقوى وتتسلط وتتمكن وبدونهِ لا تثبت فلو نفي الكذب من العالم لانتفت كل الرذائل ومن

ثم قد دعى ترتوليانوس الكذب خادم الشهوة لان كل شهوة تستخدمه في تكميل مرغوباتها فاذا اخذت الوالدة ان تنصح لابنتها على حبها الزينة الزائدة والفرُجَ الباطلة وتونبها على امورُ غير هذه مما يضاد الاحتشام والعفة فتجيبها قائلة ان الذين شكوني لكِ لمفسدون والسنتهم خبيثة ويبغضوني والذي سودوا بهِ عرضي عندكِ ليس لهُ اصل البتة ولا ثبات كذبها تستشهد الله وتطلب منهُ الانتقام لنفسها فهذه طريق الامرأة والبنت الفاسقة تاكل وتمسح فاها وتقول ما عملت اثماً (امثال ص ٣٠) انهُ يوجد حيوان يدعى الكبكاب لهُ فم وثلاث ارجل يسرق بها الفواكه من الجنائن والبساتين ولكن متى شعر بالصيادين ونبح الكلاب يتحول الى شكل طابة مدورة مظهراً على نفسه انه غير اهل لسرقة الاثمار لخلوهِ من ارجل تمشي وفم ياكل مع ان اسنانهُ امضى من السيوف وارجلهُ مثل مخاليب البازي غير انهُ يخفيها تبرئية لنفسه من السرقة هذا عينه تراهُ في الخطاة بعد ارتكابهم افظع الاثام فانهم يحيلون انفسهم الى صورة اناس ابرياء من كل ذنب بواسطة الكذب . بالكذب يدخل الغش في المعاملات والزنى في البيوت والحلف الباطل في المحاكم والخصومات والخيانة والغضب وبالجملة ان كل الرذائل تستخدم الكذب واكثر الناس يرغبون في ملازمة هذه الصناعة التي لاربح فيها الاّ الهلاك الابدي ويعتدون من من لا يكذب انساناً ساذجاً قليل الذكاء . واما داود النبي فيوبخ مثل هولاء بقولهِ يابني البشر حتى متى تبتغون الكذب (مزمور ٤ عد ٢)

واشعيا يونبهم قائلاً قلتم جعلنا الكذب معتصماً لنا واستترنا بالافك (ص ٢٨ عد ١٥) ويا ليت الكذاب يقتصر بكذبهِ على الناس ولا يكذب على الله كما يجري من الذين يكذبون في سر الاعتراف المقدس فلا يخجلون من ارتكاب الذنوب الفظيعة ويخجلون من الاقرار بها لدى مرشدهم الروحي الذين قد دعاهم اشعيا النبي اولاد المعصية ونسل الزور (ص ٥٧) غير ان الامر المرثي لهُ هو ان بعض المسيحيين قد صار الكذب فيهم عادة ذميمة افضت بهم الى ان ينكروها في اعترافاتهم او يعترفوا بها على سبيل العادة واذا نصحهم مرشدهم على قطعها يعتذرون قائلين انهُ لابدَّ من الكذب لمن يعيش في العالم ويعاشر الناس ويبيع ويشتري والاَّ فيفوته الربح الذي يوملهُ بل كثيراً ما يخسر رأس مالهِ . فهذه الاعذار بطلانها واضح اولاً لان ما حرمهُ الله لا يحل خرقه ولا لربح العالم باسرهِ ثانياً لان الرابح من صدق في معاملاته لا من كذب · خبر ذكر الانبا كيساريوس عن تاجر من مدينة كولونيا ان مرشده نصح لهُ ليترك عادة الكذب في تجارتهِ فاعتذر قائلاً لهُ يا ابتِ لا ربح في التجارة بدون الكذب فاجابه المرشد المذكور ان عدم الربح لا قل شراً من عذاب النار الشديد سعيرها ومع ذلك فقولك هذا هو كذب ايضاً فانا الضمين لك اذا عدلت عن الكذب انك تربح اضعاف ما تربح بهِ فاعتمد التاجر على كلام الكاهن املاً في زيادة الارباح وامتنع عن الكذب سنة كاملة غير انه في هذه السنة نقص نصف كسبهِ الاعتيادي فرجع الى مرشدهِ مغضباً حزيناً متسلحاً باعذارٍ اقوى وكأنه

يريد ان يقيم عليهِ الحجة بطالب الخسارة المذكورة بقولهِ ان ثبتُّ على الصدق سنة اخرى تتأخر احوالي وتفتقر عيالي وتتلف اموال الناس عندي ويحط شاني فاجابهُ الكاهن عليك ان تلازم الصدق سنة ثانية وانا اعاهدك من قبل الله ان الصدق اجلب للربح من الكذب فاثبت على صدقك ولا خوف عليك من الخسارة فعند ذلك امتثل لقولهِ وثبت على صدقهِ فلما اشتهر خبر امانتهِ تقاطر اليهِ المشترون وتزاحمت الاقدام على حانوتهِ حتى ربح في سنة واحدة عشره اضعاف ما كان يربحهُ في الكذب ‥ ولنفرض ان الكذاب يربح ارباحًا وافرة بحيلهِ وكذبهِ الاَّ ان ربحه اشبه شيء بربح السمك الذي يلتقم الطعم من الصنارة فبينما يظن الغبيُّ انه اغتنم صيدًا يضحي غنيمة الصياد . قال الحكيم ان المعوز خير من الكذوب (امثال ص ١٩ عد ٢٢) ومن لا يعتقد ذلك الان سيعتقدهُ حينما يرحل من ارض الكذب الى ارض الحق . هناك يتأكد ما نطق بهِ الحكيم القائل ان الفم الكذوب يقتل النفس (حكمة ص ١ عد ١١) . فعليك ايها المومن ان تقول مع ايوب البار بعزم ثابت انه ما دام نفسي فيَّ وروح الله في آنفي لن تنطق بالسوء شفتاي ولا يهذ لساني بالبهتان (ايوب ص ٢٧ عد ٣) لا اكذب طمعًا بخير ولا خوفًا من شر ولا حبًا باحد الناس ٠ وليقرر عزمك هذا ما قالهُ الحكيم شاهد الزور لا يزكي ونافث الاكاذيب لا يفلت (امثال ص ١٩ عد ٥) من سخط الله العادل ومن بغض الناس لهُ لانهُ لا أحبَّ لدى الناس من الصادق ولا اشد كرهًا اليهم من

الكذوب · فما اسعد حال انسان يملك كل ما يملكه الناس بصدقهِ فترى الجميع يركنون اليهِ و يامنونه على كنوزهم واموالهم وايرادهم وعيالهم وبالعكس يا ما اتعس حظ الرجل الكذوب من لا تركن اليهِ نفس ولا يأمنهُ على فلس · فحالهُ حال تاجرٍ مفلس لا يقبل لهُ امضآء ولا يكفلهُ احد ولو على مثقال ذرة · اوحال صرّاف يضع تجاه الناس دراهم قد انكشف غشها فيمسي صفر اليدين وهدفًا لسهام المذمة وسرورهُ بما ربحهُ بالكذب ينقلب الى حزنٍ لما يخسرهُ من حسن السمعة وراحة الفكر ولذلك قال الحكيم خبز الكذب لذيذٌ للانسان و بعد ذلك يمتلئ فمهُ حَصًى (امثال ص ٢٠ عد ١٧) ولا ريب في ان الكذاب يوم الدينونة يشتهي ان يكون ولد خلآء من ذاك اللسان الذي استخدمه ضد الحق. ومن جرائهِ استحق ان يكون نصيبهُ في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رويا ص ٢١) لان الله هو الحق بالذات . ويُهلك الناطقين بالكذب كما قال داود في المزمور الخامس فامنحنا اللهمَّ نعمة التوبة الصادقة على ما فرط من السنتنا بشفاعة سيدة العالمين وجميع القديسين امين

في الخطايا الفكرية

قال الروح القدس بلسان الحكيم صُن قلبك اكثر من كل محفوظٍ فان منهُ مخارج الحياة (امثال ص ٤ عد ٢٣)

انه لحفظ المدينة من هجوم العدو يلزم امران وهما الصيانة باحتراس والمقاومة بشجاعة · فالصيانة لئلا يفاجئها العدو من حيث لا تدري · والمقاومة بشجاعة في حين المحاصرة · فهذا نفسه يامرنا بهِ الله لحفظ قلبنا من هجوم الافكار الردية التي هي الدُّ الاعداء مخافة ان تثب عليهِ بغتةً وتسلب منه حياة النعمة فتحتّم علينا ان نصونه بعينٍ يقظى لان منه مخارج الحياة . ولدى طروق الافكار يجب ان نقاومها بشجاعةٍ مقاومة الابطال في حومة القتال . كقول الرسول . تشددوا في الرب وفي قدرة قوته لتستطيعوا مقاومة مكائد المحال (افسس ص ٦) فالحذر من قبول الافكار السمجة المنهى عنها اشد النهي من الله الذي لا تخفى عنه خافية ويعاقب على سوء الافكار كما يعاقب على سوء الافعال · ففي خطابنا هذا نبين اولاً تعاسة من يلتذ بمثل هذه الافكار ولا يعبأ بها ثانياً نوضح الاسلحة التي بواسطتها نتمكن من الانتصار في هذه الحرب وقبل الشروع نلتجي . . .

قال ابن سيراخ ان عيني الرب أضوأ من الشمس عشرة الاف ضعفٍ فتبصران جميع طرق البشر وتطلعان على الخفايا (ص ٢٣ عد ٢٨)

ان الله وحده ينهى عن خطية الفكر دون سائر واضعي الشرائع اذ ما من سواهُ يستطيع أن يعرف من يخطاء بمجرد الفكر

فالشرائع البشرية تنهى عن السرقة والقتل والزنى ولا تنهى عن اشتهاء ذلك ولا تعين قصاصاً على الذنوب الباطنية صرفاً لكون واضعي هذه الشرائع يعلمون الانسان من خارجه فقط كمن يبصر ساعة مقفولة كقوله تعالى لصموئيل النبي ان الانسان انما ينظر الى العينين واما الرب فانه ينظر الى القلب (ملوك ١ ص ١٦) وكما ان صانع الساعة بلحظة واحدة يعلم كل حركاتها المستقيمة والمنحرفة ويدبرها هكذا الله عزَّ وجلَّ يعلم باقل من لحظة جميع افكار الانسان وحركات قلبه واميالهُ الصالحة والطالحة لانه صنعة يديه · فلولم يأتِ ابن الله ويكشف شر قلب الانسان واشواقه الردية لاستمرت خفية بغير علاج لان الشريعة القديمة وان تكن خرجت من فم الله فلم يكن فيما بين طقوسها وذبائحها المتنوعة حمامٌ روحي لتطهير القلب من عيوب الافكار ولا ذبيحة لمحو اسيئتها · حتى ان بعض علماء اليهود ظنوا ان كل شر الخطية مقصور على الفعل الخارجي فقط · اما السيد المسيح فقد نادى جهاراً ان من نظر الى امراة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه ودنس فراش قريبه · فشاء تعالى ان يقطع الشرور ويستأصلها من اصولها غير ان الامر المرثي له هو ان بعض المسيحيين الجهلة يطلقون العنان لاعينهم في المناظر الخطرة ولقلوبهم في الاشواق القبيحة ويحسبون انفسهم بريئة من كل خطيئة اذا لم يجزوا بالفعل ما قد اشتهوهُ في القلب ·

والشيطان خزاهُ الله لا يعود يهمه ان يتمموا الفكر بالفعل لانه يكون بلغ اربه بموت النفس ومثلهُ في ذلك مثَلُ الباشق الذي يصطاد بعض الطيور ولا ياكل منها سوى القلب والدماغ هكذا يصنع ابليس بمثل هولآء فانه يفترس قلوبهم بارتضائهم بالافكار السمجة . ويفترس دماغهم بالاستخفاف بها كانها شيء لا بأس منه فلا يعترفون بها . وجهل هولاء اشبه شيء بجهل من لا يبالي بالحمّى الخفية المستقرة في الاحشاء مع انها تكون اكثر خطرًا من غيرها كما يظهر بالاختبار . فتراهم باردين كالرخام لا ينطقون بكلمة سمجة ولا يلوح منهم ما يصدر شكًا . غيران قلوبهم تكون ملتهبة بلهيب شهوة تذيبهم . يشتهون الشرب من بحيرة لوط المنتنة ولا يصدهم عنه الّا الخوف والحيا . فما اتعس حالتهم لانهم مصابون بحمّى خبيثة وخفية . فلخبثها تقتلهم . ولخفآئها لا يدري بها احد ليهتم بنصحهم ومداواتهم . فيبتدئون بتدنيس نهارهم منذ انتباههم من النوم مطلقين العنان لمخيلتهم لتمتلئ من التصورات الدنسة فعن مثل هولاء قال صفنيا النبي بكّروا وافسدوا جميع اعمالهم (ص ٣ عد ٧) قال القديس يوحنا اكليمكوس انه يوجد شيطان يسمى شيطان الوسادة وظيفته ان يسهر مستمرًا عند وسادة النائم ليدخل قلبهُ حال يقظته و يفسد جميع افكاره باشباح دنسة يصورها في مخيلته ومتى امتلك افكاره يمتلك افعالهُ جميع ذلك النهار .

قال القديس اوغوسطينوس اننا بالارادة نخطأ وبها نعيش حسنًا لان جودة الافعال الخارجية وشرها ينوطان بالافعال الباطنية الصادرة من

الارادة التي تامر سائر الحواس بانجاز العمل المرغوب منها فاليد مثلاً لا تمتد الى الضرب والسلب وما اشبه الاَّ بايماء الارادة وعليهِ فالقتل بالفعل لا يمتاز عن اشتهائهِ بالفكر قال السيد المسيح من القلب تخرج الافكار الرديئة القتل الزني الفجور السرقة شهادة الزور التجديف (متى ص١٥) فهذه الشرور كلها قد شهد الحق سبحانه وتعالى انها تصدر من الارادة الشريرة . فلهذا يهتف ارميا النبي قائلاً اغسلي من الشر قلبكِ يا اورشليم لكي تخلصي الى متى تبيتُ في داخلكِ افكاركِ الاثيمة (ص٤ عد١٤) ان النبي لا يريد من اورشليم الا تداخلها افكار ردية بل يروم ان لا تدوم وتستقر فيها ولا ترضى بها لان كل شرها قائم بالارتضاء قال القديس اغوسطينوس انه يجري في طروق الافكار ما جرى في الفردوس الارضي فهناك نرى ثلاثة قد سعوا لهلاك الجنس البشري وهم الحية وحوآء وادم فالحية حركت حوآء الى مخالفة الامر الالهي وحوآء سرَّت بالمشورة الشيطانية وارتضت بها وادم ارتضى بمشورة حواء واكملها فالحية هي رمز لوسوسة الفكر الردي وحواء رمز الشهوة التي تسر بما يوجد في الخطية من ظواهر النفع واللذة وادم الذي هو بمقام الرئيس هو رمز الارادة التي تكمل الخطية بارتضاها وتميت النفس وتهلكها . فلو لم يرتضِ ادم لما مات الجنس البشري بخبث الشيطان ومخالفة الامرأة هكذا ان لم ترضَ الارادة بالامر المنهى عنهُ بل ترذلهُ لا تموت النفس موتاً روحياً ولو سبقت الوسوسة مع ميل غير اختياري الى الشهوة . فلنخف اذاً من الافكار الرديئة التي

تدهمنا ولنبذل في مقاومتها ما في وسعنا من القوة والشجاعة لنبلغ بالجهاد حتى الدم كما جرى للقديس فرنسيس كسافاريوس حينما طرَقَ مخيلتهُ شبحٌ نجس في حال نومه فلشدَّة ما استفبحه وجاهد في طرده انقطع له عرقٌ في صدره ونزف منه دمٌ وافر . فان لم تبدوا مثل هذا الجهاد في قمع الافكار فلا تفتحوا لها الباب كانها اعز الاصحاب لان عدم مقاومتها واستكراهها دليل الرضى بها . فيلزم ان نقاومها اما بالاستغاثة بالله والتماس عونه . او بتوجيه المخيلة الى فكر اخر . او بابراز عزمٍ ثابت اننا لا نرتضي بها ولو الجئنا الى الموت . فلو اتفق عند ذلك ان الجزء الادنى تمرد واستلذ ضد رضى الارادة . فالارادة لا تتضرر بل ربما تجتني نفعًا وربحًا وافرًا لان من يقاوم الافكار يتكلل . ولهذا يسمح الله احيانًا ان النفوس الاكثر طهارة يدهمها اشد تجارب الزنى كما حدث للقديسة كاترينا السيانية وذلك لكي ترتقي الى اسمى درجات العفة بمقاومتها هذه الافكار النجسة وكما ان الرماد لا يوسخ الانية الفضية بل يزيدها نقاوةً ولمعانًا هكذا التجارب لا تضرُّ بالانقيا بل تزيدهم نشاطًا واجتهادًا واتضاعًا قدام الله الذي ينظر الى المتضعين ويسندهم بيمينه لئلا ينغلبوا للتجربة .

ثم ان الخطايا الفكرية تجرح النفس احيانًا اكثر من الخطايا الفعلية فالخاطئ المعتاد قبول الافكار النجسة يخشى عليه من الهلاك وذلك نظرًا لكثرتها وسهولة السقوط فيها ولهذا قال ايوب البار . هل انفتحت لك ابواب الموت ورايت المغابر المظلمة (ص ٣٨ عد ١٧)

قال القديس غريغوريوس في تفسيره هذه الآية ان ابواب الموت هي الافكار الردئية لان منها يدخل الموت الذي يقتل النفس · نعم ان هذا الموت يدخل ايضًا من الحواس الخارجية الّا انها لا تدعى ابوابًا بل يسميها ارميا النبي ظاقاتٍ وكُوًى (ص ٩ عد ٢١) فالفرق بين الخطايا الفكرية والخطايا الفعلية كالفرق بين الدخول الى منزلٍ من الباب والدخول اليه من الكُوة. فلكي يدخل اللص الى البيت من الكوة يحتاج الى سلم وسند وان ينتظر زمن الليل المظلم لئلا تراهُ الناس · واما لكي يدخل من الباب فلا يحتاج شيئًا من ذلك بل يكفيه ان يكون الباب مفتوحًا فيدخل بكل سهوله وحرية كانه صاحب البيت. ومثلهُ من تعمدّ ارتكاب فاحشة فكم يتجشّم من الصعوبات وكم يستعمل الحيل للوصول الي ما قصد فعله · واذا ملك اربه واستطاع ان يكرع من مياه وحل الدنس فيلزمه ان يشرب منها كما تشرب الكلاب من مياه النيل اعني يشرب وهو هارب لئلا يلحقه التمساح ويلقفهُ · واما خطية الفكر فتتم بكل سهولة بدون تعبٍ وعنا ومن غير خوفٍ وحيا ويكفي لاضرام نارها واشتداد اوارها نظرةٌ سمجة او كلمة قبيحة ويصيب المبتلى بها ما اصاب شمشون حين كان راقدًا في حضن دليلة فانها شدّته بحبالٍ جديدة (قضاة ص ١٦) هكذا تكمن للخاطي شهوته الدنسة حتى في حال رقاده ايضًا وتفسد مخيلتهُ باشباح فظيعة وعند انتباهه يجد نفسه مرتبطة بسلسلة افكار غير منقطعة وتستمر من الصباح الى المساء ومن بدء السنة الى نهايتها · وكل تصوّر افكار قلبه

انما هو شرٌ في جميع الايام (تكوين ص٦ عد ٥) فالى هذه الحالة الشقية يتصل من القى عنه خوف الله في زمان شبيبته · لان اعتياده الالتذاذ الاختياري في الافكار الرديئة والارتضآء بها يجعله ان لا يعود يشعر بردآتها كما ان السكران لا يشعر برائحته الكريهة المنبعثة من سكره مثلما يشعر بها الصاحي ويستكرهها · تاملوا برجل حبشي ولد في اقليم حار وتربى فيه فترونه جالساً تحت حرارة الشمس وقت الظهيرة متنزهاً. بحيث لو حُكم على احدكم بالجلوس معه لتصبب عرقاً وغُشي عليه من افراط الحرارة · فهذا هو الفرق بين من اعتاد قبول الافكار الدنسة وبين من كان غير معتادها · فذاك تراهُ مستلذاً متنعماً بدخان لهيب الفحشآء واما هذا فكياد يختنق من ذلك · ويتمُّ بذاك كلام الحكيم القائل. ضربوني ولم اتوجع رضضوني ولم اشعر (امثال ص٢٣ عد ٣٥) فان نصحت لهُ يضحك منك ولا يشعر باليد التي تضر به ولا بسوء عادته التي تجره الى الهلاك · فهو كعصفورٍ مسجون في قفص وحوله الباشق يترصده فانه شقيٌّ من جهتين عذابه من قبل سجنه. وخوفه مما يصيبه عن قليل من الباشق الواقف له في المرصاد هكذا حال من اعتاد قبول الافكار الرديئة فانه شقي من قبل سهولة السقوط في خطايا لا عديد لها ومن خوفه مما يصيبه من الشر في ساعة الموت · لانه اما ان يموت فجأةً اولا · فان مات فجأةً فقد هلك الى الابد وان اتاهُ الموت على نوعٍ اخر يتمكن بهِ من التوبة فيا ما اشد الحرب التي يثيرها عليهِ الشيطان في ذلك الحين لانه خزاهُ الله يخاف ان

يخسر بدقيقة واحدة نفساً قد حفظها تحت سلطته زمناً طويلاً ولهذا يفرغ حينئذٍ كل جهده وجده لئلا تفلت من بين يديه كالاسد الذي يتشبّث بالفريسة كل التشبث حينما يراها تجدّ بالهرب من بين يديه . ان فرعون الملك لم يضطهد بني اسرائيل باشد قساوة الاحينما راهم مستعدين للخروج من ارض مصر . هكذا ابليس اللعين اذا رأى ذاك الخاطي مفتكراً في التوبة عند ساعة الموت ومستعداً للخروج من ارض العبودية فحينئذٍ يتسلح ضده باقوى اسلحة ويفرغ فيه سهام جعبتهِ مستعملاً كل حيلهِ ليبقيهُ مصراً على غيّه . فمن لم يكن معتاداً مقاومة الشيطان فماذا يصنع في ذاك الوقت وكيف يحارب من لم يستعمل قط اسلحة الحرب . ومن كان يسقط من ذاته وهو في حال صحته فكيف يستطيع ان يقف حينما تتزلزل الارض تحت قدميه

واذا كانت حياة الانسان الارضية محاربة كما قال ايوب (ص ٧) كان لا بد له من اتخاذ الاسلحة الموافقة للانتصار على العدو وهي اولاً مقاومة التجربة منذ الابتداء . قال القديس ايرونيموس . اسرع في قتل العدو ما دام صغيراً ضعيفاً واخنقه عند مولدهِ لانك ان تركته يكبر ويتقوى فيعسر عليك قهره وفي هذا المعنى قال داود النبي . طوبى لمن يمسك اطفالكِ ويضرب بهم الصخرة (مزمور ١٣٦) يريد بالاطفال مبادي الافكار الرديئة فهذه ما دامت ضعيفة رضها بالصخرة التي هي المسيح . لانها تشبه شرارة نار وان لم تبادر لاطفائها فتزداد وقدًا وتعجز عن اخمادها ثانياً الفرار من الاسباب وضبطُ الحواس

ليكون الميل الى الشهوة غريزيًا في الانسان المجروح بالخطية الاصلية فلاجل ذلك كان دخولها في قلبنا سهلاً وخطرها عظيماً جدًا فلو اتفقت الاسباب مع هذا الميل لاظلمت العقل عن الصواب ومالت بالارادة الى قبول الافكار الخبيثة وقد اورد القديس بوناونتورا تشبيهًا في ذلك فقال كما ان العدو الذي يحاصر مدينة يسهل عليه افتتاحها والدخول فيها اذا كان لهُ فيها قومٌ متعصبون معه هكذا الشيطان عدونا يسهل لهُ الانتصار علينا اذا كانت حواسنا متعصبة معه بمخالطة الاسباب وعدم اجتنابها فاذًا الفرار من الاسباب هو اسهل واسطة لصد الافكار وطردها عن مداخل القلب فان اردت منع الاعدا عن افتتاح المدينة والاستيلاء عليها فاجعلهم بعيدين عنها ثالثًا الصلوة وهي اقوى سلاح في مثل هذه الحرب العوان ولهذا قال السيد المسيح اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا التجارب (متى ص ٢٦) قال الانبا يوحنا انه ينبغي لمن يروم الانتصار على هجوم الافكار ان يكون كانسان حاملٍ بشمالهِ نارًا وبيمينه ماءً حتى اذا اضطرمت النار يطفئها حالاً بالماء اي اذا اضطرمت فيه نيران الشهوة يبادر الى اطفائها بماء الصلوة . او كانسان جالس تحت شجرة حولها وحوش ضارية فاذا رآها مقبلة اليه لتفترسه يرتقي حالاً الى الشجرة لينجو منها . فاصعد ايها المتجرب الى شجرة الصلوة وارفع عقلك الى الله قائلاً مع داود النبي رفعت عينيَّ الى الجبال من حيث يأتي عوني (مزمور ١٢٠) عليك اتكلت نفسي وبظل جناحيك استتر. خذ سلاحًا وترسًا وهلمَّ لمعونتي

وقل لنفسي انا مخلصكِ (مزمور ٣٤) فلا ريب ان الله ينظر الينا في موقف محاربتنا ويعيننا على اكتساب القوة والشجاعة في التجارب فعلينا ان نأْيس من ذواتنا ونتكل عليه لنفوذ بالغلبة ونشكرهُ تعالى مع الرسول القائل الشكر لله الذي اعطانا الغلبة بربنا يسوع المسيح (قرنتيه ص ١٥) رابعاً كشف هذا الداء الى طبيب روحي واستعمال ما يصفه من الادوية الناجعة لان اخفاء العلة عن الطبيب هو من دواعي الموت القريب والخلاصة عليك ايها المؤمن ان تحترس كل الاحتراس على صون قلبك من هجوم الافكار الردية واعلم ان القلب نظراً الى الترتيب الطبيعي يستمر حياً الى ان تموت كل اعضاء الجسم كما اجمع الاطباء بقولهم انه اول متحرك وآخِر ساكن . واما نظراً الى الترتيب الادبي المراد به الحياة الروحية فهو اول ميت لانه بارتضائهِ بالفكر الشرير يخسر الحياة الروحية حالاً ولهذا قال الحكيم الاية الموردة انفاً صن قلبك اكثر من كل محفوظ لان منهُ مخارج الحياة احفظ اللهمَّ قلوب عبيدك من سوء الافكار لكي ينالوا الحظوة في الابرار بشفاعة مريم النقية وجميع القديسين امين

في الصلاة

ان الرب اوصى تلاميذه بان يصلوا كل حين ولا يملوا (لوقا ص ١٨)

قال القديس يوحنا الدمشقي ان الصلاة هي ارتقاء النفس الى الله ومخاطبته تعالى وطلب الاحتياجات من سخائه العميم · وقد دعاها يوحنا فم الذهب مرسى المتزعجين من العواصف . وكنزًا للفقراء . وشفاء للسقماء . وحفظًا للاصحاء · وبعض القديسين شبهها بسلسلة ذهبية منوطة في السماء يبلغ طرفها الى الارض. فتنحدر الينا بها النعم الالهية وبها نصعد ايضًا الى السماء. وبسلم يعقوب الواصلة من الارض الى السماء وفيها تصعد الملائكة وتنحدر دائمًا ليقدموا طلباتنا الى الله ويأتونا من قبلهِ بالبركات. الصلاة تسكّن غضب الله عن الخطاة وتستعطفه الى الرضى والغفران · وهي مفتاح السماء الذي يفتح جميع الكنوز السماوية كما دعاها القديس اغوسطينوس . وبها ينتقل الخاطئ من العما الروحي الى الاستنارة ومن الضعف الى القوة ومن النجاسة الى القداسة · والبار يزداد برارةً وحرارةً . فيطلب ما يهواهُ وينال ما يتمناهُ . ويبتدئ ان يدخل بالروح الى السماء وهو في هذه الحياة ويتمتع بالمفاوضة مع الله · فيا ما انفع الصلاة واقدرها . وما اسهلها وايسرها فهي ممكنة لجميع الناس

اغنياء كانوا او فقراء. اصحاء او مرضى كباراً او صغاراً رجالاً او نساء.
فلا تحتاج الى نفقة ولا الى تعبٍ ومشقة وتمكن ممارستها في كل زمان
ومكان. ولا يلزمها الا عقلٌ يتيقظ ولسانٌ يتلفظ وكلاهما يدك.
ولبيان شرفها قد عين الله الملائكة تقدمتها لديهِ وشاهده ما قاله
الملاك رافائيل لطوبيا البار. انك حين كنت تصلي بدموعٍ كنت
انا ارفع صلاتك الى الرب (طوبيا ص ١٢ عد ١٢) وما اورده يوحنا في
جليانه حيث قال. وجاء ملاكٌ آخر ووقف قدام المذبح ومعه مجمرة
من ذهب فاُعطِيَ بخوراً كثيراً ليقدم صلوات القديسين على مذبح
الذهب الذي امام العرش فصعد دخان البخور من صلوات القديسين
من يد الملاك امام الله (رويا ص ٨) وقد شُبهت الصلاة بالبخور
لعذوبة رائحتها ولتطهير النفس من نتانة الخطيئة. ولكي تعلموا جيداً
لزوم الصلاة وشروطها المقتضية فنوضحها بقسمين. في القسم الاول
نبين ان الصلاة ضرورية ضرورة الواسطة للخلاص لكل من بلغ
الرشد. وفي الثاني نوضح الشروط اللازمة لتكون مقبولة ومجابة مثبتين
كل ذلك ببراهين طبيعية وشهادات الهية فاحسنوا الاصغاء على
حميد عادتكم واسألوا الله الاستنارة لي ولكم وقبل الشروع
حيوا مريم بالسلام

ان الصلاة لازمة وضرورية جداً للخلاص بالغي سن الادراك
نثبت ذلك اولاً ببرهانات طبيعية فنقول ان احتياجنا الى الصلاة
كاحتياج الجسد الى النفس فكما ان الجسد بدون النفس يوجد ميتاً

هكذا النفس بدون رياضة الصلاة توجد ميتة خالية من النعمة التي
تحييها . وكما ان الماء ضروري للسمك لئلا يموت وللنبات لئلا يجف
هكذا الصلاة ضرورية لنا لئلا نموت بالخطية ونهلك بالجفاف الروحي.
قال صاحب الكتاب غير الكامل . ان الله اعطى بعض الحيوانات
سرعة الجري كالغزلان وبعضها البرائن والمخاليب كالاسود الضارية
وبعضها الريش والاجنحة كالطيور وكل ذلك لتتمكن من حفظ
حياتها الطبيعية وتقيها من كل ما يوءذيها . واما الانسان فلم يمنحه
سلاحاً يقيه بالنفس والجسد الا النعمة التي لا تعطى الاَّ بواسطة الصلاة
قصده تعالى ان يكون هو وحده قوَّتهُ ومُعينهُ . ومثلما ان البستاني
الخبير يُجري الماء الى اغراسه بواسطة السواقي التي يحفرها في الارض
هكذا النفس التي تمارس الصلاة فانها بها تجتذب النعم الالهية ولولاها
لاستقرت في ينبوعها. قال القديس توما اللاهوتي كما انه تعالى حدد
ان الخبز يتصل الينا بواسطة زرع القمح والخمر بواسطة غرس الكرم
هكذا قد حدد منذ الازل ان جميع النعم التي شاء ان يمنحنا اياها تتصل
الينا بواسطة الصلاة التي هي المجرى والقناة لايصال مياه النعم الى انفسنا.
فالشيطان المثلث الخباثة يبذل الجهد في ان يقطع عنا هذا المجرى كما
صنع اليفانا ضد مدينة بيت فالو فيدهمنا بالكسل وشتات الافكار
حين ممارسة الصلاة لنتركها. قال احد الادباء تارك الصلاة اذا وُضع
في قبرهِ وأُهيل عليهِ التراب بالمسحاة (المجرفة) يخاطبه القبر بلسان
فصيح. لا اهلاً بك ولا سهلاً . يامن ضيَّع في الدنيا حقوق رب المخلوقات

باطولَ ما مشيتُ على ظهري وتركت الصلوات وسهوت عنها بالشهوات واللذات . وما اكثر المخدوعين بضلال بيلاجيوس الزاعم ان الانسان لا يهلك لتركهِ الصلاة انما يهلك لاهماله معرفة الحقائق الضرورية معرفتها . وهل يوجد ادرى من الشيطان بمعرفة الحقائق مع انه بكر الهالكين فجميع الملل تعتقد ان الصلاة فرضٌ واجب قضاوه على كل انسان يميز الخير من الشر . الأ بيلاجيوس وتباعه الذين يتاسفون وهم في جهنم على تركهم الصلاة . فينتج مما برهناهُ ان الصلاة لازمة لخلاص النفس لزوم الندى لحياة العشب

نثبت ثانيًا بآيات الكتاب المقدس . منها قوله تعالى اسألوا فتعطوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (متى ص ٧ عد٧) فاذًا من لا يسأل لا يُعطَى ومن لا يطلب لا يجد كما تقول القديسة ترازيا . ومنها قوله اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في التجارب (مرقص ص ١٤) وقوله ايضًا . ينبغي ان نصليّ كل حين (لوقا ص ٨ قد اجمع اللاهوتيون ان هذه الكلمات . اي اسالوا . اسهروا ينبغي ان نصليّ . تتضمن وصية خصوصية وامرًا لازمًا ومن خالفه لا مناصَ له من الهلاك . لاننا لا نستطيع ان نحفظ الوصايا الالهية ونخلص من دون معونة الله الحالية الفعالة . والله اعتياديًا لا يهبنا النعم بدون ان نلتمسها منه . قال القديس الفونوس ليكوري . ان من يصلي يخلص من دون ريب ومن لا يصلي فبدون شك يهلك لان جميع الذين فازوا بالخلاص قد نالوهُ بواسطة الصلاة . وكل الذين هلكوا كان سبب هلاكهم عدم

الصلاة . وهذا هو عذابهم الأمرُّ في جهنم اي تذكرهم في انهم لو صلوا لخلصوا . والان انسدَّ في وجوههم باب الاصلاح ولم يبق لعلتهم علاج

قال المعلم تاودور يطوس ان الصلاة هي شيء واحد ولكنها تقدر ان تنال كل شيء فاذًا يجب ان تصلوا متى كنتم في حال الخطيئة ليمنحكم الله نعمة التوبة والا فتموتون بخطاياكم وتهلكون. صلوا متى وجدتم في خطر قريب للسقوط في ورطة الخطيئة لتنجوا من شرها فلو صلّت حوآء لما سقطت. ولو صلى ادم لظفر وانتصر. يونان لو لم يصلِ وهو في بطن الحوت (يونان ص ٢) لما قذفهُ حيًّا بعد ان تلقفهُ بل كان هالك في جوفه ودانيال لولا صلاته لافترسته الاسود في ذاك الجب الذي طُرِح فيهِ (دنيال ص ٧) والفتية الثلاثة لولا صلاتهم الحارة لا لتهمتهم النار في ذلك الاتون البابلي .فترى باية قوة منع ايليا المطر. وانزل النار ثلاث مرات واحيى الميت ووبخ الملوك الابقوة الصلاة ملوك ٣ ص ١٧ وباي سلاح تدجج داود النبي حينما حارب جليات الجبار وصرعه على الارض قتيلاً الاَّ بسلاح الصلاة (ملوك ١ ص١٧) فلولاها لرُجِمتُ سوسنة العفيفة والبست اهلها ثوب العار (دانيال ص ١٣ ولما استطاعت يهوديت الضعيفة ان تقطع راس اليفانا القهار (ص ١٣) وتلاميذ الرب لما صلوا تزلزل الموضع الذي كانوا مجتمعين فيهِ وامتلأُوا جميعهم من الروح القدس وطفقوا ينادون بكلمة الله بجرأة (اعمال ص ٤ عد ٣١)

والقديس بطرس هامة الرسل لما جثا على ركبتيه وصلّى امام

طابينا من الموت · (اعمال ص ١٠) وحينما أُودع السجن مقيداً وكانت الكنيسة تصلي الى الله من اجله بلا انقطاع سقطت السلسلتان من يديه (فيه ص ١٢) هذه ما عدا آياتٍ اخرى عديدة توضح ضرورة الصلاة ومفاعيلها قد عدلنا عن ذكرها حباً بالاختصار

واما شروط الصلاة لتكون مجابة فهي اولاً ان المصلي يلزمه ان يكون في حال النعمة وان كان ضميره مدنساً بخطايا كبيرة فيجب عليهِ ان يندم عازماً على الاقلاع عنها والاعتراف بها لان الخاطي هو عدو لله واي عدوٍ يقبل توسلات خصمه قبل المصالحة · فلو فرضنا ان ملكاً كان قد عين لاحد عبيده راتباً يومياً يكفي حاجاتهِ وعياله وهذا العبد الغليظ العنق السيء الخلق تجاسر على قتل ابن الملك وفي غضون ذلك تقدم يطلب معاشه اليومي حال كون يديهِ وثيابهِ وسيفه ملطخة بدم ابن مولاه المنعم عليه فبلا ريب ان الملك يزجره ناظراً اليه بعين السخط قائلاً لهُ ياشقي ما هذا الدم الملطخ بهِ أَما هو دم ابني الذي سفكتهُ هدراً كيف تجاسرت على هذا الفعل المنكر وزدت جسارتك بطلبك ما يسد عوذك قبل ان تغسل يديك وثيابك وتلتمس العفو عن ذنبك اغرب من امامي ياوقحاً شقياً كذا يصنع الخاطي الذي يقتل ابن الله باثمهِ كقول الرسول عن الخطاة انهم يصلبون ابن الله ثانية لانفسهم (عبرانيين ص ٦) ويتقدم طالباً خبزهُ اليومي قبل ان يستغفر عن ذنبهِ فصلاة مثل هذا ترجع الى حضنه وتهيج الله الى السخط لا الى الرضوان ثانياً يجب ان تكون الصلاة باسم

المسيح القائل كل ما تسألون الاب باسمي فانا افعله ليتمجد الاب في الابن (يوحنا ص ١٤) لان الانسان لا يستحق من ذاتهِ نعمة الخلاص ولكن المسيح قد استحقها لنا بواسطة الامهِ فاذا اقترنت صلواتنا باستحقاقاتهِ تصير مقبولة عند الله الا ب ثالثًا ينبغي ان تكون الصلوة بتواضع لان صلاة المتواضع تنفذ الغيوم ولا تستقر حتى تَصِل ولا تنصرف حتى يفتقد العليُّ (ابن سيراخ ص ٣٥ عد ٢١) واما المتكبر فيقاومه الله كقول يعقوب الرسول ان الله يقاوم المتكبرين ويعطي النعمة للمتواضعين (ص ٤) ولنا في ذلك مثل الفريسي والعشار اللذين صعدا الى الهيكل يصليان فالعشار الذي كان واقفًا عن بعد ولم يرد ان يرفع عينيه الى السماء بل كان يقرع صدرهُ قائلاً اللهمَّ ارحمني انا الخاطئ قبلت صلاته ورجع الى بيتهِ مبررًا دون الفريسي المتكبر الذي كان يقول في صلاتهِ اني لست كسائر الناس الخطفة الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشار فاني اصوم في الاسبوع مرتين واعشر كل ما هو لي فهذا الذي نفخ فيه ابليس المتكبر في منفخ العجب بنفسه والتباهي بفضائلهِ آخذًا بمذمة غيره نزل الى بيتهِ مشجوبًا مدانًا لان كل من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع (لوقا ص ١٨) قال الملك والنبي داود . الله نظر الى صلاة المتضعين ولم يرذل طلبتهم (مزمور ١٠١) ان البلسم لكي يعرف هل هو حقيقي ام لا يُسكب منه نقطة فنقطة في الماء فاذا نزل الى اسفل ورسب هناك عُرف انه خالص هكذا بالاتضاع والتنازل تعرف الصلاة انها خالصة مقبولة . وعلى

قياس الاتضاع يكون الارتفاع · فشاول حين كان يفتش على ابن ابيه ارتفع الى رتبة ملك اسرائيل (ملوك ١ ص ٩) ورفقة اذ كانت تسقي جمال ابراهيم صارت عروسًا لابنه . (تكوين ص ٢٤) وراعوث عندما كانت تلتقط وراء حصاد باعاز وتجثو عند رجليه أخذت عروسًا له (ص ٢) ومريم العذراء حينما اتضعت امام الملاك قائلة انا عبدة للرب رفعها الله الى مقام سلطانة السماء والارض وجعلها امًا لابنه الوحيد . كما قالت في تسبحتها نظر الى تواضع امتهِ · وصنع بي القدير عظائم (لوقا ص ١)

رابعًا يقتضي ان تكون الصلاة مقترنة بالاتكال على جوده تعالى وبملء الثقة بمواعيده الصادقة · قال ابن سيراخ انظروا الى الاجيال القديمة وتأملوا . هل توكل احدٌ على الرب فخزي · او ثبت على مخافته فخذِل . او دعاهُ فاهمل (ص ٢ عد ١٢) وقال داود طوبى للرجل المتوكل عليه (مزمور ٣٢) ولهذا علمنا يسوع المسيح اننا حينما نصلي نقول ابانا الذي في السماوات · وذلك لكي نتوسل اليه بذاك الاتكال الذي بهِ يلتجيء الابن الى ابيهِ ولا يرتاب بانه يعطيه كل ما يسأله · ومع ذلك فانه تعالى وعدنا بقوله كل ما تسألونه في الصلاة امنوا انكم تنالونه فيكون لكم (مرقس ص ١١) ولا يمكنه ان يُخلّ بوعده لانهُ تعالى · ليس انسانًا فيكذب ولا كبني البشر فيندم أتراهُ يقول ولا يفعل او يتكلم كلامًا ولا يتممهُ (العدد ص ٢٣ عد ١٩) فلو لم يرد ان يمنحنا نعمهُ لما حرضنا كل التحريض على ان نلتمسها منه بقوله · اسالوا ·

اطلبوا اقرعوا · فاذًا صار ملتزمًا من قبل وعده ان يعطي الخيرات
لمن يطلبها بحسن الاتكال ووطيد الرجا · قال يعقوب الرسول · ان كان
احدكم تنقصهُ حكمة فليسأَل الله الذي يوتي الجميع بسخاء خالص
بغير امتنان فيُعطَى · ولكن ليسأَل بايمانٍ غير مرتابٍ بشيءٍ ·
فان المرتاب يشبه موج البحر الذي تسوقهُ الريح وتخبطهُ · فلا يظن
مثل هذا انه ينال من الرب شيئًا (ص ١ عد٥) غير انه لا ينبغي ان
نعتقد بان هذا الوعد الالهي مختص بالنعم الزمنية كالصحة والغنى والتقدم
في الوظائف وايلاد البنين · لانه تعالى مرارًا عديدة ينكر علينا اعطاء
هذه النعم بكل عدلٍ وصوابٍ لانه يعلم انها تضر بخلاصنا الابدي ·
كما ان الطبيب يمنع عن المريض ما يعرف انه مضرٌّ بصحته · فالخيرات
الزمنية يجب ان نطلبها بهذا الشرط وهو ان كانت مفيدة لانفسنا ·
قد ذكر عن بطرونلاَّ ابنة القديس بطرس انها كانت دائمًا مريضة
وعند ما كان يحضر عنده ضيوف يرشها بالماءِ المبارك فتشفى وتقوم
تخدمهم وبعد ذهابهم يعود مرضها اليها · فسأَلوه ان يشفيها شفاءً
تامًا · فاجابهم مرضها خيرٌ لها · وانت يامن تطلب من الله زوال
مرضك ولم تزل مريضًا فالله عالمٌ ان مرضك خيرٌ لك لانك اذا
عُوفيت فيتمرَّد جسدك على نفسك فتهلك · وهكذا قل عن ذاك
الفقير الذي يلتمس من الله الغنى ولم يبرح فقيرًا فعليه ان يتذكر آية الغني
الذي كان يلبس البرفير والارجوان ويلذ كل يوم متنعمًا كيف انه
مات وقُبر في جهنم · فياليته كان فقيرًا نظير لعازار الذي أُوصلتهُ

الملائكة الى حضن ابرهيم · وشاول قبل ان يرتقي الى عرش الملك لم يكن اصلح منه في بني اسرائيل ولما صار ملكًا طغى وبغا فرذلهُ الرب · وعالي الكاهن لو كان بغير بنين لما اماته الله وبنيهِ في يومٍ واحد قصاصًا لهُ بعدم تأديبهِ اياهم · فمثل هذه العطايا الزمنية اذا لم نُعطها فنعطى من النعمة ما هو افضل منها كنعمة الصبر على المرض والفقر وغير ذلك · واما النعم الروحية نظير غفران الخطايا والثبات على البر ومحبة الله وامثالها فهذه يلزم ان نلتمسها مطلقًا من غير شرط ونوطد رجآنا بعناية الله ورحمته وقدرته فنعطاها بدون ريب قال القديس غريغوريوس كيف يمكن ان الذي وهبك الوجود حينما كنت لا شيء يهملك بعد انه جبلك · فان كان تعالى غرس في طبائع اشرس الحيوانات محبة عظيمة نحو اولادها · فتعولها وتحامي عنها حتى الموت فهل يمكن ان يهمل خلائقه ولا يعتني بها قال السيد المسيح لا تقولوا ماذا ناكل وماذا نشرب وماذا نلبس تاملوا بطيور السمآء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها أفلستم انتم افضل منها (متى ص ٦) اطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزدادونها ·

خامسًا يلزم لاتقان الصلاة المثابرة على الطلب بالحاجة نظير الانسان المستعطي الذي يلتمس الصدقة بالحاحٍ متواصل ويقرع الباب تكرارًا ولا يزال يتوسل ويتذلل حتى يفوز بمطلوبه وينال مرغوبه بنوال الصدقة · قال أليافيمُ كاهن الرب العظيم لبني اسرائيل اعلموا ان الرب يستجيب لصلواتكم ان واظبتم على الصوم والصلوات قدام الرب

(يهوديت ص ٤ عد ١١) وقال المرتل · واحدةً سالت من الرب وإياها التمس ان اقيم ببيت الرب جميع ايام حياتي (مزمور ٢٦ عد ٤) فهذا النبي لم يكتفِ بقوله واحدةً سالتُ من الرب بل أردفَ قائلاً وإياها التمس لنعلم انه يلزمنا ان نكرر الطلب بمواصلة الصلاة بدون ملل ولا ضجر · وقد ذكر لوقا البشير عن حنة النبية انها استمرت ارملة نحو اربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل متعبدة بالصوم والصلوات ليلاً ونهاراً (لوقا ص ٢) فلذلك استحقت أن ترى المسيح مع مريم امه حين دخوله الهيكل وتحدّث عنه كل من كان ينتظر عزاء اسرائيل · فلتتعلم الارامل ملازمة الكنائس والادمان على الصلوات اقتداءً بهذه الارملة لكي يؤهَّلنَ لمشاهدة يسوع وامه في هيكل اورشليم السماوية · نعم اننا لا ننكر على بعضهنَّ كثرة التردد على الكنائس لكن لا للصلاة بل للاخبار والاستخبار عمَّا جرى في البلد الامر الذي لا يجوز في بيت الله بل يهيجه تعالى الى السخط فياليتهنَّ بقينَ في البيوت ملازمات العمل والسكوت ·

الخلاصة اذا كان الله الآب لم يستجب لصلاة ابنه الحبيب في البستان الأَّ بعد تكرارها ثلاث مرات مع انها كانت مقترنة بجميع الشروط لكونه اولاً كان بريئًا من كل خطيئة بل قدوس القديسين ثانيًا كان منفردًا عن ضوضاء العالم جامعًا كل افكاره الطاهرة لمخاطبة ابيه الازلي ثالثًا كان يصلي راكعًا على ركبتيه فوق صخرة صلدة غاصت بها ركبتاهُ من شدة حرارة صلواته رابعًا كان يصلي

بتواضع عجيب خارًا على وجهه ومطابقًا ارادته مع ارادة ابيه المقدسة قائلاً يا ابت ان كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكاس لكن ليس كارادتي بل كارادتك (متى ص ٢٦) فكيف نرجو ان الله يستجيب لصلاتنا من اول مرة حال كوننا خطاة حُبل بنا بالاثام وولدنا بالخطايا وكل يوم نزيد اثمًا على اثم · ونصلي بين ضجة الناس ويستولي علينا الضجر والنعاس · ونمزج صلاتنا بمخاطبة من حولنا · ونشتت افكارنا باعمالنا الزمنية · ولا نصغى لمعنى ما نقوله فكأن صلاتنا لفظٌ بلا معنى وجسمٌ بلا روح . فلا ريب في ان مثل هذه الصلاة عديمة الثمرة كما قال الرسول · ان كنت اصلي بلسانٍ فنفسي يصلي واما عقلي فهو بلا ثمر (قرنتيه ١ ص١٤ عد١٥) ونستحق ان الله يوبخنا قائلاً . هذا الشعب يكرمني بشفتيه واما قلبه فبعيدٌ مني . فباطلاً يعبدونني (متى ص ٢٥) فلكي تكون صلاواتنا مرضية لله ومقبولة يلزمنا ان نصلي بموجب الشروط التي ذكرناها . وان نستحضر الله قبل كل شيء قائلين مع يعقوب اب الاسباط ان الله في هذا الموضع وانا لم اعلم (تكوين ص ٢٨ عد ١٢) ونتصور الملائكة محدقين بنا حينما نصلي ينتظرون كل كلمة تخرج من افواهنا ليقدموها لله بجامات من ذهب فعلينا اذًا ان نتلو صلواتنا بلفظٍ كامل من غير مغمغة ولا تمتمة ولا عجلة مستهجنة بل بتأنٍ واصغاء تامين ولنقرنها بصلاة يسوع في البستان وصلاة والدته الطاهرة وجميع القديسين الذين نرجو شفاعتهم كل حين امين

في شرف مريم العذراء

موزعة النعم

السلام عليكِ يا ممتلئة نعمةً الرب معكِ . (لوقا ص ١)

اننا لم نسمع ولم نرَ قط في الكتاب المقدس انَّ ملاكاً شرّف احد الناس بمثل هذا السلام . نعم ان الملاك قد سلم على طوبيا البار . وعلى جدعون الجبَّار لكن لم ينعتهما بانهما ممتلئان نعمةً . بل قال لطوبيا ليكن لك فرحٌ دائم . ولجدعون الرب معك . واما مريم العذراء فأهداها جبرائيل سلاماً يفوق كل سلام بقولهِ لها يا ممتلئة نعمةً الرب معكِ . فهذا السلام خُص بها وحدها دون سائر الناس لانها هي والدة رئيس السلام الذي صالح بين العلويين والسفليين وهي التي قيل عنها في ص٦٦ من نبوة اشعيا هاءنذا أُميل اليها السلام كالنهر . ومن هذا النهر جرى السلام الى العالم كله . وقد امتلأت نعمةً وهي في حشى امها . حتى دُعيت خزنة النعم وخازنتها . وموزعتها . كما سنبين ذلك في خطابنا هذا مبرهنين ان جميع النعم تتوزع عن يدها وقبل الشروع نلتجي اليها ملتمسين منها تلك النعم التي تراها لازمة لخلاصنا ونهديها السلام الملائكي

قال سليمان الحكيم في الاصحاح الحادي والثلاثين من سفر الامثال .

بناتٌ كثيراتٌ امتلكنَ الغنى . ولكن انتِ استعليتِ على جميعهنَّ .
ان النعمة الاولى التي اغنى بها الله نفس مريم العذراء تفوق على كل النعم
التي حصل عليها القديسون جميعهم والملائكة كافةً . لان النعمة الالهية
لم تنحدر عليها نقطةً فنقطةً كما انحدرت على بقية الانفس . بل نزلت
عليها مثل الندى على الجزة وكالغيوث التي تسقي الارض كما سبق
داود وتنبأ عنها (مزمور ٧١) ومثلما ان جزة جدعون استوعبت كل
قطر الندى النازل على الارض ولم يفرط منه قطرة واحدة . هكذا
نفس مريم البتول استوعبت قطر ندى النعمة جميعه ولم تضيع منه نقطة
واحدة بل زادت على النعمة الاولى نعماً لا تحصى بمجاوبتها لها وسعيها
معها . فلم تجحد النعمة كما جحدها لوسيفوروس ولا اضاعتها كما اضاعها ادم
وحوا ولا دفنتها في مهمات الارض كما دفنها ذاك العبد الكسلان .
بل حافظت عليها كل المحافظة وتاجرت بها فربحت اضعاف الاضعاف .
لانها منذ الدقيقة الاولى من حياتها عرفت جميل المحسن اليها ووجهت
نحوه كل افكارها غير تاركة دقيقة تمر من دون ان تضاعف حبها لله
جل سخاؤه . ولذا قالت عن ذاتها . انا مثل الجفنة اثمرت رائحة طيبة
(ابن سيراخ ص ٢٤) اي كما ان الجفنة تنمو وتمتد وترتفع اغصانها على
قدر علو الشجرة المستندة عليها . هكذا مريم العذراء قد نمت بالنعمة
وارتفعت على قياس سندها الذي هو الله كما قال عنها الروح القدس
بلسان الحكيم . من هي الصاعدة من البرية مستندة على حبيبها
(نشيد ص ٨) ولان نفسها الطاهرة كانت حاصلة على كمال المعرفة منذ

اتحادها بجسدها النقي قد ادركت جيداً قيمة النعمة المعطاة لها من الله واحبته تعالى محبة كاملة متصلة اذ كانت كالعود المغروس على مجاري المياه الذي يعطي ثمره في حينهِ وورقه لا ينتثر كما قال داود (مزمور ١) فهي غرسة يمين العلي الذي غرسها على مجاري مياه النعم فاثمرت رائحة طيبةً واعطت اثماراً لذيذة اثمار الفضائل التي تلألأت فيها وسمت على جميع القديسين . قال القديس توما اللاهوتي · ان مريم العذراء المثلثة القداسة كانت ممتلئة نعمةً بثلاثة انواع فالنوع الاول كانت ممتلئة نعمةً بنفسها الجملية التي كانت بجملتها مختصة بالله منذ نشأتها ولكونها بريئة من الخطية الاصلية فلم يلتحق بها شيء من قصاصاتها التي عمت جميع الناس كالجهل والضعف وشتات الافكار والانعطاف نحو الاشياء الارضية والانفعالات النفسانية وغيرها من جراحات الخطية الاصلية ولذا يخاطبها الروح القدس قائلاً كلك جميلةٌ ياخليلتي ولا عيبَ فيكِ (نشيد ص ٤ عد ٧) والنوع الثاني كانت ممتلئة نعمة بجسدها الطاهر حتى استحقت ان تنسج من لحمانها الفائقة الطهر جسداً لكلمة الله الازلي المتجسد من دمائها · والنوع الثالث كانت ممتلئة نعمةً لاجل الخير العام لكي يستطيع الجميع ان يستفيدوا بواسطتها ومنها خيراً لنفوسهم · وبالجملة نقول انها وجدت خزنةً طافحة بغنى النعم الالهية.

وهي خازنة النعم ايضاً لانها خزنت في احشائها الطاهرة يسوع المسيح ينبوع النعم بمدة تسعة اشهر ولا يزال معها كقول الملاك . الرب

معكِ فهي ذاك الحقل الذي باركه الرب واودع فيه كنزه الثمين حسب قوله تعالى · يشبه ملكوت السماوات كنزًا مخفيًا في حقل وجده انسان فخباهُ ومن فرحه مضى فباع كل شيء له واشترى ذلك الحقل (متى ص ١٣) قال القديس بوناونتورا ان هذا الحقل انما هو مريم العذراء المخباء فيها كنز الله الذي هو يسوع المسيح ومع هذا الكنز الالهي يوجد ينبوع النعم كلها · كذلك جميع النعم التي يريد الله ان يمنحها للبشر قد استودعها بيد مريم وهي خازنتها الامنية كما ان يوسف بن يعقوب خزن غلات مصر في سني الخصب حفظًا لحياة الاجساد هكذا مريم خازنة النعم لحفظ حياة النفوس · ولهذا يقول لها الحكيم . ان جوفكِ عرمة حنطة مسيجة بالسوسن (نشيد ص ٧ عد ٢) ومثلما كان فرعون يقول لمن يطلبون منه القوت · امضوا الى يوسف هكذا من يلتمس من الله نعمةً يقول له امضِ الى مريم لانها هي توزع النعم جميعها · ومن يرجو نوال نعمة من غير واسطتها يشبه من يحاول الطيران بغير جناحين · او من يريد ان ينتشل الماء من غير دلو : فلا يعلى الصعودُ بلا مَراقٍ · ولا تدلى المياهُ بلا ارشاء : نعم أن يسوع هو الينبوع لكن مريم هي القناة التي بها تتصل الينا مياه النعم · ان اليفانا قائد جيش بختنصر حينما حاصر مدينة بيت فلوى امر غلمانه ان يقطعوا قناة الماء الجاري الى المدينة (يهوديت ص ٧ عد ٦) هكذا الشيطان يعتني بكل جهده في ان يقطع عبادة مريم العذراء عن نفوس المؤمنين ويعطل مجاري النعم لكي يستولي عليهم ويهلكهم . فنحن أعضاء جسد المسيح السري وهو

راسنا واما مريم العذراء فهي العنق المتوسط بين الراس والاعضاء وبواسطتها تجري الينا الارواح الحية ولهذا تقول . مَن وجدني وجد الحياة ويستقى الخلاص من عند الرب (امثال ص ٨)

قال القديس بوناونتورا ان الله لم يشأ ان يبيد الانسان من الوجود بعد سقوطه بالخطية في الفردوس الارضي لاجل حبه الخاص لهذه الابنة المحبوبة المزمعة ان تتلد من نسلهِ وزاد على ذلك قوله اني لا ارتاب في ان كل المراحم والغفرانات التي فاز بها الخطاة في العهد القديم قد منحهم اياها الله ملاحظةً لهذه البتول المباركة لا غير . لانهم كانوا يترجون مجيئها كما نومن نحن انها جآت . ورجآوهم هذا كان مستندًا على مواعيده تعالى الصادقة . منها قوله للحية . اني اجعل عداوة بينكِ وبين الامراة وبين نسلكِ ونسلها فهي تسحق راسك (تكوين ص ٣) ومن الواضح ان هذه المراة التي تسحق راس الحية الجهنمية هي مريم لا حوا . لان حوا انسحقت لا سحقت . ومنها قوله بلسان داود تبتهج كالجبار للعدوّ في السبيل (مزمور ١٨) وقوله ايضًا بلسان اشعيا ويخرج قضيبٌ من يسى وينمى فرعٌ من اصوله (ص ١١) واوضح آية هي قوله . ها ان العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمنوئيل (ص ٧ عد ١٤) فالجميع كانوا ينتظرون مجيء هذه العذراء ويترجون الخلاص بواسطتها لكونها هي السلّم التي عليها نزل ابن الله مخلص العالم من السماء الى الارض وعليها نصعد نحن من الارض الى السماء . ولذلك يناجيها داود النبي قائلاً لوجهكِ يصلي كل اغنياء الشعب

(مزمور ٤٤) اي جميع القديسين الذين اغتنوا بالنعم وفازوا بالخلاص الابدي يشكرون احسانك ويصلون لوجهكِ. يصلي لوجهكِ ادم وحوا لانك بثمرة احشائكِ المباركة ازلتِ اللعنة التي جلباها على الارض بأكلهما ثمرة المعصية . لوجهكِ يصلي هابيل الوديع الذي كان رسمًا لابنكِ يسوع المقتول ظلمًا وعدوانًا · لوجهكِ يصلي نوح البار يا ايتها السفينة النوحية التي نجا بها هو وعائلته من ذاك الطوفان وغرق من كان خارجًا عنها · ابرهيم الخليل يصلي لوجهكِ يا والدة الحمل الذي افتدى ابنه اسحق والعالم كله وبهِ تباركت جميع الامم . والانبياء يصلون لوجهكِ لان نبواتهم قد تمت فيكِ · وليس اغنياء الشعب فقط يصلون لوجهكِ كما قال داود . بل فقراء الشعب ايضًا اي جميع المومنين الباقين على هذه الارض يصلون لوجهكِ ملتمسين منكِ غنى النعم المخزونة بين يديكِ · انتِ القائلة · عندي الغنى والمجد · لكيما اغني الذين يحبونني (أمثال ص ٨) فالخاطئ يصلي لوجهكِ ملتمسًا منك نعمة التوبة الصادقة عن شرهِ · والبار يصلي لوجهكِ طالبًا نعمة الثبات على برهِ · المحزون يستمد منكِ نعمة التعزية يامعزية الحزانى · والمريض يرجو منكِ الشفاء من اسقامهِ ياشفاء المرضى · والمحارب يسألك نعمة الانتصار على أعدائه . والمسافر يحتاج الى معونتك للبلوغ الى وطنهِ بالسلامة وبالجملة نقول انه ما من احدٍ الَّا وهو محتاجٌ الى اسعافكِ . لكوننا جميعنا فقراء من نعمة الله نتقلب في ارض الشقاء والهوان وليس لنا ملجأٌ سواكِ بعد الله الذي فوض اليكِ

خزائن النعم لكي توزعها على المحتاجين . وكما ان الذين يستوطنون بلاداً قشفة غير مخصبة لا يمكنهم ان يصيروا اغنياء الاَّ بمعاطاتهم مع من كان قاطنًا في بلادٍ مخصبة ذات معادن ثمينة . هكذا نحن الموجودين في هذه الارض الشقية العديمة من اثمار النعم لا نستطيع ان نغتني الاَّ بمعاملتنا الروحية مع مريم العذراء الغنية بالنعم الجالسة في السمآء عن يمين ابنها كقول المرتل . قامت الملكة عن يمينك بذهبٍ اوفير (مزمور ٤٤ عد ١٠) . قد ذكر عن الملك تيطس قيصر انه لم يكن يعرف ان يصرف احدًا من امامه ما لم يعطهِ كل ما يلتمسه منه . وكان من عادته ان يقول ان من سمح له الملك بالمثول لديه لا يجب ان يصرفه غير راضٍ منه وكان اذا مرَّ يومٌ ولم ينعم فيه على احد فيعدهُ ضائعًا من عمرهِ . فهذا الملك ربما كان يقول هكذا رغبة في المجد الباطل لكي يمدحه الناس ويثنون على كرمهِ وسخائهِ . لانه كان يتفق احيانًا انه يعد ولا يفي . او يفي اقل مما وعد . واما مريم العذرآء ملكتنا الكلية السخآء فانها تعطي اكثر مما يطلب منها . ولا تعرف ان تصرف احد الملتجئين اليها الاَّ وهو راضٍ منها ومغمورٌ بفائض نعمها . ولو اتفق ان يمضي يومٌ بدون ان تُلتمس منها نعمةٌ ما او من غير مساعدة لاحد الناس لكانت تقول ما قاله تيطس عن قلبٍ مملوء من الحب الصادق نحو البشر وعن رغبةٍ حارة في ان تصنع معنا خيرًا اذ انها ام الرحمة . وليست نظير تلك السامرية التي طلب منها يسوع ماء ليشرب وهي على البئر فبدلاً من ان تسقيه

اخذت تجادله وتعنفه بانه رجل يهودي ولا حقٌ له ان يتكلم معها او
يطلب منها شربة ماء . بل انها مثل رفقة التي لبّت غلام ابرهيم حينما
طلب منها قليلاً من الماء ليشرب وأسرعت اليه ووضعت الجرة على
ساعدها قائلةً له. اشرب ياسيدي . ولما فرغت من سقيه .
قالت استقي لجمالك ايضًا حتى تفرغ من الشرب . واسرعت وافرغت
جرتها في المسقاة واسرعت ايضًا الى البئر فاستقت لجميع جماله
(تكوين ص ٢٤ عد ١٨) فالقديس برنردوس يخاطب مريم البتول
قائلاً . اينها السيدة انتِ اكرم من رفقة فلا تكتفين بان توزعي نعم
رحمتكِ غير المحدودة على غلمان ابرهيم فقط المفهوم بهم عبيد الرب الأُمناء
بل انك تهبين هذه النعم للجمال ايضًا التي هي رسم الخطاة . وكما ان
رفقة قد اعطت اكثر ممّا طلب منها هكذا انتِ تهبين اكثر مما
يلتمس منكِ .

ونرى في شفقة مريم العذراء ورحمتها ما هو اعظم من ذلك . اي انها
تعطي من غير ان يُطلَب منها متى مسّت الحاجة . ودليله ما جرى
في عرس قانا الجليل حينما فرغت الخمر واستولى الخجل على اهل
البيت فلعظم شفقتها لم تنتظر ان يسألوها بل تقدمت حالاً وطلبت من
ابنها ان يعزهم بصنعيه اعجوبةً قائلة له ان ليس عندهم خمر
(يوحنا ص ٢ عد ٤) لان الانجيلي لم يذكر ان العريس او اهله طلبوا
منها خمرًا . بل قال وكانت ام يسوع هناك . كانها كانت من جملة
المدعوين الى العرس . فاذًا ادعُ مريم الى بيت نفسك وهي ترى ما

يلزمك من خمر المحبة وتستمد لك من ابنها الحبيب ان يحول فقرك الى غنى وبرودتك الى حرارة وشقاوتك الى سعادة وضيقتك الى فرج كما حوّل الماء الى خمر جيد . لان طلبتها لا تُرد خائبة . فاذا كان يسوع استجاب مسألتها اذ كان على الارض وصنع الاعجوبة قبل الوقت المحدد لعمل العجائب فبالاولى ان يستجيبها وهو في السماء ويزيد في اكرامها كما زادت بمحبتها له . وكما انها لم تنكر عليهِ شيئًا حين كان معها على الارض فهو لا ينكر عليها شيئًا مما تطلبه منه وهي معه في السماء مشتركة بسعادته لكي يفي ما ترتب لها عليه من حقوق الوالدية . ولهذا كان يخاطبها القديس متوديوس الشهيد قائلاً ما اسعد حظكِ ايتها البتول لان الله المديونة له كل الكائنات هو مديونٌ لك . فنحن جميعنا مديونون لابنك الالهي لان كل ما عندنا ومالنا فهو له ومنه . واما هو فمديون لكِ باعطائكِ اياهُ الناسوت من لحمانكِ الطاهرة وبمشاركتكِ لهُ في تخليص الجنس البشري لان كل ما احتملهُ من الآلام والاوجاع في جسده قد احتملتيه انتِ في نفسكِ . فاذًا كل ما تلتمسينه منهُ في شأن خلاصنا هو مجابٌ بلا محالة كما قال القديس انطونيوس . ان صلاة والدة الاله نحو ابنها يسوع المسيح لها نوع من قوة الحتم والجزم: صلي لاجلنا يا والدة الله يا مدينة الملجأ وميناء الرجاء . انتِ مجد اورشليم وفرح اسرائيل وفخر شعبنا (يهوديت ص ١٥) انتِ سيدة العالم وملكة السماء . وانتِ موزعة النعم يا ممتلئة نعمةً فامنحينا النعمة لكي نلتجئ اليكِ دائمًا ونلوذ بجمالكِ ولا تهملينا حتى تشاهدينا ونشاهدكِ في السماء امين

في الاعتراف

قال السيد المسيح في انجيله المقدس . ان الاصحاء لايحتاجون الى طبيب لكن ذوو الاسقام (لوقاص ٥ عد ٣١) ان ابن الله اتى من السماء الى الارض كطبيب يداوي ذوي الاسقام الروحية والجسدية مجانًا . فلايطلب اجرة قدم . ولا ياخذ ثمن ادوية . ويقدم لكل داء دواء يتكفل بتمام الشفاء . فقد غفر لذاك المخلع خطاياه بقوله مغفورة لك خطاياك فابرأ نفسه من مرض الخطيئة . ثم قال له قم واحمل سريرك وبهذا ابرأ جسدهُ من داء التخلع . ومن كون شفاء النفس من امراضها الروحية لايقدر عليه غير الله ومن فوَّض اليهم ذلك . فقد رسم السيد المسيح الاسرار المقدسة علاجًا لها وامر رسله الاطهار ومن يخلفهم ان يوزعوها مجانًا بقوله لهم مجانًا اخذتم فمجانًا اعطوا (متى ص ١٠ عد ٨) فجعل سر العماد علاجًا للخطيئة الاصلية الموروثة عن ابينا ادم . اذ قال من آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان (مرقس ص ١٦ عد ١٦) ورسم سر الاعتراف دواء شافيًا من الخطايا المفعولة بعد اقتبال سر العماد وفوَّض توزيع هذا السر على المؤمنين الى تلاميذه حين نفخ في وجوههم وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم له خطاياهُ غُفرت له . ومن امسكتموها عليه مُسكت (يوحنا ص ٢٠ عد ٢٢) وحين

قال ايضاً لبطرس وللرسل مهما ربطتموهُ على الارض يكن مربوطاً في السماء ومهما حللتموهُ على الارض يكن محلولاً في السماء (متى ص ١٦ عد ١٧) فيتضح من قوله تعالى انه جعلهم قضاةً واطباء للنفوس ولا يمكن للقاضي ان يحكم في الدعوى من غير ان يسمعها · ولا للطبيب ان يعالج مريضاً ما لم يخبره بما يشعر بهِ من الوجع · فينتج ضرورةً التزام المذنب ان يعترف بذنبهِ للكاهن ليعرف ان كان مستحقاً للحل فيحله والا فيمسك عن حلهِ وان من يشرح مرضه لطبيبه الروحي ليمكنه ان يميز برصاً من برص ويعطيه العلاج الشافي. وهذا السر المقدس جارٍ استعماله في الكنيسة منذ ايام الرسل الى الان بسلسلة غير منقطعة كما يتضح من اعمال الرسل حيث قيل. وكان كثيرون من الذين امنوا يأتون معترفين ومخبرين باعمالهم (اعمال ص ١٩ عد ١٨) اي بخطاياهم كما فسرفم الذهب و باسيليوس وغيرهما . واذ اني اخطب في قومٍ يعتقدون وجوب الاعتراف بالخطايا للكاهن المتصرف بسر التوبة ممن ينوط بهِ هذا الامر فلا اتصدى الاَّ لتبيان الشروط اللازمة لاقتباله من جهة التائب وقبل الشروع نلتجي الى مريم البتول ونحييها بالسلام ·

قال يوحنا الانجيلي في ص ٥ من بشارته. وكان في اورشليم عند باب الغنم بركة تسمَّى بالعبرانية بيت حِسْدَا لها خمسة اروقة . وكان مضطجعاً هناك جمهورٌ كثير من المرضى من عميانٍ وعرج و يابسي الاعضاء ينتظرون تحريك الماء . وكان ملاك الرب ينزل احياناً في البركة و يحرك الماء

فالذي ينزل اولاً من بعد تمويج الماء كان يبرأ من كل مرض مسَّهُ
وهذا الانعام كان لبني اسرائيل وحدهم دون سائر الامم كما قال زخريا
النبي . في ذلك اليوم يكون ينبوعٌ مفتوح لبيت داود ولسكان اورشليم
لغسل الخاطي (ص ١٣) ولما كانت الشريعة القديمة ظلاً للمستقبلات
فكانت تلك البركة الاورشليمية ظلاً ورمزاً لسر الاعتراف الذي
يغسل النفس من ادران الخطيئة ويشفيها من جميع امراضها الروحية .
وهذا الانعام خاص بالمسيحيين دون غيرهم . وكما ان تلك البركة
كان مضطجعاً حولها كثيرٌ من المرضى بالجسد ينتظرون تحريك الماء
من الملاك لكي يستحمُّوا بها ويشفوا من امراضهم الجسدية هكذا
تشاهدون كثيرين من المرضى بالروح محدقين بكراسي الاعتراف
عازمين على الاستحمام بهذا الحمَّام الخلاصي لكي يشفوا من اسقامهم
الروحية . منهم عميان بالروح وهم الذين رزيلتهم اعمت عقولهم واظلمت
قلوبهم وما عادوا ليبصروا طريق السماء . ومنهم عرج وهم الذين
يعرجون بين الجانبين . فتارةً يخدمون الله بالصوم والصلاة وتوزيع
الصدقات وتارةً يخدمون الشيطان بالثلب والسلب وارتكاب
المنكرات . ومنهم اعضا وهم يابسة بالكسل والتواني فلا يبدون حراكاً
نحو الاعمال الروحية . ومنهم من له في مرضه اكثر من ثمان وثلاثين
سنة نظير ذاك المخلع وليس له انسانٌ يقدمه الى الاعتراف ليشفى من
علته العضالة . فما اصعب الداء وما اسهل الدواء . فلا يلزمك ايها
المريض بالخطية ان تذهب الى اورشليم لتغتسل في بركة الضان

وتشفى . فالكنيسة لا تبعد عن بيتك اكثر من مسافة عشرة دقائق . ولا تخشى ان يسبقك غيرك ويستحم فتعود ملتزماً ان تنتظر الملاك ليحرك الماء مرةً ثانيةً . بل في اي وقتٍ شئت أن تشفى فلا تجد من يزاحمك وترى طبيبك الروحي بانتظارك يوماً فيوماً . ويتوق ان يراك راجعاً كالابن الشاطر قائلاً يا ابتِ خطئت في السماء وقدامك . اغفر لي . انا ضعيف اشفني

فتلك البركة الاورشليمية كانت داخل خمسة أروقة يجتازون بها حتى يبلغوا محل الاستحمام هكذا لسر الاعتراف المقدس خمسة ابواب اي خمسة شروط يلزم التائب استعمالها ليكون اعترافه صحيحاً وينال مغفرة خطاياه . وهي فحص الضمير. الندامة. القصد. الاقرار. وفاء القانون . وقد حصرها اللاهوتيون بثلاثة اي الندامة والاقرار والوفاء لان الخاطئ يأسى الى الله بثلاثة انواع . بالفكر . والقول. والفعل . فعليه ان يفي للعدل الالهي بحسب هذه الانواع الثلاثة. اعني الندامة بقلبه . والاقرار بفمه . والوفا بعمله . وضمّنوا فحص الضمير والقصد في الندامة لان الاول يتقدمها والثاني يتبعها . اذ لا بد لمن يندم على ذنبٍ فرط منه ان يتذكرهُ ويقصد الاَّ يعود اليهِ. واما نحن فنتكلم عن كلٍ من هذه الشروط الخمسة على حدتهِ زيادةً للايضاح وتعميماً للفائدة مبينين ما يلزم التائب عمله قبل الاعتراف وفي حال الاعتراف وبعد الاعتراف فنقول

الشرط ١ً يلزم التائب قبل ان يتقدم الى سر الاعتراف ان

بختلي في الكنيسة او في محل اخر بعيد عن ضوضاء العالم ليتمكن من جمع افكاره . ويستمنح النور الالهي بقلبٍ ذليل خاشع ويهتف مع المرتل قائلاً الهي أَضئ ظلمتي ولا تسمح ان يدركني ظلام الموت ويبتدي يفحص ضميره على جميع الخطايا التي صدرت منه بالفكر والقول والفعل والاهمال لا سيما الخطايا المميتة التي يلتزم بتبيين عددها وانواعها في الاعتراف . وليفحص بتأنٍّ واجتهاد علي مقتضى عادة الناس عند تصرفهم في امرٍ ذي بال واهمية لان وصية الاعتراف من اهم الامور كالتاجر الذي يفحص على ربحه وخسارته في تجارته او كفحص من يروم ان يقدم دعوى باهظة في المحكمة يتوقف عليها شجبه او تبريره . غير ان هذا الاجتهاد البليغ في فحص الضمير لا يحتم أجراؤهُ بدرجة واحدة في حق الكل . فان من تكاثرت اعترافاته لا يلتزم بالفحص نظير من ندر اعترافه . ومن تكون ذلاته طفيفة خفيفة لا يحتاج الى الاجتهاد الذي يلتزم به من يتورط في خطايا كبيرة . ومن كان مشتبكاً باشغال كبيرة عالمية يحتاج الى فحص اكثر ممن يعيش عيشة انفرادية . والذي يساعد التائب على هذا الفحص هو ان يمشي علىُ الوصايا العشر ثم وصايا الكنيسة ثم الخطايا الرئيسية ثم الالزامات المخصوصة بحالته كما اذا كان ربّ بيتٍ وله اولاد وعنده خدم او كان قاضياً او طبيباً او راعياً الى غير ذلك من ذوي الطرائق . وليبذل جهده بالتقصي عن الملكات الرديئة والخطايا التي تعوّدها ولا سيما خطايا اللسان كالتجديف والاقسام الباطلة والثلب والنميمة وغير

ذلك وان يبحث عما ارتكبه من الذنوب في حقه تعالى او حق القريب او حق نفسه · انه لو كان الاطلاع على كل الخطايا سهلاً كما يتوهم البعض لما قال الله اني افتش اورشليم بالسرج (صفنياص ١) فعليك ايها الاخ التائب الراغب في الاعتراف ان تبالغ في تفتيش ضميرك لعلك تجد في الزوايا خبايا · خذ بيدك تلك السرج التي اشار اليها النبي وفتش على الدرهم المفقود نظير الامراة العاقلة التي اضاعت الدرهم فانها اضاءت سراجها وكنست بيتها واستدعت جاراتها ليفتشنَ معها على الدرهم الضائع ولما وجدته فرحت . فاسال الله ان ينير سراج عقلك واطرد عن فكرك كل ما من شانه ان يشغل بالك وقت الفحص · واستدعِ لمعونتك ملاكك الحارس ومريم العذراء والقديسين شفعاءك ثم عمقْ الفكرة في الفحص وانقب الحائط فيخرج منه افاعي وعقارب وتبرز الخفايا من مطاميرها . فلا يبعد ان تجد في قاع ضميرك وحولاً تربّي دوداً يلدغه · او بغضةً مستقرة من زمنٍ مديد كالنار تحت الرماد · او مالاً في ذمتك لا يحل لك اخذه ولا يطيب لك اكله · ولربما تجد نفسك مشتبكة بمعاشراتٍ مشككة كنت تعد مرشدك بقطعها ولم تقطعها بل انت كما انت امس واليوم · تغيّر المرشدين ولا تغير سيرتك تنتقل من مُعرف الى معرف ولا تنتقل من ذاك البيت الذي هو زحلقة ومزلقة لجهنم · واين انت من اهمال واجباتك نحو الذين تحت سلطتك . فاولادك تاركهم على هواهم يجولون من بيت الى بيت ومن خمارة الى خمارة لا مهنة تلهيهم عن الشر ولا صناعة

تغنيهم عن السرقة من بيتك ان لم يتمكنوا من سلب مال غيرك ·
وبناتك يعاشرنَ الشبّان وانت صامت · وخدامك يتشاتمون
ويتخاصمون وانت ساكت كأَنك اخرس اصم · وان سُئلوا عن
عقائد الديانة المسيحية فتراهم لا يدركون منها شيئًا لاقانون الايمان
ولا وصايا الله ولا الفضائل الالهية ولا ولا · كانهم ولدوا وتربوا بين
البهائم · فافحص عن هذه جميعها قبل ان تتقدم الى الاعتراف ولا
تكن نظير البعض الذين يريدون ان يكون معلم اعترافهم منح موهبة
النبوة فيخبرهم بخطاياهم . فمثل هولاء يشبهون بختنصر الملك الذي
خاطب علماء بابل هكذا · انني رأيت روءيا في الحلم وتحيرت في عقلي
ولا اعلم ما رايت فاخبروني بهِ (دانيال ص ٢) اما العلماء فحسنًا
اجابوهُ قائلين . ليخبر الملكُ عبيدهُ بالحلم فنبين تعبيرهُ . فليس على
الارض انسان يستطيع ان يبين امر الملك ما خلا الآلهة الذين لا سكنى
لهم مع البشر · نعم ان الله قد كشف هذا السر لدانيال النبي فاخبر الملك
بحلمه وتعبيره لكن ليس الكاهن نظير دانيال ليعرف ما خطر
ببالك من الشر وما فعلتهُ من المنكرات وما اهملته من واجبات
دعوتك ما لم تكشفه له :

الشرط ٢ يلزم التائب ان يندم على جميع خطاياهُ التي حاط بها
علمًا بعد تفتيش ضميره والتي لم تخطر بباله بعد الجهد لتكون الندامة
عامة · فقد ضل من يجعل كل اهتمامه في الفحص عما فرط منه من دون
حث نفسه على الندامة حينما يتقدم الي سر الاعتراف · فكما ان الصياد

لايكتفي بان يجد القنيصة بل يجتهد في ان يقتلها هكذا التائب لا يكفيه ان يجد النقيصة بواسطة الفحص بل يلزم ان يقتلها ويميتها بالندامة. لانه من دون هذه الندامة لمن المستحيل ان يكون الاعتراف جيدًا. فالندامة تقسم الى كاملة وغير كاملة · فالكاملة هي ما اصدرها الانسان حبًا بالله المحبوب بذاته للغاية وهذه تبرر حالاً مع قصد الاعتراف فيما بعدُ والبرهان على ذلك هو ان الندامة الكاملة تتضمن المحبة الكاملة بالضرورة ومن احب الله حبًا كاملاً فقد التصق به واقلع عن الخطاء لامتناع الجمع بين امرين متنافيين · وقال الله في سفر الامثال انا احب من يحبني (ص٨ عد١٨) وقال في يوحنا · والذي يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي (ص ١٤ عد٢١). والندامة الغير الكاملة هي ما صدرت للتامل في قباحة الخطيئة او للخوف من جهنم او للطمع في الفردوس وهذه تبرر مع الاعتراف والأولى الاعتناء بالحصول على الندامة الكاملة لانها اكثر أمنًا ولزومًا عند الضرورة كما لو حصل الخاطيء في خطر الموت وكان في بحر او حرب او في برية او بامراض وبائية ولم يتيسر له كاهن ليعترف فان ندم ندامةً كاملة قاصدًا الاعتراف متى امكنه ومات بدون اعتراف فندامته هذه تبرره لانها تكون كمعمودية جديدة تجعل نفسه اكثر بياضًا من الثلج · لكونها صادرة من جرى اساته الى جود الله ربه لا غير حتى انه لو يبصر ابواب جهنم مغلقة وابواب الفردوس السماوي مفتوحة لم تكن ندامته اقل عظمة. والفرق بين الندامة الكاملة وغير الكاملة كالفرق بين ندامة الابن

وندامة العبد . فالابن يندم على انه اغاظ اباهُ ولا يفتكر في انه خسر
الوراثة الابوية . واما العبد فيعكس ذلك لانه يندم على اغاظة سيده
خوفًا من ان يخرجه من منزلهِ او يمسك عنه اجرته قصاصًا عن جريرته .
فمثل هذه الندامة العبدية كانت ندامة شاول الملك لانه خاف ان
الله ياخذ الملك منه ويدفعه الى داود الذي هو خيرٌ منه كما تهدده
صموئيل النبي . فلذلك قال قد خطئتُ حيث تعدَّيتُ امر الرب .
فقال له صموئيل لانك رزلت كلام الرب فقد رزلك الرب عن ان
تكون ملكًا على اسرائيل (ملوك ١ ص ١٥) ومثلها كانت ندامة يهوذا
الدافع اذ ندم لانه سقط من عدد الرسل وصار هُزْأَةً وهدفًا لسهام
المذمة . فانه وان قال قد خطئت بتسليمي دمًا ذكيًا فلم تقتبل ندامته
بل قطع رجاءَه وخنق ذاته ومات هالكًا . واما ندامة داود الملك
وندامة بطرس هامة الرسل فكانت ندامة بنويَّة حبية لا خوفًا من
عقاب ولا طمعًا في ثواب فلذلك غفر لهما الرب وشهد لاحدهما انه نظير
قلبه واقام الثاني نائبًا عنه على الارض

الشرط ٢ يلزم التائب ان يقرن ندامته على ما مضي من خطاياهُ
بالقصد الثابت في ان يرعوي عنها في المستقبل والَّا يعود اليها لاجل
ربح اي خيرٍ كان من الخيرات او لاجل النجاة من اية بلية كانت وليكن
عزمهُ وثيقًا بعدم الرجوع الى الخطيئة كمن يعزم ان لا يشرب في كاس
مسمومة وان لا يطرح نفسه من قمة برجٍ عالٍ الى اسفل . او كارادة
جندي باسل قد قصد ان لا يهرب من معمعة الحرب ولو اوشك ان

يموت فيها . ويجب ان يكون قصدهُ فعّالاً ايضاً باستعمال الوسائل اللازمة لعدم الوقوع في الاثم وبالابتعاد عن الاسباب القريبة وهذا القصد لا بد من وجوده في الندامة الكاملة والغير الكاملة لانه من متعلقاتها الضرورية . فهذا ما يقتضي عمله قبل الاعتراف بحسبما اوضحنا في الشروط الثلاثة المار ذكرها .

الشرط ٤ً الاقرار هو اشتكا الخاطي على نفسه للكاهن بجميع الخطايا المميتة المفعولة منه بعد اعترافه الاخير ان كان الاعتراف خاصًا وبجميع الخطايا المفعولة بعد المعمودية ان كان عامًا . وذلك بنية نيل الحل منها . ويجب ان يكون الاقرار بين البسط والايجاز وعلى المعترف ان يكون متضعًا في اقراره صادقًا كاشفًا عما في ضميره غير متللغغ في نطقهِ قاصدًا ان يفهم الكاهن زلاته منفصلاً . وليكن تقدمهُ الى هذا السر المقدس رغبةً واختيارًا لا رهبةً واضطرارًا . وليحذر من ان يصدهُ الخجل عن الاقرار ببعض خطايا يستحي منها . فكما ان العليل الذي يخفي علته عن الطبيب تكون سببًا لموته هكذا الخاطي الذي يكتم خطية عن طبيبه الروحي تكون سببًا لهلاكهِ . فعليك اذًا يا اخي ان تشجع نفسك في حين الاعتراف وتخاطبها بما خاطب بهِ احد القواد جيشه قائلاً . انه ينبغي لنا اليوم اما ان نظفر بالغلبة اما ان نموت . هكذا قل انت انه يلزمني الان اما ان انتصر على الخجل واعترف بخطيئتي لانسان لا يقدر ان يظهرها لاحد ولو أُلجيء الى الموت . اما ان اموت موتًا ابديًا . فأَحرى بي ان احتمل قليلاً من الخجل قدام ابٍ

شفوق مستعد لمداواة جراحاتي قدام اب قد سمع مرات كثيرة اعظم من خطاياي . مما ان احمل الخجل الدائم في جهنم . فلا مناص من الاعتراف بالخطية المهينة متى امكن ولا يمكن غفرانها بدونه لا بالصوم ولا بالصلوات ولا بالصدقات . واثباتًا لذلك اسمعوا هذا الخبر.

ذكر عن امراة شريفة الحسب والنسب اصيلة في الفضيلة محبة للصدقة حتى كانت تدعى ام الفقراء . فهذه الهب الشيطان في قلبها نار محبة دنسة نحو احد خدامها فسقطت معه . ولما ولد لها ولد من هذه الصحبة خنقتهُ لكي تستر اثمها وتحفظ صيتها . وقد اطال الله اناته عليها ولم ينتقم منها حالاً لعلها تتوب وتخلص . الا ان الشقية استمرت مصرة على خطيتها ولم تذكرها في اعترافاتها وكانت مع ذلك لا تزال تحسن الى المساكين بصدقات كثيرة ظانة انها تنال الرحمة بواسطة افعال الرحمة لكن خاب ظنها وانخدعت من الشيطان . لكونها ماتت وهي في هذه الحال . ثم ظهرت لراهب كان ابنها على هذه الهيئة المريعة . اعني ما بين تنينين كانا يقطعان لحمانها باسنانهما . فاخبرته عن سبب هلاكها ثم غابت عنه وهي تصرخ صراخًا مرعبًا

فكن شجاعًا وانتصر على كل خجل قد يمكن ان يستولي عليك في حين الاعتراف . واقتدِ بمشورة القديس بوناونتورا القائل أورد في ابتدا اعترافك تلك الخطيئة التي تسبب لك اكثر خجلاً . وبذلك تنتصر على الشيطان المجتهد في سد افواه الخطاة حين الاعتراف بواسطة الخجل . واياك ان تعتذر عن نفسك وتشكو غيرك بقولك للكاهن

فلان جذبني الى الشر وتلقي ذنبك عليهِ كما فعل ادم بقوله لله ان الامراة التي اعطيتنيها اطغتني . وكما قالت حوا ان الحية اغوتني فمثل هذه الاعذار في الاعتراف تزيد الذنب لا تزيله بل قل مع داود انا الذي اخطا وانا الذي اثم (ملوك ٢ ص ٢٤) و بعد نهاية اقرارك اصغَ الى نصائح مرشدك الخلاصية واعتبرها كانها خارجة من فم المسيح القائل لسنم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو المتكلم فيكم (متى ص ١٠ عد ٢٠) واذا شرع يورد لك شناعة خطاياك وعظمتها فلا تقطع كلامه ولا تظهر ادنى تمرمر من نصائحه . ولا تكن كالجريح الذي يعض يد الطبيب الممتدة لمعالجة جراحاته ويسخط منه بدلاً من ان يشكر احسانه ·

الشرط ٥ وفا القانون يراد بالقانون هنا ما يفرضه المعرِّف على المعترف من صوم وصلاة وصدقة كفارةً عن خطاياه التي اعترف بها ووقايةً له من الرجوع اليها · فيتحتم عليه وفاؤهُ دون تاخير بمقتضى الظروف التي يعينها له مرشدهُ . وهذا الوفاء يوجبه العدل الالهي لان مملكته تعالى قائمة بالرحمة والعدل فالبرحمة يغفر للتائب وينجيه من عذاب جهنم و بالعدل يطلب منه وفاء تكفيرًا عما جناه وهذا لا بد منه اما في هذه الحياة واما في المطهر ومن المعلوم ان الوفاء هنا لاسهل منهُ هناك وقد رُمز لذلك ما جاء في العهد القديم وهو انه اذا بقي جزء من الذبيحة لم تفنهِ النار فكان الناموس يامر الكاهن ان ينقل تلك الفضلات الى مكان نظيف بعد ان ينزع عنه ثيابه الاولى

ويحرق هناك ما بقي بنار اشد اضطراماً من الاولى فهذا الرمز يشير الى من لم يتمم في هذه الحياة الوفاء عن خطاياه فيكون قد قدم لله محرقة غير كاملة فيلتزم ان يكملها بعد ان يكون تعرى من جسده في المطهر بنارٍ اشد قوة من افعال التوبة . فان تاملت بما كانت تفرضه الكنيسة من القوانين الثقلية يسهل عليك ان تفي ايَّ قانون كان بكل نشاط ورغبة ولا تكتفِ بما يفرضه عليك مرشدك بل اطلب منه ان يزيد عليه افعالاً مبرورة تتخذ قوتها من السر المرسوم من الله فان صنعت ذلك تيقن بان غفرت خطاياك وصرت ابناً لله تستحق الارث في الملكوت السعيد الذي نرجوه لجميعكم باستحقاقات الفادي يسوع ابن الله وبشفاعة مريم البتول وجميع القديسين امين

في القربان المقدس

هوذا انا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر (متى ص ٢٨)

انه يتضح لنا من الايمان ان الله هو معنا بعنايته وتدبيره كالملك في ملكه الذي يتلافاهُ ويدبره حسب نواميس العدل وكالقائد في عسكره ليشجعه ويقويهُ ليقهر اعداءهُ ونظير رب البيت في بيته وعايلتهِ ليسوسها بحكمة ويكفيها في حاجاتها ويغنيها وكالمدبر في السفينة ليهديها الى مينا الامان ويقتادها بطمأنينة بين امواج البحر المضطرب · ولكن هو معنا بالخصوص في سر القربان المقدس الذي رسمهُ لنا السيد المسيح لما كانت تتنازع قلبهُ عاطفتان الاولى ذهابه عنا الى السما لينهج الطريق ويفتح لنا باب الملكوت الذي كان قد اغلق بوجه الجنس البشري مذ فتح ادم فمهُ لثمرة المعصية اذ كان من المستحيل ان يدخل السماء اوليًا الّا الذي نزل من السماء حسب قول الرسول ليكون اول الصاعدين ولكي يرسل الينا الروح المعزي كما قال بفمهِ القدوس خير لكم ان انطلق لاني ان لم انطلق لا ياتيكم البارقليط (يوحنا ص ١٦) والعاطفة الثانية بقاوهُ على الارض ليكون قوتًا لنفوسنا ما دمنا في غربة هذه الدنيا وتقوية لضعفنا وبيانًا لسمو محبتهِ لنا كما يبان من قوله ان تنعمي مع ابنا البشر

فحينئذٍ قد وفق بحكمته السامية بين الامرين اي انه صعد الى السماء ليعد لنا مكانًا (يوحنا ص ١٤) وبقي معنا في القربان المقدس كقوله انا معكم كل الايام · وعليهِ وجب ان نوضح اولاً عظيم المحبة التي اظهرها لنا برسمهِ هذا السر الكائن فيهِ بلاهوتهِ وناسوتهِ ثانيًا والتزامنا بتناوله بالاستعداد الواجب لعظمته ثالثًا ما يلزمنا من تأدية الشكر لهذه المنَّة الجزيلة والاحسان الفايق وقبل الشروع نسجد لسر المحبة هذا راجين ان يضرم قلوبنا بنار حبه ويتكلم فينا لكي نتكلم عنه مستشفعين مريم البتول بالسلام الملائكي …

القسم الاول

ان الله احب خاصتهُ واحبهم الى الغاية (يوحنا ص ١٣)

فما من منكر ان قدرة الله ظهرت في خلقة العالم بما فيه من الكاينات العديدة العجيبة بمجرد ارادتهِ فقط وحكمته وضحت في نظام العالم وترتيبه البديع · واما محبته الفايقة فقد تلألات في سر القربان المقدس الذي اعطانا بهِ جسدهُ مأكلاً ودمهُ مشربًا · ولكن في خلقة العالم لم تظهر لنا قوة قدرته الالهية كلها لانه يستطيع ان يخلق الوفًا في الوف من العوالم بنوع غير محدود ولم تتبين لنا حكمتهُ السامية بتمامها اذ اننا لا نقدر ان نتصل الى ان ندرك سمو هذه الحكمة الغير المتناهي واما اعمال محبته فقد اكملها في هذا السر العجيب فما من

حب اعظم من هذا . ان احشوروش الملك قد اظهر محبته لاهل مملكته واخواصه بوليمة اعدها لهم . هكذا صنع يسوع المسيح ابن الله باعداد هذه الوليمة غيران احشوروش لم يقدم لهم سوى مآكل ارضية واما يسوع فقد قدم لنا ذاته الالهية ذاك دامت وليمتهُ ماية وثمانين يومًا فقط واما يسوع فتدوم وليمته الى الانقضاء . ان ناثان النبي قد اوضح محبة ذاك الفقير لنعجته الوحيدة بقوله انهُ كان يطعمها من لقمته ويسقيها من كاسهِ (ملوك ٢ ص ١٢) هكذا لو ان السيد المسيح اشركنا بطعامه الذي كان ياكلهُ ويسقينا من كاسهِ فقط لكان ذلك دليل حبه العظيم لنا والحال انهُ لم يكتفِ بهذا بل اراد ان يكون هو نفسه طعامًا لنفوسنا وقوتًا لارواحنا . والكتاب المقدس لكي يبين شدة محبة يوناثان لداود قال انهُ احبه مثل نفسه وخلع الرداء الذي عليه ووهبه لداود مع سائر ثيابهِ حتى سيفهُ وقوسهُ ومنطقتهُ (ملوك ١ ص ١٨) فاذا كانت هذه الافعال ونظائرها اقوى دليل على جزيل المحبة فكم يكون حب الله لنا الذي لم يعطنا ثوبهُ بل جسده ولم ينتزع عنه رداءهُ بل حياتهُ فايُّ راعٍ احب غنمهُ هكذا فاطعمها جسده الَّا السيد المسيح الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن خرافه (يوحنا ص ١٠)

قيل ان طير الغيهب حين يرى فراخهُ ملسوعة من الحية يضرب جسده بمنقادهِ ليسيل دمهُ الحار عليها فهي تحيا واما هو فيموت هكذا صنع السيد المسيح حين راى اولاده ملسوعين من افعى الخطية واحب

ان يكون دمهُ حياةً لهم · وعنه قال داود بروح النبوة قد شابهت الغيهب البريّ (مزمور ١٠١) وبناء عليهِ قد جرت العادة ان يرسم على باب بيت القربان صورة طائر يسيل دمهُ على فراخه · ولم نسمع قط ان احدى الامهات قد اطعمت اولادها من جسدها حين اضواهم الجوع ولكن سمعنا ان بعض النسآء في وقت المجاعة ذبحت ابنها واكلت من لحمه لئلا تموت جوعاً والذي لم تصنعه الام الى اولادها قد صنعهُ السيد المسيح مع بنيه الروحيين اذ قاتهم بجسده ودمه · فيالسمو محبتهِ الفايقة لانه فيما كان الناس يهيئون الات موته ومستعدين لنزع حياته كان هو مشتغلاً بما يظهر لهم حبهُ باعطائهِ اياهم قوت الحياة كقول الرسول في تلك الليلة التي اسلم فيها اخذ خبزًا وشكر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم (قرنتيه اولى عد ١١) اي فيما كان النجار يشتغل في نشر الخشبة وثقبها ليصلبوه عليها والحداد يحمي المسامير لتسمير يديه ورجليه ورعاع الشعب يجمعون الشوك لتكليله والجنود يعدون المجالد لجلده كان هو مفكرًا بعربون خلاصهم فهذا دأب محبة الله للبشر لانه لما كان الشعب الاسرايلي يسجد للعجل في البرية اعطاه ناموسًا يحيا بهِ واذ كان بولس الرسول يضطهد بيعته تعالى قد دعاه الى الحياة الابدية وعند ما كان اللص اليميني مجدفًا عليهِ رشقه بسهم حبهِ داعيًا اياه الى التوبة الصادقة ووعده ان يكون معه في الفردوس هكذا محبتهُ تدعو الجميع الى وليمته بقوله من ياكل جسدي ويشرب دمي يحيا الى الابد · فيلزمنا اذًا ان

نلبي هذه الدعوة واثقين ان من لا ياكل جسده ويشرب دمهُ
فليس لهُ حياة في ذاته ونستعد لاقتبال جسده ودمهِ الاستعداد
الواجب لهذا السر الرهيب

قد افتخر هامان اذ دُعي الى وليمة استير للاكل مع الملك احشورش
واخذ بالتباهي امام زوجته واصدقائه بان الملكة لم تدعُ سواهُ ولم
يحق لهُ الافتخار والسرور بل البكا والنواح لانها كانت لهُ دعوة
الموت واما نحن فيحق لنا ان نفرح ونفتخر بهذه الدعوة التي يدعونا
اليها ابن الله يسوع المسيح لنتناول ثمرة الحياة ولكن لما كان طبع الانسان
مائلاً الى المخالفة قد نهى الله ادم عن اكل الثمرة تحت قصاص الموت
فخالف واكل فمات ويامرنا بان ناكل جسده ونشرب دمهُ واعداً ايانا
بالحياة فلا ناكل وان اكلنا فنأكل عن غير جوعٍ وبدون استعداد
فلا يفيدنا هذا الطعام المحيي بل يضرنا كثيرًا كما نوضح في
القسم الثاني

قال الرسول الالهي فليختبر الانسان نفسهُ وهكذا فلياكل من هذا
الخبز ويشرب من هذه الكاس لان من ياكل و يشرب وهو على خلاف
الاستحقاق انما ياكل ويشرب دينونة لنفسهِ اذ لم يميز جسد الرب
(قرنتية اولى ص ١١) اي انه يجب على المسيحي قبل التناول من
هذا السر ان يطهر نفسه بالتوبة الحقيقية ويغسل ذنوبه بدموع سخينة
وهذا ما اشار اليهِ السيد المسيح في غسل ارجل تلاميذه قبل ان يناولهم
جسدهُ ودمهُ . اذا كان موسى النبي صنع تابوتًا من خشبٍ لا يعتريه

فساد ولبسهُ بالذهب النقي الخالص ليضع فيه لوحي الناموس فبالاولى يقتضي ان تكون النفس التي يدخلها رب الناموس وفارض السنّة خالية من فساد الاثم ومزينة بذهب الفضائل الالهية واذا كان سليمان الملك قد بنى هيكلاً جميلاً جدًا صرف في اتقانه سبع سنين وصنع عيد تقديسهِ ثمانية ايام وقدم لله الف ذبيحة سليمة وذلك كله ليضع فيه ذلك التابوت فكم من الزمان يقتضي ان نصرفه في اتقان قلبنا الذي هو هيكل الله الحي ونطهره ونقدسه باعمال مبرورة مقدمين أشواقنا وعواطفنا ذبائح سليمة لنضع فيه ليس تابوت العهد بل رب التابوت نفسه · يوسف الرامي وضع جسد الرب في قبرٍ لم يقبر فيه غيره اجلالاً لهُ لئلا يكون حيث تكون النتانة ورمم الموتى فكيف يتجاسر المسيحي ويضعه في قلبٍ دفنت فيهِ البغضة وعفن الحقد في الكبد قلبٍ فيه حب الدنيا والخيرات الباطلة قلب تنبعث منهُ نتانة الشهوات السمجة ·· فيا ما اجسم اهانة من يتكى على مايدة الملك وقلبه مملو دغلاً وعداوة ضده هكذا هي حالة من يتكي على مائدة الرب وهو في حال الخطية بل انهُ اشر من ذلك لانهُ ياكل الرب نفسه ويتناوله في قلبه المملو سماجةً فكانه يهودا ثانٍ يضع الرب والشيطان في قلب واحد واية الفة بينهما فاذا يجب عليك تنقية القلب ليس فقط من الخطايا المميتة بل من العرضية ايضًا واستئصال جرثومتها بعزم ثابت وصلوة حارة لدى الله لئلا تسمع رب الوليمة ينتهرك قائلاً كيف دخلت الى هنا وليس عليك ثياب العرس (متى ص ٢٢)

لان القربان المقدس هو خبز الاحياء لا خبز الاموات فالسيد المسيح اقام ابنة يايروس من الموت ثم اعطاها لتاكل فاقم نفسك من موت الخطية بالبكا والدموع وحينئذٍ كُلْ من هذا الخبز السماوي هكذا كان يفعل ايوب حين اكله الخبز المادي · وتذكر ان يوشيا الملك لم يصنع للشعب الاسرايلي تلك الوليمة الاَّ بعد ان طهر ارض اليهودية من عبادة الاوثان (ملوك ٤ ص ٢٣) واستنتج من ذلك انه يجب تنقية القلب من رجس اوثان الذنوب قبل التقدم الى وليمة الرب فاسحق الصنم الذهبي الذي هو محبة المال والصنم النحاس المعبر عنهُ بالجاه العالي والحديدي المرموز بهِ عن قساوة القلب لتناول لذة هذا المن السماوي · ان ذلك المن الذي انزله الله لبني اسرائيل في البرية كان رمزًا للقربان المقدس المعطى لنا ونحن في برية هذا العالم · فذلك المن كان ينزل من السماء يشبه الندى هكذا جسد المسيح حل في احشاء البتول مثل الندى على الجزة ذاك لم يعطَ لبني اسرائيل الاَّ بعد خروجهم من مصر ومجازهم في البحر الاحمر هكذا لا يقتبل القربان باستحقاق الا من خرج من اسر فرعون الجهنمي وجاز في بحر التوبة ذاك كان طعمه مثل العسل بفم الصالحين الذين لم يكونوا ليشتهوا بصل مصر وثومها ومثل الحنظل بفم الذين كان عندهم الشوق الى دقيق مصر كذا القربان لذيذ للابرار ومستكره عند الاشرار · وكما ان المن كان يكفي حاجة كل انسان كثيرًا كان او قليلاً هكذا القربان فمن تناول منه جزءًا صغيرًا كمن تناول جزءًا كبيرًا · وذاك المن

كان يلتقطه الاسرائيليون يوماً فيوماً عدا يوم السبت الذي هو يوم الراحة هكذا القربان فانهُ يتقدم يومياً على المذابح الى ان ياتي يوم الراحة الدائمة .

ومن الواضح انه لا يكفي رفع الاوساخ والاقذار من المكان المعد لاستقبال الملك بل يجب تزيينه بالمفارش الثمينة ورشه بالروائح الزكية هكذا لا يكفي تنقية القلب من الخطايا وتنظيفه من اقذار الذنوب بل يجب ان يكون مزداناً بايمان حي ايمان يخرق السحاب ويرينا ان ذاك الجالس على عرش مجده ومحمولاً على اجنحة الكاروبيم هو الذي تحملهُ ايدي الكهنة فوق المذابح بايمان يجعلنا محققين ان ذاك الذي ابدع الكائنات من العدم بقوة كلمته هو الذي يوجد هنا في القربان المقدس وان الذي لاتسعه السماوات والارض هو موجود تحت اعراض الخبز والخمر بايمان يرينا ان ذاك الاله الذي رآهُ موسى في العليقة بمثال نارٍ والعليقة لم تحترق هو كاين في هذا السر الالهي العجيب والذي ناجاه على جبل سينا باصوات الرعود ولميع البروق هو موجود هنا بهدو وسكون بايمان نسمع بهِ قوله تعالى اذهبا الى المدينة فسيلقاكما رجل حامل جرة ماء فاتبعاه وحيث يدخل فقولا لرب البيت ان المعلم يقول اين المكان الذي آكل فيه الفصح وهو يريكما غرفة مفروشة مزينة (مرقس ص ١٤) ونتحقق ان الذي يستحق ان يدخل المسيح الى بيت نفسه يجب ان تتدفق من عينيهِ مياه الدموع الغزيرة ويكون قلبه كغرفة مزينة بالفضائل بايمان يجعلنا ان نكون على ملو

الثقة بان الذي نتناوله هنا هو عربون المجد الابدي بايمان يحرك قلوبنا ويضرمها بنار محبتهِ تعالى · فبالحقيقة ان من تناوله مرة واحدة بمثل هذا الاستعداد كفاه ان يتحول من حال الفتور الى الحرارة ومن الضعف الى القوة ومن التعلق بالزمنيات الى الرغبة في الخيرات الراهنة وبالجملة لكان كفاه ان يجاهد ضد العالم والجسد والشيطان حتى الدم والحال اننا كثيرًا ما نرى المسيحيين يتناولون كثيرًا ويستفيدون يسيرًا او لا يستفيدون شيئًا وما ذلك الَّا لعدم استعدادهم كما يجب لانهم لا يميزون جسد الرب عن بقية الاطعمة

ان السيد المسيح ما دخل مكانًا الَّا قدسهُ وطهره دخل احشاء مريم العذراء جعلها ملكة السماء والارض دخل بيت ذكريا فبرر يوحنا المعمدان وهو في حشا امهِ دخل مغارة بيت لحم فصيرها هيكلًا وفردوسًا للملايكة ومكانًا تقصدهُ الزوار من كل الامصار دخل مصر فاهبط اصنامها دخل الاردن فقدس مياههُ سكن القفر اربعين يومًا فقدسهُ وازهر بنساك لا يحصون عددًا دخل بيت بطرس فابرأ حماته من الحمى وبيت يايروس فاقام ابنتهُ من الموت ولج بيت ذكا فبررهُ وقال اليوم وجب الخلاص لهذا البيت دخل بيت مريم ومرتا فصارتا قديستين دخل الغرفة الصهيونية فشرفها بترتيب هذا السر العجيب دخل البستان فقدسهُ بصلاته والليمبوس فخلص المسجونين فيه واما انت فكم من مرة دخل المسيح الى نفسك المريضة ولم تفارقها حمى الدق اي عادة الكسل ولم يهبط اصنام عوائدك ولم تصر قديسًا ولا استحققت ان يقال

لك اليوم وجب الخلاص لهذه النفس وما سبب ذلك الأ عدم تأهبك او قلة تقدمك لهذا السر او من تقصيرك بتأدية الشكر الواجب بعد التناول كما سنوضح ذلك ..

ايها المتناول جسد الرب لاتكن نظير سكان اورشليم الذين قبلوا المسيح صباح يوم الشعانين بفرح وتهليل قائلين اوصانا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب وفي المساء طردوه من المدينة عند الصباح فرشوا ثيابهم امامه وفي المساء تشاوروا على نزع ثيابه في الصباح حملوا اغصان النخل علامة الانتصار والسرور وفي المساء جردوا تلك الاغصان من اوراقها واستخدموها لطرده وتذكر ما جرى ليهوذا الذي بعد التناول خرج حالاً وباع من ناوله جسده ودمهُ ولذلك دخلهُ الشيطان فهلك فينتج انه يلزم من تناول القربان المقدس ان لايخرج حالاً من الكنيسة بل يمكث اقله نصف ساعة مقدمًا فيها واجبات الشكر لهذا الاله الحال في احشائهِ قائلاً له اشفِ نفسي المريضة لانك انت الطبيب · واغنِ نفسي الفقيرة انت الغني سكن اللهم امواج قلبي الهائجة كما سكّنت امواج البحر حين مشيت عليهِ. فاني اجعلك على قلبي كخَتم لئلا يدخلهُ سم البغض فيفنيه او سوس الحسد فينخره الهي صيّرني عند تناولي جسدك الطاهر ان اتذكر الامك وموتك لاجلي عملاً بوصية الرسول القائل · كلما اكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكاس تتذكرون موت الرب . وعلى المتناول ان يتصور ذاته انهُ واقف تحت ذاك الصليب المعلق عليهِ مخلصه وانه تناول من

الدم الذي اريق من جسده الطاهر ويساله تعالى ان يكون عربونًا لخلاصه الابدي وتقوية لضعفه وعلاجًا لاسقامه ويتحذر كل الحذر من العود الى اثامه السالفة بيانًا لمحبتهِ لمن احبه الى الغاية لكي يكون تناوله الحاضر استعدادًا لتناول اخرياتي بعده

ذُكر في الاخبار ان احد الملوك كان لهُ ولد وحيد هو وليّ العهد وكان ابوه معتنيًا بنجاحه وصحته كل الاعتناء فكان يسكن احسن مكان وياكل افخر المآكل المقوية ويلاحظهُ امهر الاطباء ومع ذلك كان ضعيفًا نحيل الجسم اصفر اللون قليل القوة لا يستطيع ان يخطو خطوة واحدة بدون سند ولم يكن سبب لهذا الضعف الكلي الاَّ اكله التراب من بعد قيامه عن مائدة الملك ابيهِ ولما مُنع من اكل التراب تشددت قواه وتحسنت الوانهُ فهذه حالة من يتكي على مائدة الرب وبعد قيامه عن هذه المائدة يعود الى اكل تراب عوايده الذميمة · فتارةً ياكل طعام الملايكة وتارةً ياكل طعام الخنازير ولهذا تراه لا يستطيع السلوك في طريق الفضيلة بل يسقط من ادنى تجربة تطرقه فالواجب عليه ان يجانب اسباب الاثم ولا يخرج الدواء بالسم ويجعل طعامه الدائم ثمرة الحياة لا ثمرة الموت ويداوم شكر المحسن اليهِ لان الشكر على النعمة يزيدها وعدمه يزيلها · امنحنا اللهمَّ ان نكون متحدين بك وانت بنا الى ان نتكي معك على تلك المائدة السماوية امين

نبذة

﴿ تتضمن بعض ارشادات تعطى في رياضات الكهنة ﴾

اننا بمزاولتنا عمل الرسالة نحوًا من ثلاثين عامًا قد تحققنا بالاختبار الفوائد الكبيرة الناجمة من اتقان الرياضات الروحية ولا سيما رياضات الكهنة خدمة النفوس اذ بها تتنبه افكارهم ويتضح لهم جليًا كل ما تقضي به عليهم دعوتهم من قداسة السيرة والاضطرام بنار الغيرة على قيام مجد الله وتخليص النفوس المستودعة لرعايتهم وعنايتهم · وطالما راينا كثيرًا منهم قد خرجوا من روضة الرياضة كما خرج تلاميذ المسيح من غرفة صهيون تفوح منهم رائحة المسيح الطيبة وقلوبهم ملآنة من روح المحبة والصبر والشجاعة . واذ كان عمل الرياضة السنوية متحتمًا على كل من الكهنة وكانت التأملات والارشادات المفيدة لهذا المقصد متفرقة في كتب شتى لا يتمكن اكثرهم من الوصول اليها والحصول عليها فقد راينا ان نعني بجمع بعض ما عثرنا عليهِ في كتب الآباء من التعاليم الروحية والنصائح الخلاصية المتكفلة بالبلوغ الى الغرض المقصود وليس من قصدنا ان نقدم لارشاد كهنة الرب تعليمًا قد اخترعه عقلنا لانهُ اذا كان القديس امبروسيوس قد استصعب ان يقدم تعليمًا للكهنة مع كونه اسقفًا وقديسًا احترامًا لسمو شرف درجتهم

فبالاولى يجب على من كان نظيرنا ان يصمت امامهم مهابةً واحتراماً
غير اننا نقدم لهم تعليم الروح القدس المسطر في الكتب الخلاصية
لكي ندرسه معاً ونجدَّ بمطابقة سيرتنا لهذا التعليم الالهي املين من
جوده ان يسكب على قلوبنا شآبيب انعامه وليثمر فيها زرع كلامه ..

في شرف الكهنوت

قال الملك والنبي داود في مزمور ٨١ قد قلت انكم الهة
انَّ هذا النبي لما راى بعين النبوة المنزلة السامية التي ارتقى اليها
كهنة العهد الجديد وما تولوه من السلطان على صنع جسد المسيح
ودمه وتقريبهما وعلى غفران الخطايا فلم يجد لسمو مقامهم شبيهاً على
الارض فمن ثم لم يقل قلت انكم ملوك اوولاة او حكماء او فلاسفة لانهم
ارفع منزلة من ملوك الارض وعظمائها لا بل هم اسمى مقاماً من الملائكة
ولهذا دعاهم آلهة . وعنهم قال هامة الرسل انهم جبل مختار وكهنوت
ملوكي وأمَّة مقدسة (بطرس اولى ص ٢) نعم ان الكهنة هم الجبل المختار
من الله لتمجيده والقيام بخدمته كقوله تعالى انا اخترتكم وميزتكم من سائر
الشعوب لتكونوا لي (احبار ص ٢٠ عد ٢٦) اي مخصصين لاجل
مذابحي وخدمتي ومحبتي وشركائي في اسراري وتوزيعها لكونكم قواد شعبي

ومدبري قطيعي فما ارفع هذا المقام وما اعظم الشرف الذي بهِ شرف الله درجة الكهنوت في النواميس الثلاثة اي في الناموس الطبيعي والناموس الموسوي والناموس الانجيلي كما نبين ذلك في خطابنا هذا متخذين اثباتًا لموضوعنا ايات الكتاب المقدس واقوال الاباء القديسين وقبل الشروع ..

ان الله شرف الكهنوت واخصه بكرامات جزيلة ففي الناموس الطبيعي شرف ملشيصادق الحبر الذي قربه اليهِ وجعلهُ ان يقدم لهُ خبزًا وخمرًا بنوع ذبيحة ترضي عزته الالهية ورفع مقامهُ جدًا اذ منحه ان يبارك ابراهيم وان يودى لهُ العشور دليل انهُ حبر وملك وحكيم ولاجل هذه المناقب الثلاث كان المصريون يدعون كهنتهم مثلثي العظمة . وربما لهذه الاسباب قدم ملوك المجوس لسيدنا يسوع المسيح هداياهم الثلاث ذهبًا لكونهِ ملكًا وبخورًا لكونه كاهنًا ومرًا لكونه انسانًا حكيمًا غير قابل الفساد . فايّ شرف اعظم من هذا . قال القديس اغناطيوس الشهيد ان الكهنوت هو قمة جبل الشرف الذي لا يستطيع الانسان ان يبلغ اعظم منهُ فالكهنة اذًا هم ملوك روحيون واشرف من الملوك الارضيين لان ملوك العالم كما قال فم الذهب لا يباشرون سوى امور ارضية واما الكهنة فيباشرون امورًا سموية اوليك سلطانهم على الاجساد وهولاء على النفوس اوليك سدتهم موضوعة على الارض وهولاء منبرهم في السماء حيث يثبت ما قد حكموا بهِ الملوك يدبرون بالقوة اما الكهنة فيدبرون بالمشورة الملوك يحاربون البرابرة

باسلحة هيولية اما الكهنة فيغلبون الشياطين باسلحة روحية فهذا الذي يصير سلطة الكهنة اعظم من سلطة الملك ومن ثم يقبل الملك يد الكاهن ويتبارك منهُ لان الانسان ياخذ البركة ممَّن هو افضل

وقد قيل عن ملشيصادق انهُ ملك سليم اشارة الى ان الكاهن يلزم ان يكون سليمًا الى نفسه اي مسالمًا الجسد مع الروح ومعتنيًا في ان يفوز الاخرون بهذا السلام مع الله والناس واما قوله لم يذكر لهُ اب ولا ام ولا ابتدا ايامهِ ولا منتهى حياته فلكي نعلم ان المنتظم في رتبة الكهنوت لا يعود مفتقرًا الى شرف النسل ولا الى اسبقية الاصل بل عليه ان يجعل كل شرفه في كونه كاهنًا صديقًا سليمًا مكملاً وظيفتهُ والَّا لا نظن بملشصادق ان شرفه الملوكي كان اعظم من شرفه الكهنوتي لم يذكر عنهُ الكتاب فعلاً ما ملوكيًا بل ذكر ثلاثة افعال تخص كهونته وهي تقدمة خبز وخمر لله بنوع ذبيحة وبركته لابراهيم وقبوله العشور. وكما ان ملشيصادق وزع الخبز والخمر على ابراهيم وعبيده بعد محاربتهم اعداهم والانتصار عليهم هكذا الكاهن فانهُ يوزع على المومنين الخبز المحيي ليتقووا بهِ في محاربتهم العالم والجسد والشيطان وانتصارهم عليهم

واما في الناموس الموسوي فقد شرف الله الكهنوت جدًا وجعلهُ في سبط لاوي وثبتهُ باعجوبة مذهلة وذلك انهُ عزَّ وجلَّ اوصى اعيان الاثنى عشر سبطًا وهارون بان يدفع كل منهم لموسى قضيبًا ويكتب اسمهُ عليه ويضع الجميع امام التابوت فمن ازهر قضيبهُ يكون كاهنًا ففعلوا واذا بقضيب هارون اخضر واخرج ورقًا وازهر واثمر لوزًا

(عد ص ١٧) فيجب على الكاهن ان يزهر باستقامة تعليمه وتنتشر من حسن سيرته رائحة زكية تبهج السماء والارض وان يكون شبيهًا باللوز فانهُ ذو قشرتين الواحدة مرة والاخرى يابسة تحفظان ما داخلهما من اللب الحلو اللذيذ هكذا يجب ان تكون حياة الكاهن متصفة بافعال التوبة المرة نظرًا الى الجسد و باتعاب السيرة العملية لحفظ باطن الروح . ورعايةً لشرف الكهنوت كلم الرب موسى قائلاً · مُزهِرون وقل لهُ ايّ رجلٍ من نسلك على ممرّ اجيالهم كان بهِ عيب فلا يتقدم ليقرّب خبز الههِ · اذ كل رجلٍ بهِ عيب لا يتقدم . الاعمى والاعرج والافطس . والذي بهِ كَسْرُ رجلٍ او كسْرُ يدٍ والاحدب ومن به الدقّ والذي في عينيهِ بياض والاجرب · (احبار ص ٢١) وقد جعل الله كهنة العهد القديم قضاةً على شعبه ليزيدهم شرفًا واعتبارًا امام الشعب ورام ان يحكموا على ما حُكِم بهِ في المحاكم العالمية قائلاً . اذا التبس عليك امرٌ في القضاء بين دمٍ ودمٍ او دعوى ودعوى او جرحٍ وجرح من امور الخصومات في مدنك فقم واصعد الى الموضع الذي اختاره الرب الهك . وسِر الى الكهنة اللاويين والى القاضي الذي يكون في ذلك الزمان واسألهم فيرشدوك في امر الحكم ·· ولا تحد عن القول الذي يفتونك بهِ يمنةً ولا يسرةً . وايّ رجلٍ كان متجبرًا حتى لا يسمع من الكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك فليقتل ذلك الرجل واقلع الشر من اسرائيل . (تثنية ص ١٧) وقد اهتم بهم الرب وحافظ على كرامتهم بهذا المقدار حتى قال . انّ من يمسهم يمسّ حدقة عينهِ

(ذكربا ص ٢) ويسوع المسيح حينما آبرأ الابرص امره قائلاً امضِ فأرِ نفسك للكاهن (متى ص٨ عد٤) لكي يحكم على تطهيرك وشفائك ثم انهُ تعالى كان يأمر الكهنة قديمًا بان يلبسوا ثيابًا ثمينة مزخرفة كريمة بنوع ان من يراهم ياخذه الاندهاش حتى ان اسكندر الملك لما دخل اورشليم ورأى الحبر الاعظم مقبلاً للقائهِ بحلة الكهنوت الثمينة قد انحدر حالاً عن جواده وتجد لهُ، كما ذكر يوسف اليهودي المورخ . وكان قد أمر الله الكاهن ايضًا ان لا يكشف رأسهُ لاحد وذلك دلالة على سلطانه المطلق كما قال القديس ايرنيموس . فجميع هذا الاكرام الذي كان متصفًا بهِ كهنوت العهد القديم يجب ان ينسب الى كهنوت العهد الجديد على وجهٍ اشرف واجلّ جدًا .

ونرى في الناموس الانجيلي ان الله قد شرف الكهنة شرفًا فائقًا اذ اقامهم مقام نفسهِ وامر ان يعاملوا كشخصهِ بقولهِ . من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني (لوقا ص١٠) ولقبهم بالقابٍ شريفة اذ دعاهم ملح الارض . ونور العالم . ومدينة مبنية على جبل . ومصباحًا موضوعًا على منارة . فدعاهم ملح الارض لاذهب الارض وفضتها وجواهرها لاسباب اولها لان الملح نافع جدًا وعام وضروري وهو بمنزلة بلسم الطبيعة تستخدمهُ في المركبات غالبًا لتصونها من الفساد وتصلحها هكذا الكهنة فانهم بملح حكمتهم يحفظون الانفس من الفساد ويصلحونها ثانيها لان الملح يحوي طبع النار والماء معًا فيحوي نارًا لحدته كالنار واذا طرح فيها فيزيد اضطرامها . ويحوي طبع الماء لانه اذا وضع فيهِ

يذوب ويستحيل اليه هكذا على الكاهن ان يضرم القلوب بنار المحبة واذا كانت يابسة يرطبها بمياه عذوبة الفاظه ويصيرها مخصبة باثمار الفضائل والاعمال الصالحة · ثالثها لان الطعام بالملح يصير ذا طعم لذيذ وبدونه يتقزز من يأكلهُ هكذا يلزم الكاهن ان يصلح آراء البشر وضلالتهم الكريهة ويصيرهم مقبولين امام الله والملئكة رابعها كما الملح يثير العطش كذلك يلزم الكاهن ان يثير في الناس عطشاً الى الى الامور السماوية · خامسها كما ان الملح يلدغ بحدتهِ ويجفف هكذا يلزم الكهنة ان يلدغوا رذائل البشر بالفاظهم النارية وسيرتهم الحارة ويجففوها ويلاشوها بنار غيرتهم · قال فم الذهب ان شئت تعرف ان كان الشعب صالحاً فتامل حالة الراعي فان وجدته صالحاً تقياً فاحكم بان الشعب مثله لانه يرعاهم ويصلحهم بملح حكمته · وقال كارلوس قيصر ان حال الرعية يُعرَف من ثلاثة وهم الراعي والمعلم والوالي · فالكنيسة متعلقة بالراعي والمدرسة وشبانها بالمعلم والحكم والعدل بالوالي · فينتج من ذلك ان الراعي ملح الكنيسة · والمعلم ملح المدرسة · والوالي ملح المدينة · ويفعلون اكثر مما يفعل الملح فان الملح يصون من الفساد ما كان خالياً من الفساد لكنه لا يقدر ان يصلح ما قد فسد ولا ان يرده الى صحته الاولى · واما الكهنة الغيورون فقد اصلحوا ويصلحون الانفس المنفسدة بكل رذيلة ويمنحونها صحة لم تكن سابقاً فيها · ولكن ليس للملح ملح يصلحه اذا فسد ويرده الى طعمه وحدته الاولى · هكذا اذا فسد الكاهن الذي من شانه ان

يصلح سجايا غيره واخلاقه لا يوجد من يصلحه . ونظهر حقيقة هذا الامر في بعض الكهنة والرعاة في الاجيال المتقدمة الذين اذ استساروا سيرة مفعمة من الشكوك والكسل في تعليم الشعب واحتقروا رتبة الكهنوت فصاروا سبباً لبدعة لوتاريوس وكلونيوس وغيرهما الذين اشبهوا البقّ الذي يلدغ في حياته ويخرج رائحة منتنة في مماته . ولما كان الملح مركباً من العناصر الاربعة (حسب رأي القدما) الهواء والماء والتراب والنار فيفسد بفساد كلٍ منها لانه يترطب اذا ترطب الهواء ويفسد بفساده . ويذوب بالماء . ويصير تراباً بالتراب . وبالنار يحترق . هكذا الكاهن فانه يفسد اولاً بالهواء اي بطلبهِ المجد الفارغ ثانياً يذوب بما . الشهوات ثالثاً يصير كالتراب بالبخل والطمع رابعاً يحترق بالنار اي بالغضب لانه كيف يعلم احتقار المجد الفارغ واللذات والكرامات وهو يطلبها . وكيف يقنع غيره بالتواضع وهو يحب الأباطيل . وكيف يعلم العفة وهو بمعزلٍ عنها . وكيف يستميل غيره الى السخاء وهو بخيل طماع . وكيف يامر بالوداعة وهو غضوب . لان من شاء ان يصلح سجايا غيره واخلاقه يجب ان تكون افعاله مطابقة اقواله والاَّ فيقال لهُ ايها الطبيب اشفِ نفسك

انتم نور العالم فعليكم ان تنيروا ظلامه وضلاله بنور التعاليم الالهية والسيرة الانجيلية فكما ان الشمس تضيء على المزابل والنجاسات ولا تتدنس منها كذلك انتم ايها الكهنة عظوا الشهواني لتصلحوه دون ان تتدنسوا منه . وكما ان الشمس تبعث اشعتها على الارض وتنيرها وهي

في السماء هكذا انت ايها الكاهن كن في السماء بضميرك وعلى الارض بجسمك لتنيرها بخطاياك ومثلك الفاضل وبهذا تكون نور العالم بل شمسه . قال فم الذهب لو كنا نجتهد نحن الكهنة لما بقي وثني على وجه الارض . وذلك اذا اطعنا وصايا الله ونصائحه واحتملنا الشتم وباركنا من يلعننا ولم نبادِ الشر بالشر بل صنعنا الخير عوض الشر ولم ننتقم من اعدائنا لعمري لو فعلنا ذلك لما وجد بربري الاَّ وقد اقبل لاعتناق الديانة المسيحية اذ يشاهد ثمرة هذه الامور فينا ..

والسيد المسيح قد شبه الرسل والكهنة بمدينة موضوعة على جبل حيث لا يمكن ان تخفى بل تنظرها اعين كل الساكنين حولها فالكاهن اذاً عيون الكل شاخصة اليه فان كان يتم وظيفته كما ينبغي وينذر بسيرته الحسنة اكثر من خطابه فيجتذب كثيرين الى المسيح ويمدح من الجميع وان فعل خلاف ذلك فيصد كثيرين عن المسيح ويصير هدفاً لسهام المذمة من الجميع . وكما ان المدينة المبنية على جبلٍ عالٍ ينبغي ان تكون مكتفية بجميع لوازمها غير محتاجة الى غيرها لما يوجد من الصعوبة في الوصول اليها هكذا الكاهن يجب ان يكون غنياً في العلوم اللازمة لوظيفته كاملاً بالفضائل لانه اذا كان محتاجاً الى شيء من العلم فلا يتجرأ احد العامة ان يرشده اليه وان زلَّ او أخلَّ بواجباته فلا يتجاسر احد الشعب ان ينصحهُ على ذلته اعتباراً لشرف كهنوته فاذاً عليه ان يكون كاملاً ومكملاً مستنيراً بالعلوم والمعارف ومنيراً باصلاح الاعمال وحسن المثال لانه لا يوقد سراجٌ ويوضع تحت المكيال

لكن على المنارة لينير على كل من في البيت (متى ص ٥) فليس من العادة ان يوقد سراج ويغطي في اناء لكن يرفع على المنارة ليضيء لكل من في البيت ليلاً هكذا انتم ايها الكهنة اذ وضعتم في مقام عالٍ وجب عليكم ان تنيروا الكل بكرازتكم وقداستكم · قال القديس اغوسطينوس ان الذي يظلم نور التعليم الصالح ويخفيه لاجل الارباح العالمية فهذا يضع السراج تحت مكيال ومن استعبد جسده لخدمة الله وقدم بشارة الحق على فايدة الجسد فذاك قد وضع السراج على المنارة · هكذا فليضيء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات · فكونوا اذاً ايها الكهنة ملحاً يصلح ضمائر الناس الفاسدة ويحفظ السليمة من الفساد . ونوراً وسراجاً للعالم ليضيء نور تعليمكم وقداستكم امام الناس ليشاهدوا اعمالكم الصالحة فيمجدوا الله بواسطتها الذي منحكم هذا المقدار من الحكمة والقداسة · وشرفكم ورفعكم الى مقام لايعلو عليه الاّ الله وحده ✠ فحافظوا على شرف مقامكم بعيشةٍ مقدسة تليق بدعوتكم لان شرف الكاهن لايقوم بزخرفة ثيابه وكثرة خدامه بل بثوب الفضيلة وكثرة الافعال الصالحة التي تصير المومنين ان يحترموه لا من اجل شرف درجته فقط بل من صلاح سيرته · قال القديس ايرنيموس ان الكاهن لا يخلص بدرجة الكهنوت بل باعمال الكهنوت · فاحترسوا اذاً على اللسان الذي يدعو ابن الله ويجذبهُ من السماء من ان ينطق بكلمة تخيطهُ · وعلى الايدي التي تلمس دم الحمل الالهي لئلا تتدنس بالخطيئة · انتم اعمدة الهيكل وشجرة العالم المنصوبة في

وسط الفردوس ووسط الارض وشفعاء البشر وسكان السماء وشركاء الملئكة وبنو الانبياء وخلفاء الرسل · فطهروا اذاً قلوبكم لتستحقوا ان تحملوا مع ابائكم آنية الرب ومركبة سليمان الحقيقي لانه تعالى يجلس كل يوم في صدوركم وتحملونه على ايديكم · فيجب عليكم ان تزينوا هذه المركبة بما يليق لعزة هذا الرب المستريح فيها · اعملوا لها مدخلاً ارجوانياً باماتة الشهوات واحتمالكم بالصبر كل نوع من الكوارث . اصنعوا له اعمدة من فضة بتحلي سيرتكم بجميع الفضائل · اعملوا له متكاء من ذهب بواسطة رياضة الصلاة العقلية ليتحد روحكم مع روحه . وليكن وسط المركبة مزيناً باظهار عواطف المحبة نحو الله والقريب والعمل بها حتى ان كل من يراكم يقول مع داود النبي حقاً انكم آلهة وبنو العلي كلكم ...

في الكمال المطلوب

من الكهنة

كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل (متى ص ٥ عد ٤٨)

اذا كان الكمال لازماً لكل مسيحي لانه خادم الله فهو للكهنة الزم

لانهم ابناء الله وعلى الابناء ان يشبهوا بكمال ابيهم اكثر مما يلتزم الخادم ان يتشبه بمخدومهِ . قال توما الكمبيسي انهُ يلزم للكاهن كمالٌ يفوق كمال البشر كافةً لان حالته اسمى من حالاتهم جميعاً . وهو بيت الله والهيكل الذي يسكن فيه والحال ان بيت الله ينبغي لهُ التقديس . نعم ان العوام عند تناولهم القربان المقدس يكونون ايضاً بيت الله وهيكله الا انهم ليسوا بهيكلهِ الاعتيادي نظير الكهنة الذين يسكن فيهم كل يوم . وكما ان الملوك يزينون البلاط المختص بسكناهم الدائم افضل زينة واما اذا سافروا فيرسلون قليلاً من آنيتهم لتزيين المكان الذي لا يلبثون بهِ الاَّ قليلاً هكذا يريد ملك المجد من الكهنة الذين صيرهم بلاطه الاعتيادي ان يكونوا مزينين بكمالٍ سامٍ طاهرين بالجسد والروح . فان كانت الجنود تبتغي ان تكون شجعاناً في القتال . والتلاميذ علماء في المدارس والصناع كاملين في فنونهم فلماذا لا يرغب الكهنة المدعوون من المسيح الى البر والقداسة والكمال في ان يكونوا كاملين قديسين في غاية الكمال . قالت القديسة ترازيا ان الله يحب الكاملين حباً خاصاً دون غيرهم ويصيرهم متقدمين دون البقية ليستردوا كثيرين ويخلصوهم ويكملوهم . وهذه هي غاية الله وقصده في اقامة الكهنة كما سنبين ذلك في هذا الخطاب وقبل الشروع .

ان الامور الادبية كثيراً ما تشابه الامور الطبيعية . فان الله فرض على بعض الافلاك ان تدور بحركة دائمة واذ ليس لها القوة من

ذاتها فقد عين لها قوةً تفوق قوتها قوةً ملائكة تديرها دائمًا . هكذا قد فرض على المؤمنين ان تكون قلوبهم مرتفعة نحوه تعالى متحركة بعواطف المحبة لذاته والتامل بكمالاته والشكر لاحساناتهِ ومن كون اكثرهم ضعفاء وتشغلهم المهام الارضية قد عين لهم كهنة تدير حركات قلوبهم نحو العلا فاذًا يلزم هولاء الكهنة ان يكونوا كالملائكة بالقداسة والطهارة كقوله تعالى ويكونون كملائكة الله (متى ص ٢٢ عد ٣٠) وفرض على الكواكب ان تجلو ظلام الليل واذ ليس لهذه الكواكب النور الكافي فامر الشمس ان تمدها بنورها هكذا يلزم الكهنة ان يضيئوا بنور تعاليمهم وحسن مثالهم جميع الشعب عملاً بقوله تعالى . الشعب الجالس في الظلمة ابصر نورًا عظيمًا (متى ص ٤ عد ١٦) والزم الارض ان تشبع اماني الفلاحين واذ ليس لها الرطوبة الكافية فيامر المياه ان تسير في الشعاب المنخفضة . فانت ايها الكاهن يجب عليك ان تسقي النفوس بمياه النعم التي تستمدها بواسطة صلواتك لكي تنمو بالقداسة وتعطي اثمار الفضائل المرضية لله . ان الله امر الكهنة في العهد العتيق ان يكون ثوبهم كله ازرق بلون سماوي وان يعلقوا بذيلهِ جلاجل (جُريسات) مشيرًا بذلك الى انهُ ينبغي ان تكون سيرة الكاهن كلها سماوية اي لا يقصد ولا يرغب غير الامور السماوية وما يخص خدمة رب السماء . وبالجلاجل اشارةٌ الى ان تكون سيرة الكاهن مقدسة لا من داخل فقط بل من خارج ايضًا لكي يستيقظ الشعب من رقاد الخطيئة بوعظ الكاهن ومذاكراته المفعمة بنار المحبة . قال فيلون

الفيلسوف ان من يسوس الناس ينبغي ان يكون اكثر من انسان . فيلزم ان يوجد فرق بين الكاهن والشعب كالفرق الموجود بين الراعي والقطيع الذي يرعاهُ . فترى كيف يكون ظن الناس بذاك الكاهن الذي يرونه بين اهل العالم طالبًا الترفهات واللذات راغبًا في الارباح الزمنية فظًا غضوبًا نمّامًا محبًا للاباطيل نظيرهم . ثم بعد ذلك يشاهدونه في الكنيسة اما على المذبح مقدِّسًا او على المنبر واعظًا او جالسًا في الكرسي معرِّفًا . فايُّ ذهولٍ يعتريهم اذا قابلوا قداسة وظيفته مع رداءة سيرته . فلا ريب في انهم يشمأزون من حضور قداسه ويكرهون استماع وعظه وينفرون من الاعتراف بين يديه . ويتخذون منهُ سببًا للعثرة والشك . . .

ان الله قد امر موسى النبي بانهُ عند هتاف صوت القرن الاول يجب ان يحضر روساء الشعب وان طال الصوت يحضر الشعب فبهذا القول الالهي اشارة الى انهُ يلزم الكاهن ان يكون الاول في تلبية صوتهِ تعالى والانقياد لاوامره القدوسة فان سمع قوله تعالى كونوا كاملين فيجب ان يكون الاول في السلوك بمنهج الكمال . ومقامه يقضي عليه ان يكون اول تلميذ لذاك المعلم القائل تعلموا مني فانّي وديع ومتواضع القلب (متى ص ١١ عد ٢٩) واول من يحب اعداءهُ ويحسن الى من يبغضهُ ويصلي لاجل من يضطهده امتثالاً لامره تعالى احبوا اعداكم . واول مستيقظ على نفسهِ وانفس ابناء رعيتهِ عملاً بقول الحكيم لا تعطِ عينيك وسنًا ولا اجفانك نومًا (امثال ص ٦) فاول التائبين

في نينوى كان الملك واول كامل في الكنيسة يجب ان يكون الكاهن

ان التلاميذ كانوا جميعهم نياماً والسيد المسيح لم يوبخ الاّ بطرس على عدم السهر لانه رئيسهم اذ انهُ متى وقع خطا من جمع فالملام على المتقدم فيهم ومن البين انهُ لا يجوز النوم لمن يلتزم ان ينبه غيره عند الاقتضاء . ومقام الكاهن يطلب منهُ ان يكون وديعاً راتباً غير قلق ولا مضطرب البال لان كرة الهواء العليا لا يوجد فيها غيوم وبروق ولا يبلغ اليها بخار الارض ولهذا تبقى صافية رائقة هادية اما ما دونها من طبقات الافلاك فتراها غالباً محجوبة بالضباب والغيوم المتكاثفة . فمنزلة الكاهن كونها تعلو كل منزلة من طبقات البشر تقضي عليه ان يكون خالياً من غيوم الهموم الارضية وناجياً من بخارات حدة الغضب ومحبة الاباطيل الزمنية

اذا كان الله يطلب من كهنة العهد القديم كمالاً طبيعياً جسدياً فالاعرج والاعمى والاحدب والابرص فما كان يرتضيهِ ان يدنو من المذبح فبالاولى انه يطلب في كهنة العهد الجديد كمالاً ليس طبيعياً فقط بل كمالاً ادبياً ولهذا من كان اعرج في اعماله وغير مستقيم بسيرتهِ والاعمى عن واجباته والمحدوب نحو الارضيات والابرص باثمه فمثل هولاء لا ينبغي ان يدنوا من مذبح الرب . فلهذا قال الرب لموسى قل للكهنة ليكونوا قديسين (احبار ص ٢١ عد ٦) فالتزامهم بالقداسة والكمال مبني على هذه الاسباب الاتية اولاً لانهم مختصون بالله

القدوس والحال ان كل ما يختص بالله يجب ان يكون مقدساً ولا يجوز استخدامه لشيء ردي ولا لشيء عالي . ثانياً لانهم يقربون خبز الههم ولا يمكن قبول قرابين من كان غير مقبول عند الله . فقد وجب على كهنة العهد العتيق ان يكونوا قديسين مع انهم كانوا يقدمون بخوراً وخبزاً اعتيادياً ولم يكن جايزاً لهم ان يحملوا تابوت الرب قبل ان يتقدسوا فبالاحري يجب على كهنة العهد الجديد ان يكونوا قديسين لانهم يقدمون خبزاً سمويّاً ويحملون كل يوم لا تابوت العهد بل رب التابوت ذاته وليس على ايديهم فقط بل في افواههم وصدورهم ايضاً . ثالثاً لانهم اذا كانوا غير قديسين يدنسون اسم الههم و يفترون عليهِ محتقرين اسمهُ القدوس و ينجسون هيكلهُ وذبيحته فليكونوا اذاً قديسين وليماثلوا اولئك الكهنة الذين اختارهم يهوذا المكابي اذ كان هذيذهم كلهُ في الناموس! رابعاً فليكونوا قديسين لئلا يكونوا حجر عثرة وصخرة شك لانهم منظورون كمدينة على جبل فاذا ذلوا لا تخفي ذلتهم . فقد اعترى البرص عوزيا الملك وموسى النبي لكن بهذا الفرق وهو ان موسى كان يخفي برصه لانه كان في يده واما عوزيا فلم يكن يستطيع على اخفاء برصهِ والتخلص من عاره لان برصه كان في جبينه هكذا ذلة الكاهن كالبرص في الجبين لا يمكن اخفاؤها . فالكاهن هو ميزان القدس . فعيب الميزان الخصوصي البيتي لا يعرف الا من اصحاب البيت وضرره مقصور عليهم فقط بخلاف موازين السوق العمومية فعيبها يعرف من الجميع وضررها يمتد الى الكثيرين فالكاهن كالميزان العمومي المشهور

امام الجميع فاذا كان فيه عيب لا يخفى على احد وان حدث منهُ ضرر فيكون عمومياً فعلى اعماله توزن اعمال الناس و بمثاله يقتدي الشعب . فاعمال الكاهن هي القضبان التي يقيمها امام اغنامه وبحسبها تكون اعمالهم (تكوين ص ٣٠) صالحة او طالحة . فعمود الغمام الذي كان يهدي الشعب في البرية فكان بنو اسرائيل يسيرون عند سيره و يقفون لدى وقوفهِ هكذا الكاهن فان سلك في طريق الفضيلة والكمال سلك الشعب نظيره وان وقف وقفَ الشعب فاذا نظروه مثلاً يصرف وقتاً في الكنيسة بعد القداس متاملاً بورع وخشوع فالشعب يقتدي بهِ واذا نظروه لا يمكث في الكنيسة خمس دقائق فيسبقونه بمراحل عند تناولهم القربان المقدس فيما انه يلزم الكاهن والمتناول ان يصرف وقتاً بتادية الشكر لله الحال في احشائهِ . واذا نظروهُ صبورًا في الشدائد وارشدهم على الصبر اثر فيهم مثلهُ وارشاده فان شرب الطبيب من الدواء المرّ امام العليل شربهُ المريض حالاً ومن مألوف العادة ان الذي يبيع الترياق يذوقهُ اولاً والاَّ فلا يشتريه شارٍ هكذا من يعلم طريق الكمال ينبغي ان يكون سائرًا فيه

ان القديس بولس الرسول يخاطب كل كاهن بما خاطب بهِ تلميذه تيطس قائلاً . اجعل نفسك مثال الاعمال الصالحة في كل شيء . . حتى يُخزَى المضاد حيث لا يكون لهُ ان يقول في حقنا سوءًا (تيطس ص ٢) قال القديس اغوسطينوس اذا كان المترأس عليك صالحاً فيكون لك مفيداً وان كان طالحاً فيكون لنفسك مميتاً ان الشعب

الاورشليمي كان عايشًا بالقداسة مدة تلك المائة السنة التي قضوها مواظبين على حفظ نواميس الله وذلك بسبب تقوى اونيا الكاهن لما كان عليهِ من الورع والبغض للشر (مكابيين ص ٣) وعلى الكاهن ان يكون مثالاً صالحًا اولاً في حركاته وادابه فبهذا كان السيد المسيح رزينًا رصينًا حتى اخبر عنه النبي اشعيا قائلاً قصبة مرضوضة لا يكسر وكتانًا مدخنًا لا يطفيء (ص ٤٢ عد ٣) ولا يسمح الرب ان يوجد في كهنتهِ من كانت حركاته نظير حركات بوليانوس العاصي يسلك بفم معوج ويغمز بعينيهِ ويرفس برجليه ويتكلم باصبعه ولم يوجد فيه حركة جيدة لانه لا يوجد شيء يعيب الكاهن ويخل بكماله ويزدريه في عيون الناس مثل خفة راسه وطياشة حركاته لان الماء اذا كان مضطربًا لا تطبع فيه اشباح الاشخاص فعلى الكاهن ان يكون هاديًا مستحضرًا يسوع إمامهُ ليكون الهدو عظيماً · ثانيًا يجب ان يكون نموذج الصلاح بكلامهِ · قال الرسول لا يخرجنَّ من افواهكم كلمة فاسدة بل ما يصلح منها ويفيد البنيان ليزيد السامعين نعمة (افسس ص ٤ عد ٢٩) فقد ترتب عليه من هذا النص ان يكون كلامه كله امام الناس في الله وفي حفظ وصاياه قال القديس فرنسيس سالس كما ان النحلة لا تمص بفمها الاَّ العسل هكذا فليصر فم الكاهن عسليًا بذكر الله على الدوام كما قال المرتل ان فم الصديق يهذ بالحكمة ولسانه ينطق بالعدل (مزمور ٣٦ عد ٣٠) وقال المثل كمالك تحت كلامك · ثالثًا يقتضي ان يكون مثالاً بملبوسهِ قال القديس لويس ملك فرنسا الذي كان

يلبس المسح تحت الارجوان البس على حسب رتبتك لئلا يستطيع
احد من اهل الصلاح والحكمة ان يقول انك تلبس ما لا يليق بك
فيقتضي ان تكون ثياب الكاهن معتمة اللون طويلة نظيفة متوسطة
الحال بين الرفيع والخشن وكلما ذادت خشناً ذادت في اعين الناظرين
حسناً لان الترفه بلبن الاثواب يضر بشعب الله ويهين وجوه المساكين
فدود القز ثوبه من حرير لكنه يختنق فيه والتدثر بالثياب الذرية الوسخة
يحط بهابة درجتهِ . رابعاً يلزمهُ ان يكون مثال القناعة فلا يكن شرهاً
محباً بطنهُ كثيراً لان هذا يختص بالبهائم والحال ان الكاهن هو ملاك
ارضي وانسان سماوي بمنزلة يوحنا الصابغ الذي شبههُ النبي بالملاك
والمسيحُ بايليا والله اعطاه وظيفتهُ وتخليص الانفس هذا الذي كان
لباسهُ وبر الجمال ومنطقه على حقويه وطعامهُ الجراد وعسل البر فما كان
يشرب خمراً ولا مسكراً . فاذا كان الكاهن لا يستطيع ان يغلب
الحنجرة فكيف يقوى على ان يغلب بناتها . قال بعض الحكماء راس
المعائب الشراهة دع الحنجرة تخضع للعقل وكل طعام العقلاء ولا تخضع
العقل للحنجرة وتاكل طعام الجهلاء قال القديس اسحق السرياني ان
تدبرت الحواس من العقل اكلت معهُ طعام الملائكة وان تدبر العقل
من الحواس اكل معها طعام البهائم . فماذا يقال عن ذاك الذي يحشو
جوفه بلا تمييز كانه خروف معلوف معد للذبح ويرادف اقداح الخمر
والمسكر بلا عدد حتى يضطرب عقله وترتخي عضلات لسانه وتتشوه
سحنته حتى يعود مكروهاً في عيون الادباء والعقلاء واضحوكة امام

السفهاء والجهلاء ويستحي عنهُ اكبر محبيه واصدقائهِ فليحترس الكاهن اذًا من محبة البطن ومحبة الفضة فان محبة البطن رذلت عيسو ومحبة الفضة رذلت يوضاس اخبرنا الكتاب المقدس أن امصيا ملك يهودا حارب ساعير من الادوميين فكسرهم واخذ صنمهم فعبده (الايام الثاني ص ٢٥ عد ١٤) هكذا يوجد بعض الكهنة يعظ الناس ليرزلوا محبة الفضة فاذا انتصر عليهم وردهم عن الطمع والخطف والغش ياخذ صنمهم فيعبده لان محبة الفضة عبادة الاصنام كما قال الرسول (افسس ص ٥)

ومن الواضح ان المرؤوس يقتفي آثار الرئيس ولو كانت غير صالحة فاهل شخيم تركوا معتقدهم واختتنوا لما نظروا رئيسهم قد اختتن ولم يبالوا بما ادركهم من الضرر وشاول الملك لمَّا قتل نفسهُ فحامل سلاحه قتل نفسه ايضًا . فان سقط حجر صغير من جبل فانه يبقى بالقرب من مكانه وانما لو سقطت صخرة كبيرة لجرت وراها كثيرًا من الحجار والاشجار . فالبناء لا يتأذى من سقوط حجر صغير منهُ ولكن لو سقطت زاوية كبيرة فيتهدم كلهُ بسقوطها . فالكاهن هو زاوية الكمال فان ثبت بفضائله وكماله ثبت البناء الروحي كلهُ . ان يشوع وكالب لم يقتصرا على التخبير عن ارض الميعاد بالقول فقط بل اثبتا جودتها بالعمل اذ حملا عنقودًا كبيرًا مصداقًا لقولهما فيلزم الكاهن المختص بان يرغب الناس في ارض الميعاد السماوية ان يثبت اقواله باظهار عناقيد كماله . بسلوك الكهنة امام شعب اسرائيل وقفت مياه الاردن

وسقطت اسوار ايريحا ودخلوا ارض الميعاد التي تدر لبنًا وعسلاً فلا تقف مياه العدل الالهي عن الشعب ولا تسقط اسوار الخطايا السبعة ولا يمكن الدخول الى ارض الميعاد السماوية ما لم يسلك الكاهن امام الجميع بحسن السيرة وهتاف بوق التعليم والانذار

قال كبريانوس اذا كانت الناس تفرح وتفتخر اذا تشبه بنوهم بهم وتخلقوا باخلاقهم فبالاولى ان يفرح الله ببنيه الروحيين الذين يتشبهون بهِ ولذلك هتف لاون قائلاً اعتبر مقامك ايها الكاهن واذ صرت شريك الطبع الالهي فلا تعد الى ما كنت عليهِ من الدناءة بل تذكر لاي رأس وجسد قد صرت عضوًا وتشبه بالله متخلقًا باخلاقهِ الالهية على قدر ما يمكن الخليقة ان تقتدي بخالقها ولاسيما بمحبتهِ ودعته وصبره وبره وسخائهِ عملاً بقوله كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل فكمال الله موكول اولاً على المحبة المشاعة الفايضة على الاخيار والاشرار معًا والى هذه اشار المسيح خاصةً . ثانيًا على الدعة والصبر وسلامة الضمير وسكونه حيث انه لا يتحرك من اهانة او غضب او انتقام ولا يتهجس و يقلق هكذا ان احببنا الكمال في انفسنا يجب علينا ان نكون وديعين هادين لا نقلق ونضطرب على قدر الامكان . ثالثًا على انه تعالى يحتقر من العلو جميع الارضيات بما انها دنية حقيرة وهو يسود السماويات باسرها بالمجد كذلك الانسان المرتاح الى الكمال يلزمهُ ان يحتقر الغنى واللذات والكرامات الارضية بما انها تولد كثرة الفتن والحروب والخصومات ويحسبها كالزبل

ليربح المسيح ويحب الامور السماوية بما انها تختص بالله والملايكة والقديسين امنحنا اللهمّ ان نجد في طريق الكمال الذي تطلبهُ منا فاعطِ ما تطلب واطلب ما تريد فها نحن نقدم ارادتنا واشواقنا لتكون بحسب ايثارك هذا ما نرجوه بشفاعة مريم امك والقديسين اجمعين امين

في غيرة الكاهن

على خلاص النفوس

قال داود النبي. غيرة بيتك اكلتني وتعييرات مُعيّرك وقعت عليّ (مزمور ٦٨ عد ١٠)

ان الغيرة اشبه شيء بالنار التي تاكل ما يغذوها وتحيله الى ذاتها هكذا يجب ان تكون غيرة الكاهن اي تحيله الى جوهرها لتكون كل اشواقه ومذاكراته واعماله مضطرمة بهذه الغيرة وتبيد منهُ كل العواطف والاشواق الارضية التي تعوقهُ عن تكميل واجبات وظيفته واذ كان الكاهن هو المترتب عليهِ بالخصوص قيام مجد الله وخلاص القريب

ونجاته من الهلاك وهذا لا يتم بدون الغيرة الحقيقية لزمهُ ان يكون متصفًا بها لانه بدون الغيرة لا يسهر على الخراف المستودعة بين يديه الملتزم ان يؤدي حسابًا عن كل نفس منها . ولا يتحمل المشقات والاتعاب في اعانة الفقراء وعيادة المرضى وتعزية الحزانى وتعليم الجهال ورفع الخصومات واصلاح ما فسد من العوائد وما اشبه من الاعباء الثقيلة التي عقلها على عاتقه من يوم ارتقى الى درجة الكهنوت فالغيرة وحدها هي الكفيلة بقيام مجد الله و برفع كل ما يخرق شرفه الالهي ويمتهن حقوقهُ تعالى وهي الضمينة برد الخطاة من الضلالة الى الهدى وبصد جميع الشرور الموجودة في العالم وهي القديرة على سد فم الهاوية الجهنمية وعلى فتح باب الفردوس ولذلك قد توجب ان نتكلم عنها بخطابنا هذا موضحين الاسباب التي توجب الغيره بكل راعٍ والجزاء المعد لهُ . . .

ان الاسباب التي تحمل الكاهن ليكون غيورًا في وظيفته ومجدًّا في تخليص النفوس هي اولاً اعتبار قيمة النفس الثمينة لان العالم بجملتهِ لا يوازي عند الله اعتبار نفس واحدة كما قال القديس برنردوس وعليه من يرجع الى الله نفسًا تائهة يرضيه تعالى اكثر مما لو وزع كل مقتناه صدقة وهذا اوضحه لنا السيد المسيح بمثل الخروف الضال المرموز بهِ عن النفس الخاطية فاحتمال الراعي ذلك التعب الشديد والعنا المزيد برده وتخليصه دليل واضح على وفور قيمته و بهذا المعنى قال يعقوب الرسول ايها الاخوة ان ضل احدكم عن الحق فرده احدٌ فليعلم ان الذي ردَّ خاطيًا عن

ضلال طريقهِ قد خلص نفساً من الموت وستر جمًّا من الخطايا (ص ٥) السبب الثاني هو التزامه ان يقوم بالكفالة التي تعهد بها للسيد المسيح يوم ارتقائهِ الى درجة الكهنوت ومن المحقق ان من ضمن شيئًا لغيره يصير ملتزمًا بهِ من قبل ضمانته فاذا ظهر نقص في هذه الضمانة يغرمه والحال ان الذي صنعتموه انتم ايها الآباء حينما تقلدتم تدبير النفوس هو ضمانتها للسيد المسيح وصرتم مديونين لهُ بذلك ومن هذا القبيل يلزمكم الغيرة الحارة على صيانة الذين كفلتموهم وانقاذهم من اشراك المآثم · فانتبهوا اذًا الى ما يوصيكم بهِ الروح القدس قائلاً لكل منكم بفم الحكيم يا بني ان كفلت صديقك فقد اسلمت يدك الى غريب واشتبكت باقوال فمك (امثال ص ٦) فالاباء القديسون خصصوا هذه الاية بالموكلين على الانفس وقالوا ان هولاء هم الذين اسلموا يدهم ولسانهم الى غريب اي الى السيد المسيح فاسلموا يدهم بالزام نفوسهم ان يفيدوا المكفولين بالمَثَل الصالح والسلوك الحسن امامهم واسلموا لسانهم ليفيدوهم بالوعظ والتعليم والغيرة ولكن كيف يصح القول انهم اسلموا يدهم ولسانهم الى غريب العل السيد المسيح هو غريب · فالجواب يتضح من هذا المثل وهو اذا اتفق وكفلت احد المديونين بمبلغ جزيل من المال فالداين عند استماعه كفالتك يفرح مسرورًا ويقابلك بوجه باش بمزيد الاعتبار كاعظم الاصدقاء · ولكن اذا حان زمن الوفاء تتبدل الاحوال فان ذلك الدائن يرسل رسلاً يفتشون عليك باحتراس ويطالبك بما كفلتهُ بالحاح وصرامة ولا يقبل وسيطًا وشفيعًا بينك وبينهُ ويغتاظ

من الابطاء في الوفاء كانك غريب ويدعوك الى المحكمة ويودعك
السجن ويضبط موجوداتك حتى تفي اخر فلس ضمنته فعلى هذا النسق
يتم الامر بين الكاهن والسيد المسيح فان جل ذكره يعامله كالصديق
حين يضمن الانفس بتوليه رعايتها وتدبيرها ولكن حينما يدنو الوقت
للمطالبة بالضمان فيعامله كالغريب كأنه تعالى لا يعرفه اصلا هكذا
فسر المعلمون الاية الموردة انفا ولا سيما القديس توما العلامة الذي
قال ان المسيح يسمى هنا غريباً لانه صديق وقت الضمان وغريب
وقت طلب الحساب ٠٠ السبب الثالث المحرض على الغيرة هو المحبة
كقول اغوسطينوس ان الغيرة تتولد من من المحبة فكما ان المحبة
تلزمنا ان نحب الى والقريب هكذا الغيرة توجب علينا بان نهتم بمجد
الله تعالى ونمنع عدم الوقار له ونعتني بخير القريب ونمنع ضرره ٠
فمن كان في قلبه محبة الله فالمحبة تلزمه ان يغار على مجده ورفعة شانه
ويعتد ما يجرى في حقه تعالى من الاهانة والاحتقار انه جارٍ في حقه
هو نفسه ولهذا قال داود النبي تعييرات معيريك وقعت عليَّ فهذا
الشهم الغيور لما سمع جليات الجبار يعير الله وشعبه المختار قد حملته
الغيرة الحارة على اقتحام المخاطر لمصارعة ذاك المعير ولم يرده عن عزمهِ
لا صغر سنه ولا صولة خصمهِ ولا تعنيف اخوته له ٠ وغيرة فنحاس على
مجده تعالى وحفظ وصاياه حملته على ذلك الفعل الغريب الذي لم
يسبق له نظير في الاعصار الخالية ومثله غيرة ايليا القائل غرت غيرة
للرب اله الجنود جراته علي توبيخ الملوك حتى لم يهب سطوتهم وبأسهم

فمثل هذه الغيرة القوية نتيجة المحبة الخالصة التي لا يصدها خوف ولا يمنعها مانع عن اظهار قوتها بالفعل قال يوحنا فم الذهب ما من احد يظهر امينًا ومحبًا للمسيح اكثر ممن يعتني بالاخوة وهذا هو البرهان الوطيد للمحبة فالسيد المسيح بعد ان سال القديس بطرس ثلاث مرات ياسمعان ابن يونا اتحبني واطمأْن على محبته فلم يوصهِ بشيءٍ علامة للحب الاَّ الاعتناء بخلاص القريب بقوله لهُ ارعَ خرافي ولم يقل لهُ ان كنت تحبني اترك المال لازم الصوم ارقد على الحضيض انهك جسدك بالشغل والتعب بل قال لهُ ارعَ خرافي اي خرافي لا خرافك واطلب بها مجدي لا مجدك وربحي لا ربحك ولم يقل لهُ جزها واكتسِ بصوفها او احلبها واغتذِ بلبانها او بِعِ منها واخزن ثمنها بل ارعها واحفظها من هجمات اللصوص وطروق الذئاب · انشد الضالة عالج المريضة اجبر المكسورة قوِ الضعيفة وابعد الجرباء عن الصحيحة لئلا تسري اليها العدوى فتبتلى بالجرب وكن كالراعي الصالح الذي يبذل نفسه دون الخراف لا كالاجيْر الذي يهرب متى رأى الذئب مقبلاً · السبب الرابع هو جزاء الكاهن الغيور لان غيرته لا تكون نافعة للقريب فقط بل تفيدهُ هو نفسهُ ايضًا لانهُ كما ان الملك يغذي مرضعة ابنه باطعمة لذيذة وان لم تكن بذاتها مستحقة ذلك هكذا الملك السماوي فمن عادته ان يكثر الطعام الروحي والانوار والتسليات الباطنة لخدمة النفوس الذين يغذون ابناهم الروحيين ولهذا قال الرسول اننا نتعزى من الله من تعزيتنا لكم ونوعظ من اجل وعظنا اياكم (قرنتية ثانية ص ١) ولان الله سخي نحو

الاسخياء فلا محالة انهُ يكثر عطاياه للذين يسعفون النفوس ويعاملونها بسخاء وهذا فحوى قوله تعالى النفس التي تبارك تسمن والذي يروي يُروَى (امثال ص ١١ عد ٢٥) قال القديس غريغوريوس ان الله يملأً من بركاتهِ اوليك الذين يصنعون خيرًا مع القريب ويسمن انفسهم بعبادة وافرة والذي يروي الغير من خمر المحبة سيرويه تعالى في مخازن خمرهِ اللذيذ ويتم فيه وعده الالهي طوبى للرحماء فانهم يرحمون . فان كان الله يعطي ماية ضعف لمن يمارسون افعال الرحمة الجسدية ويهتم في في حاجاتهم كما يهتمون في حاجات القريب فبالاولى يمنح الذين يمارسون افعال الرحمة الروحية التي تفوق تلك شرفًا بمقدار ما تفوق النفس الجسد قال القديس غريغوريوس ان الاعتناء في شفاء ضعف الغير هو واسطة لشفآ ضعفنا الذاتي وكثيرًا ما يتفق ان المعتني في نفسه فقط لا يقدران ينتصر على الامهِ واما اذا اعتنى بالقريب فيظفر بها سريعًا لانه تعالى يعامل بالرحمة من يرحم القريب

ومن الموكد ان الله ينعم على الغيورين بنعم جزيلة في الدنيا والاخرى مكافاةً لما احتملوه من التعب في وظيفتهم وتقوية لشجاعتهم في خدمة النفوس ولنا اكبر شاهد ما ذكر عن ايليا النبي الغيور الذي قال عنه الروح القدس قام ايليا كالنار وتوقد قوله كالمشعل (ابن سيراخ ص ٤٨) فشرف الله غيرته وجازاها بخمس حسنات اولاً منح صلاته قوة عجيبة فايقة العقل وقد لاحظ هذا الامر يعقوب الرسول بقولهِ ان ايليا كان بشرًا امثلنا وصلى صلاةً كي لا ينزل مطر على

الارض فلم تمطر ثلاث سنين وستة اشهر ثم عاد وصلى فامطرت السماء
واخرجت الارض ثمرها (يعقوب ص ٥ عد ١٧) حتى كأن النبي المذكور
صار رب السماء والامطار لكونه قال حي هو الرب الذي انا واقف
بين يديه انه في هذه السنين لا يكن مطر ولا ندى الا بامري وبحسب
قول فمي (ملوك ٣ ص ١٧) وقد تعهد يوماً اخر مع كهنة باعال على
ان كلاً من الفريقين يصلي لالهه ومن استجيبت صلاته ونزلت نار من
السماء على ذبيحته فيكون الهه هو الاله الحقيقي فاستجاب الرب صلاة
النبي ولما طلب من الله ان يقيم من طفلاً استجابه الرب ايضاً ثانياً ارسل
له ملاكاً من السماء فاهداه الى جبل حوريب وهناك ظهر له الرب
وسأله عن سبب مجيه فاجابه النبي ان السبب كان غيرته لله رب
الجيوش وحينئذٍ كشف له الله اسراراً عظيمة لتدبير شعبه وذلك فعله
تعالى تعليماً لاهل الغيرة بانهم في مباشرة وظيفتهم لا يعدمون الاختلاء
الروحي وعذوبة التامل النظري بل انه تعالى يهديهم الى قمة جبل
الكمال حيث يقبلون الهام الروح القدس ويناجون الله بدالة مقدسة
ويتعلمون منه ما ينبغي ان يفعلوه في وظايفهم ثالثاً من اجل غيرته اختاره
الله لاعمال كبيرة لم يعملها غيره من قبل وموسى لم يصنع ذلك
وقاوم اخاب الملك واباد كهنة الوثنيين واقام ملوكاً جدداً ومسحهم
ثم أخذ الى الفردوس في مركبة من نار حيث يثبت الى ان ياتي
في اخر الزمان ليحارب الدجال بغيرته المتقدة رابعاً قد اعتنى الله في
مخاطر هذا النبي وفي احتياجاته اعتناء خصوصياً لانه حين كانت المجاعة

على الارض كلها كان غراب ياتيه كل يوم مرتين ويقدم لهُ لحماً وبعد ذلك عالته امراة باعجوبة اخرى لان الله كثر زيتها ودقيقها حتى اقتات منهما النبي مع تلك الارملة وابنها مدة دوام الجوع على الارض . وفي محل اخر اتاه ملاك من السماء بخبز وماء دفعتين وبقوة هذا الغذا سار اربعين يوماً واربعين ليلة وقد نجاه الله من اضطهادات اخاب الملك وايزبال الشريرة لان الذي يغار على مجد الله ويطلب انتشار ملكه وعدله يستحق ان يعطى كل ما يحتاجه لقيام حياته ومباشرة وظيفتهِ ولان الرجل الغيور يحزن عند موته اذا راى الشعب من غير مدبرين بامر خلاصهم فقد احسن الله الى النبي احساناً خامساً وهو انهُ تعالى اقام نبياً خلفاً لهُ وهو اليشاع الذي اقامهُ موضعه ووهبهُ رداءه وروحهُ المضاعف ولهذا يقول ابن سيراخ عن ايليا طوبى لمن عاينك وتشرف بمصاحبتك . فرعياً لتلك الرعية الحاصلة على راعٍ محبٍ غيور نظير ايليا وسقياً لمثل هذا الراعي النشيط فانهُ يجزى خيراً على اتعابهِ . فنفسه مسرورة واعماله مشكورة . صلاته مجابة وكلمته مسموعة مهابة كنيستهُ نظيفة آنيتها وكتبها مرتبة وعلايم الخشوع بادية فيها وابناء رعيته مكبون على الاعمال المرضية يداومون التردد في الكنيسة ومنظرهم هناك منظر ملائكة يقتبلون الاسرار بورع وتقوى فتشاهدهم بعد تناول القربان المقدس شاكرين نعم الباري وبالجملة هم مسيحيون حقيقيون ..

ولكن الويل لرعية قد خلا راعيها من المحبة والغيرة لانك اذا حدقت بناظريك الى كنيستها فتطلع منها على حالة الشعب ها انك

تجدها بحالة دون حالة الاصطبل ✠ وذلك من قبل توانى خوريها فجدرانها مغطاة بالغبار . والعنكبوت مخيم فيها . وارضها وسخة كأن فيها مشحرة الفحم ومعصرة الزيت اغطية المذبح والسفنجات والصمدات دون ممسحة الفرن واذا حضر بعض من رعيتهِ في هذه الكنيسة فتراهم كانهم في ساحة اللهو والطرب فمنهم من يتلفت من جهة الى جهة بدون احترام ومنهم من يكلم غيره ومنهم من يقرفس متأبطاً ساقيه بكفيه لايحني رأسه ولا يكشف عنه اقله عند تلاوة الانجيل والكلام الجوهري والرفعة والمناولة وعند دورة الكاس قبل اعطاء البركة تراهم يتسابقون على الباب كأن الكنيسة مايلة للهبوط على روسهم وهو اشبه شيء بالنحل الذي يوجد في كوارته خنزيرة اي دود يقرضه ويفسده فتراه يتماهل في الدخول ويسارع في الخروج من الكوارة واذا تاملت حالة رعية كاهن خالٍ من الغيرة فتراها برية مقفرة . الجهل والرذيلة مستحوذان عليها والصبيان ذوو العشر سنين واكثر لا يعرفون شيئاً من عقائد الدين الاَّ مسبة الدين ومنهم من بلغ سن السادسة عشرة او السابعة عشرة ولم يتناول القربان المقدس وعدد غفير من الكبار لم يتمموا واجبات الفصح وترى العداوات والانشقاقات فيما بينهم قد تقادم عهدها وترى اسباب الشكوك والمعثرة ظاهرة للعيان فيالتعاسة مثل هذا الكاهن المتواني الخالي من الغيرة . قيل عن الصياد انه اذا اراد ان يصطاد طيوراً كثيرة فانه يضع على المنصب (يراد به مكان عالٍ) طايراً اعمى واطرش فتقع عليهِ الطيور فتصاد

بالاشراك فاذا وجد في الكنيسة راعٍ اعمى لا ينظر ما يحدث من الشرور في رعيتهِ وكانه اخرس اطرش لا يسمع ولا يفتح فاهُ فماذا يكون في الرعية واحسرتاهُ عليها وعلى راعيها · قال القديس فيلبوس نيري اعطني عشرة كهنة غيورين مضطرمين بالروح وانا اعطيك العالم كلهُ مرتدًا وشاهده القديس فرنسيس كسافاريوس فانهُ وحده رد الى الايمان عشرة ملايين من الغير المومنين وقال القديس ليكوري ان الكاهن الغيور الذي يحب الله كثيرًا وان يكن ذا علم متوسط فانه يرد الى الله نفوسًا اكثر جدًا من ماية كاهن كثيري العلم قليلي التقوى. فالكاهن الغيور يصرف معظم اوقاته بنصح الخطاة واصلاحهم ولا يزال مكبًا على الوعظ والانذار بكلمة الله لعلمهِ الاكيد ان بواسطة الوعظ قد ارتد العالم الى الايمان بيسوع المسيح لان الايمان من السماع كما قال الرسول والسماع من كلمة الله (رومية ص ١٠) و بواسطة الوعظ يحفظ الايمان ومخافة الله في المومنين و بواسطتهِ تقطع الشكوك وتستاصل العوائد الردية وتحسم العدوات القديمة ويرد المال · المسلوب لاصحابه · ولهذا كانت القديسة كاترينا السيانية تقبل الارض التي تطاوها ارجل الكهنة الغيورين الذين يصرفون زمانهم مهتمين بخلاص النفوس وكانت تشتهي ان توضع في فم جهنم كي لا يدخل من هناك ولا نفس واحدة فماذا نقول نحن الكهنة وماذا نصنع أنلبث صامتين ونفوس تهلك امام عيوننا كلاَّ فلنجد غاية ما نستطيع ولنبذل ما في وسعنا في تخليص النفوس المشتراة بدم ابن الله المستودعة بين ايدينا التي

نلتزم ان نودي لله حسابًا عنها يوم القضاء الرهيب فنسأله تعالى أن يضرم قلوبنا بنار الغيرة المقدسة لنقتفي اثار الرعاة الغيورين راجين حسن الثواب فرحين بالنفوس التي يخلصها الرب بواسطة غيرتنا وسهرنا هذا ما نرجوه بمنه وكرمه امين

في الزامات خوري

الرعية

قال القديس بطرس الرسول أسأل الكهنة انا الكاهنَ معهم أن ارعوا رعية الله التي فيكم متعاهدين لها لا عن اضطرار بل عن اختيار (بطرس اولى ص ٥)

ان جل ما قصده السيد المسيح الراعي الحقيقي في وجوده على هذه الارض هو الاهتمام بخلاص الخراف الناطقة اذ كان يتردد فيما بين الخطاة ملازمًا التعليم والانذار يشفي المرضى ويطهر البرص ويقيم الموتى ويقبل الخطاة الراجعين اليهِ بفرح وطالما قد تجشم الاتعاب والسهر والصلاة ففي النهار كان يعلم الشعب وفي الليل ينفرد للصلوة الحارة وهذا غاية قصده الان ودايمًا · ولكن لما كان لا بد من صعوده الى

السماء اقام رعاة لخرافه ينوبون منابهُ ويقومون مقامهُ في هذه الاعمال الخطيرة وقال لهم كما ارسلني ابي هكذا انا ارسلكم (يوحنا ص ٢٠ عد ٢١) ورتب عليهم ما كان قد رتبه على نفسه والقى على عاتقهم الاعبآ الثقيلة التي طالما حملها على منكبيه في مدة بقائه على الارض والزمهم بما كان الزم بهِ نفسه من قبل محبتهِ ووعدهم بان يكون معهم بعنايتهِ كقوله انا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر (متى ص ٢٨) وان يكونوا معه في السعادة الى الابد وفقًا لقوله تعالى حيث اكون انا يكون هناك خادمي مكررًا وعده لهم بقوله ايضًا اني آتي واخذكم اليَّ لتكونوا انتم حيث اكون انا (يوحنا ص ١٤ عد ٣) ولكن بشرط ان يتمموا ما توجبه عليهم وظيفتهم ويلزمهم بهِ الناموس الزامًا لا يعفون منهُ ما داموا رعاةً وهذا الالزام حصره علماء اللاهوت بما ياتي وهو ان خوري الرعية يلتزم اولاً بالاقامة في خورنيتهِ كرسم المجمع التريدنتيني ثانيًا بتوزيع الاسرار ثالثًا بوعظ الشعب اما بذاتهِ اما بواسطة اخرين ممن بهم الكفاءة رابعًا بالصلوة الحارة عن خرافهِ . خامسًا بشرح التعليم المسيحي وايضاح عقائد الديانة ايام الاحاد والاعياد الاحتفالية . سادسًا بافتقاد المرضى والاهتمام بالفقراء . سابعًا بان يصلح الخراف الحاصلة في الخطا المميت او في خطره القريب ما دام رجاء للاصطلاح . ثامنًا بان يرفع الشكوك والعثرات مع ايّ عناء كان فتنبيهًا للافكار ناخذ بايضاح كل من هذه الالزامات غير اننا الان نقتصر على ايضاح الالزام الاول والثاني مبرهنين ذلك ببرهانات الهية وطبيعية وقبل الشروع ...

ان الفاعل الانجيلي الذي استحق دينار المجد الابدي كان قد اقام في الكرم مشتغلاً ولم يكن خارجاً عنهُ متنزهاً فالكاهن هو ذاك الفاعل الانجيلي والرعية هي الكرم الذي دعاه الله ليقيم فيه مشتغلاً بحراستهِ وحراثتهِ ومن هنا يتضح وجوب اقامته في خورنيتهِ عاملاً ما يجب عمله · فانا لا انداخل هنا فيما اذا كان يجوز له مبارحتها احياناً واي متى يكون ذلك بل اقول فقط ما يقوله المجمع التريدنتيني المقدس ان وصية المكث في الخورنية هي الهية · فرئيس السفينة يلزمه ان لا يبارح سفينتهُ ملاحظاً سيرها وحركاتها ويحيدها عن المخاطر فتارة يقتضي ان يراقب الافلاك التي منها يستدل على الطرق الامينة وحيناً ينبغي لهُ ان ينظر الى العمق ليقيها الصخور او اللصوص التي تصادفها وبالجملة لا يستطيع ان يغادرها لا ليلاً ولا نهاراً لا في صحو ولا في شتاء الى ان تبلغ الميناء والاَّ فيغرم بكل ما يفقد منها اذا تهاون بها فغرقت فالكاهن هو ريس سفينة الكنيسة السائرة في بحر هذا العالم الهائج فيما بين تيارات التجارب والمخاطر الهائلة المحدقة بها من كل جانب فيلزمه ان لا يبارحها ملاحظاً اعمال ابناء رعيتهِ الروحية ليحيدها عن صخرة الشكوك ويقيها اللصوص الجهنمية واحياناً يلزمه ان يرفع نظر عقله الى العلا بالصلاة والطلب لاجلهم ويقتضي ان لا يغفل عن ايقاد نار المحبة لئلا تقف سفينة المسيح عن المسير في طريق الكمال ويتوجب عليه مداومة مثل هذه الاعمال ليلاً ونهاراً الى ان يبلغ ميناء الراحة والامان · وليقتدِ بنوح البار ذاك الذي دخل السفينة بامر الله واقام فيها غير

مبارح لها ولم يخرج منها الاَّ بعد امر الله وحينئذٍ يترجى النجاة مع رعيتهِ من طوفان الشرور والاثام . فرب البيت لا يسوغ لهُ مبارحة بيته وعياله بل يلزمهُ المكث معهم ليتسنَّى لهُ النظر في حاجاتهم وادارة اعمالهم وليتمكن من اصلاح من ذل منهم و يحسن ادابهم . فالكاهن هو اب الانفس المخلوقة على صورة الله ومثالهِ والمفتداة بدم المخلص الالهي الثمين المستودعة بين يديهِ فلذلك يلزمه أن يربيها بخوف الله المقدس ويرشدها بحب ورفق و يسوسها بحكمة وفطنة ويجعلها ان تسير سيرة حسنة بنشاط و يأدبها بشفقة مقترنة بقساوة عادلة و يأيدها على ممارسة الفضائل المسيحية بالمثل الصالح و يظهر لها ذاته خاصةً بانه اب ذو محبة قلبية وانه مهتم بكليته في خير اولاده وهذا كلهُ لا يتمكن من اتمامه ما لم يكن مقيماً فيما بينهم . الكاهن هو قائد جنود السيد المسيح وما من منكرٍ ما على القائد من شديد الالتزام بالاقامة مع جنوده ولا سيَّما حينما يكونوا في معمعة القتال وجيوش الاعداء الاقوياء محيطة بهم كي يشجعهم ويدربهم مهتمًّا بما يلزمهم من الذخائر ليفوذوا بالنصرة والاَّ فيسقطون في قبضة اعدائهم حسب قول الحكيم حيث لا يكون مدبر هناك يسقط الشعب (امثال ص ١١ عد ١٤) وهو رقيب وحارس اقامهُ الله ليحرس كنيستهُ ويخبر شعبه بالخطر و يهتف حينما يرى الاعداء مقبلين كما قال لهُ الرب بلسان حزقيال يا ابن البشر اني جعلتك رقيباً لآل اسرائيل (ص ٣ عد ١٧) فان كان يحكم بالعذاب على الحارس الذي ينام فماذ يفعل بهِ اذا باين الموضع المعين

لهُ ومضي الى حيثما لا يقدر ان يرى ما يحدث ولا ان يدفع الضرر الذي يقع بغيابه وهو راعي خراف المسيح · فكيف يستطيع ان يرعاها ويحرسها من الذئاب ان لم يكن حاضرًا · قال سليمان الحكيم اعرف نفوس رعيتك وراقب قطعانك (امثال ص ٢٧ عد ٢٣) فيستحيل عليه ان يعرف نفوس رعيته ويراقبهم حق المراقبة ما لم يكن مقيماً فيما بينهم · فالراعي الذي لا يستقر في رعيته او كان موجودا فيها ولكن وجودهُ وعدمهُ هما سيَّان يشبهه المجمع التريدنتيني بالاجير الذي يهرب ويدع الخراف متى راى الذئب مقبلاً لانه متى ترك رعيته خوفًا من التعب او هربًا من مرض ياتي الذئب الجهنمي ليخطف الرعية ويتم فيها قول الرب بلسان حزقيال النبي تبددت خرافي لانهُ ليس راعٍ (ص ٣٤ عد ٥) ولا يعتذرنَّ الكاهن بقوله انني قد اقمت لرعيتي نائبًا ينوب منابي لانهُ ان غاب الاصيل ليس بعجب ان يغيب الوكيل خوفًا من التعب او الضجر قائلاً ان سيدي يتأخر مجيئهُ

قد حرر في الكتاب المقدس خبر غريب جدًا يوضح ما نحن فيه وهو ان موسى النبي اذ فارق شعبه مدة شهر ونصف لا غير وفارقه بامر الرب وكانت مفارقته لاجل نفع الشعب واقام مكانهُ نائبين وهما اخوه هارون وحور ومع ذلك عبدوا العجل بغيابهِ فان كان مثل هذه الغيبة المقدسة سببت ما سببت من الضرر العظيم فماذا يكون من غيبة الراعي عن رعيته لا بامر الله بل بارادتهِ هو لا بقصد ان

يصلي في الجبل مثل موسى بل بقصد التنزه لا من اجل نفع الشعب بل من اجل ربح خاص به فكيف يركن الى نائبهِ بعد ان رأى هارون نائب موسى قدم العجل للشعب ليسجدوا لهُ · فقد سجل احد الانبياء قضية الهلاك على الكاهن الذي يغادر رعيته بدون داعٍ كبير لاجل الضرر الملتحق بها بسبب غيابه وذلك بمثلٍ ضربهُ لاخاب ملك اسرائيل قائلاً اني خرجت الى الحرب واذا برجل اتاني وسلم اليَّ انساناً وقال لي احفظ هذا الرجل وان أفاتَ منك تكون نفسك بدلاً من نفسهِ وفيما عبدك مشتغلٌ هنا وهناك اذا بالرجل قد فقد · فقال لهُ ملك اسرائيل ذاك حكمك ما قضيتهُ انت (ملوك ٣ ص ٢٠ عد ٣٩) هكذا يصيب الراعي الذي يتغاضى عن رعيتهِ مشتغلاً هنا وهناك فانهُ يتعذب بالعذاب الذي توعده به تعالى حينما سلم اليه المؤمنين ليحفظهم وتوعده بالهلاك اذا هلك احدهم لاجل تغاضيهِ عنهم واشتغاله بما لا يتعلق بوظيفتهِ ذات الاهمية · فالتزامهُ بالاقامة فيما بينهم كما برهنا في القسم الاول من خطبتنا هذه يقارنه الالتزام بالاعمال التي تجدي نفوسهم نفعاً واخصها توزيع سرّ التوبة وهذا ما نتكلم عنه في القسم الثاني فنقول

ان الله عز اقتداره قد شاء ان يسعى وحده في تكوين الانسان اما في اصلاحهِ وتخليصه فقد احب ان يكون لهُ انصار ومساعدون واخص هولاء الانصار هم الكهنة الذين يوزعون سر التوبة لان غير المعرفين مثل مفسري الكتب المقدسة والواعظين والذين يقدمون

النصائح الخلاصية فانهم مثل حزقيال النبي اي انهم يجمعون العظام اليابسة المايتة المبددة على وجه الارض ويقربون كل واحد منها الى مفصله الا انهم لا يحيونها (ص ٣٧) اما الكهنة معلموا الاعتراف فهم وحدهم الذين ينفخون نسمة الحياة (تكوين ص ٢) على انه وان كان فيض النعمة المحيية يخص الله تعالى وحده الا ان معلمي الاعتراف يسعون معهُ في هذا العمل باكثر قرب وذلك حينما يتلون صورة الحل وبها يحطمون الابواب الجهنمية التي تمنع رب القوات عن الولوج في قلوب البشر حتى انه يجوز ان يقال لكلٍ منهم ما قيل للسيد المسيح ان شئت فانت قادر ان تطهرني والكاهن وحده يقدر ان يجيب مثلهُ تعالى قائلاً اني قد شئت فاطهر (متى ص ٨) فما اعجب واغرب سلطان الكاهن من جهة ما يتولاه من غفران الخطايا فان غير المؤمنين من اليهود كانوا يقولون من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحدهُ (لوقا ص ٥ عد ٢١) وها اننا نرى ان الانسان ايضاً يغفر الخطايا بسلطانه الخاص الذي قبله من الله لانه يقوم مقام المسيح بجلوسهِ في المحكمة واصدار الحكم غير ان خطر وظيفته يوازي عظيم رتبته نظراً الى نفسه ونفوس رعيتهِ ان زل في مباشرة هذه الوظيفة. ان عصا النبي التي كانت تحيي المايتين في يد اليشاع هي نفسها كانت في يد جحزي تثبت وتمكن الموتى في الموت (ملوك ٤ ص ٤) ومن ثم يسوغ لنا ان نقول عن الكاهن المعرف ما قاله الحكيم ان الموت والحيـاة في لسانهِ (امثال ص ١٨) فخلاص النفوس في حركة لسانه اذا احسن استعمال

سلطانه وفي حركة لسانه موت النفوس اذا ساء التصرف في واجباته ·
ولكي تحصل الفوايد المقصودة في سر التوبة ويمنع كل ما يحول دونها
يقتضي ان نلاحظ في المعرف اولاً كونهُ قاضياً ونبين ما تقضتيهِ هذه
الوظيفة من العلم ثم نلاحظ فيه كونه طبيباً قد اقيم من الكنيسة لمداواة
امراض النفوس موضحين ما يساعده لبلوغ هذا الغرض واخيراً يجب
ان نلاحظه من كونهِ ابًا ونبين ما يلزمهُ من الصبر والشفقة والمحبة

ان المعرف هو قاضٍ يسمع شكوى التائب على نفسه ويقضي لهُ
او عليهِ ومن كون هذا الحكم الذي يبرزه في محكمة سر التوبة سوف
يستأنف الى محكمة ديوان الله العادل فيلزم ان يكون صادراً عن
علم حقيقي في مبادي الفقه المسيحي وعن تروٍ وتدقيق قبل ابرازه لئلا
يحكم ببراءة من كان محجوباً قدام الله او بشجب من كان بريئاً امامه تعالى
فيعرض نفسه لخطر مبين اعني خطر خدمته السر على وجه مخل بصحته
مع الحاقه ضرراً كبيراً بالنفوس وبناء عليهِ قد اقترح الله على خدامهِ
استيفاء العلم كما يعلم من ايات كثيرة وردت في الكتاب منها ·· لان
شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيه يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب
الجنود (ملاخي ص ٢ عد ٧) ومنها من اجل انك رذلت العلم فارذلك
انا لئلا تكهن لي (هوشع ص ٤ عد ٦) ومنها ان قاد الاعمى اعمى سقطا
كلاهما في حفرة (متى ص ١٥ عد ١٤) ومنها الويل لكم ايها القادة
العميان (متى ص ٢٣ عد ١٦) فينتج انه يتوجب على المعرف ان يلازم
المطالعة في الكتب ولا سيّما كتب اللاهوت الادبي المخزون فيها كل

ما تلزمه معرفته فمنها يطلع على الخطايا المحفوظ حلها لمن هو اعلى منهُ اذ ما من احد يحل ما ليس تحت حكمه . ومنها يميز برصاً من برص ويعرف ما يلتزم بهِ المعترف من اصلاح الضرر من الصيت والمال وما هو السبب القريب ومتى يتوجب على التائب ان يتجنبه وما هي الزامات اصحاب المهن والحرف وما هو علاج كل داءٍ من امراض النفس . فبعض المعرفين يتهامل في درس اللاهوت الادبي زاعماً انه يكفيه معرفة المبادي العمومية وقد فاته ان الصعوبة قائمة في تطبيق الحوادث على المبادي التي توافقها فيستغرق اوقاته في مطالعة الجرايد وغيرها من الاخبار العالمية غير مفتكر بما يطوح بهِ نفسه من خطر الغلط في احكامهِ الروحية

وكونهُ طبيباً للانفس يقضي عليه بشفائها من عامة ادواء الخطية المختلفة الاصناف وان يستاصل منها الاميال و يردها الى حال النعمة وهذا يوجب عليه ان يعرف سبب المرض الروحي والعلاج الموافق وان يقي المريض من النكس لان الله يخاطبه بما خاطب بهِ ارميا النبي قائلاً لهُ انظر اني اقمتك اليوم لتقلع وتهدم وتبدد وتنقض وتبني وتغرس (ص ١ عد ١٠) اي لتقلع اشواك الخطايا وزوان الرذائل وتغرس موضعها في قلوب رعيتك انواع الفضائل وتهدم من قلب تلميذك برج الكبريا البابلي وتبني مكانه برج الكمال المسيحي وماثل ذاك السامري الجزيل الاهتمام الذي لم يكتفِ بتضميد جراح ذاك الذي وقع بين ايدي اللصوص وغسلها بالخمر والزيت بل نقله عن الطريق التي

كان اللصوص جرحوه فيها وركبهُ على دابته ووضعه في منزل امين واهتم فيه ولما انطلق اقام لهُ من يعني بامره وهذا جميعه كان رمزًا وتعليماً لمعلم الاعتراف بانه ليباشر وظيفته حسنًا لا يكفيه ان يشفي نفس المعترف في سر التوبة فقط بل يجب عليه ان يخلص تلميذه من كل المخاطر ويبعده عن جميع اسباب الخطية كمعاشرة الاشرار وقرآءة الكتب المحرمة ومباشرة الوظايف الخطرة وما اشبه ولا يتركه قبل ان يجده على حال يستطيع ان يصنع بها خلاصه بطمأنينة . وعليه ان يبذل ما في وسعه من الجد بارشاد التائب لكي يحارب وينتصر على اكبر الرذائل المتسلطة عليه لانه بقطع راس جليات واليفانا غُلب الفلسطانيون والاثوريون وولوا الادبار ومن انتصر على الرذيلة الكبرى فقط قطع راس الحية القائم فيه كل عزمها . ومن انفع الادوية التي تقي المريض من النكس قطع الاسباب والالتجاء الى الله تعالى والاكثار من التقدم الى الاسرار والتذكر في العواقب وما اشبه مما يراه المرشد الفطن موافقًا لعليله الروحي

ولما كان المرشد ابًا روحيًا لزمه ان يكون متصفًا بمحبة ابوية ورغبة حارة في قبول التائبين جميعًا فقرآء او اغنيآء شرفآء او حقيرين ومحبتهُ تجذبه الى استماع اعترافهم بصبر محتملاً سذاجة السذج وغلاظة طباعهم ولا يشمئذ من رذايلهم ولا يصدهُ عن توزيع هذا السر الضروري اي مانع كان فليجعلنا الرب مرشدين مفيدين نفوسنا ونفوس البنين الروحيين لنؤهل ان نكون في السعادة صحبة

الآباء القديسين امين

في التزام رعاة النفوس

بالوعظ والتعليم

قال الله لاشعيا النبي نادِ بملوء فيك ارفع صوتك كالبوق وأُخبر شعبي بمعصيتهم وآل يعقوب بخطاياهم (ص ٥٨)

هذا ما امر بهِ الرب اشعيا وسائر الاباء والانبياء في العهد القديم الذين اقامهم روساء ومدبرين لكي يسوسوا الشعب ويقودوه في الطريق الامين المبلغ الى الغاية المخلوقين لاجلها ويصدوه عن ارتكاب المعاصي والآثام بالوعظ والانذار الامر الذي هو اكبر واسطة لروع الاشرار وتثبيت الابرار · ولما ارسل ابنهُ الوحيد من السماء الى الارض متجسداً لم يكن لهُ غاية سوى تخليص النفوس واقوى واسطة استعملها لهذه الغاية هو الوعظ والتبشير كقولهِ تعالى روح الرب عليَّ ولهذا مسحني وارسلني لابشر المساكين واشفي منكسري القلوب وانادي للماسورين بالتخلية وللعميان بالبصر · واكرز بسنَة الرب المقبولة ويوم

الجزاء (لوقاص ٤) وكان يجول واعظاً في المدن والقرى والشوارع
وعلى ساحل البحر وفي البرية وذلك في مدة حياتهِ على الارض ولا سيما
في الثلث السنين الاخيرة · وقبل صعوده الى السماء اختار لهُ رسلاً
وواعظين وقلدهم وظيفتهُ وبعث بهم الى افاق المسكونة قائلاً لهم امضوا
الى العالم اجمع و بشروا بالانجيل في الخليقة كلها (مرقوس ص١٦)
ولاهمية هذا الامر الكبير نرى الرسول الالهي حينما اخذ يوضح لرعاة
الكنيسة وجوب الوعظ والتعليم قد استعمل الفاظاً موثرة مرهبة لم
يستعمل اقوى منها في اعظم الامور لانه هكذا يخاطب احد رعاة البيعة
قائلاً اناشدك امام الله والرب يسوع الذي سيدين الاحياء والاموات
عند تجليه وملكوته أَن اكرز بالكلمة واعكف على ذلك في وقته وفي
غير وقتهِ · وحاجج ووبخ وعظ بكل اناة وتعليم (تيموتاوس ص ٤)
فمن هنا ينتج واضحاً ان الوعظ ضروري ولازم للخلاص لانه ان لم يكن
الوعظ فمن اين التوبة وان لم يكن توبة فمن اين الخلاص · ان
امراض الجسد يكفي لشفائها ان يعرفها الطبيب واما امراض النفس
فلا شفاء لها بدون ان يعرف المريض مرضه ولا يمكنه ان يدرك علته
مالم يخبره بهِ الطبيب الروحي اي الواعظ لان الخطية تسدل على
النفس برقع الجهل فتحتاج الى من يكشف لها عن سوء حالها قد احتاج
داود الى وعظ ناتان فبالاولى تحتاج الرعية وعظ راعيها ومن شدة
الاحتياج ينتج شدة الالتزام وعليه اقتضى ان نبين في خطابنا وجوب هذا
الامر الخطير وكيفية الاستعداد اليه وممارسته ليكون مفيداً ومثمراً اثمار

الخلاص وقبل الشروع ...

فعليكم وحدكم ايها الرعاة تتوقف ازالة الجهل وابادة الشرور من العالم وبكم ينتشر الايمان ويتوطد الرجاء وتضرم نار المحبة لله في قلوب رعاياكم بكم تقلع اشواك الرذائل وبكم تغرس اشجار الفضائل في بستان بيعته تعالى انتم بوق الله يصرخ بهِ على الناس لينتبهوا الى خلاصهم الابدي انتم لسان السيد المسيح وامناؤُهُ ووكلاؤُهُ في وظيفته انتم قهارمة الرب وخزنة اسرارهِ فكما ان يوسف كان يوزع القوت على المصريين لانه قهرمان الملك هكذا يلزمكم انتم ان توزعوا القوت الروحي الذي هو كلام الله على المومنين فلولا كلام الله المنذر بهِ من الواعظين لما كان المومن مومناً ولا القديس قديساً ولا الخاطي تائباً ولا التائب متخلصاً ولهذا قال الرسول كيف يومنون بمن لم يسمعوا بهِ وكيف يسمعون بلا منادٍ . فحيث قد اتضح التزام كل راع بالوعظ والتعليم اقتضى ان نبين كيف يجب عليهِ ان يستعد لهذا الامر جيداً . فعليه ان يطالع كتب الواعظين والكتب الروحية وينتخب منها ما يوافق موضوع خطابه من البراهين السديدة والقياسات المطابقة لمقصده ويسمرها بشهادات الكتاب المقدس الملتزم ان يبالغ بدراستهِ جداً ليتمكن من ان يتخذ الرموز الموجودة في العهد القديم ويذَّخرها في خزانة ذاكرته الحافظة لكي يثبت بها الحقايق الانجيلية وليستطيع ان يفسر الاسفار الجديدة بامثلة وتشابيه من العتيقة لان احسن ما ينذر بهِ الواعظ هو ان يكشف معاني العهد الجديد ويثبتها بشهادات العهد العتيق لان العهد العتيق

كان رسماً للجديد والجديد هو الحقيقة المرسومة بالعتيق ولهذا قال السيد المسيح عن الواعظ انه يشبه رب بيت يخرج من كنزه جدداً وقدما (متى ص١٤) فكما ان رب العائلة يلزمه ان يذخر كل ما هو ضروري ومفيد لعايلته من اثاث ومونة من قديم وجديد لان بعض الاشياء عتيقها افضل من جديدها و بعضها جديدها خير من عتيقها ومن ثم سار المثل ان اجود الخمر ما كان عتيقًا واحسن العسل ما كان جديداً هكذا يجب على الواعظ ان يخرج من كنز علومه كل ما يناسب الزمان والمكان والسامعين . والسيد المسيح كثيرًا ما كان يثبت تعليمه بايات العهد القديم فلما اراد ان ينفي الطلاق اثبت ذلك بقوله ان الله منذ بدء الخليقة خلقهما ذكرًا وانثى (مرقس ص ١٠ عد٦) ولما اثبت قيامة الموتى استشهد بما قاله الله لموسى انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب (متى ص٢٢) ولما جادل ابليس مجربه رد عليه مما قبل في سفر الاشتراع للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ولا تجرب الرب الهك وليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ولما استعمل التلميح من جهة خيانة يوضاس الذي سلّمهُ اثبت ذلك بما قاله في سفر المزامير الذي اكل خبزي رفع اليَّ عقبه وله شهادات كثيرة اخذها من الكتاب المقدس ليثبت بها تعليمه لليهود ولهذا امرنا قائلاً فتشوا الكتب ولا يعتذرنَّ راعي النفوس قائلاً لا احتاج الى الدرس لكوني حافظًا اشيا كثيرة مناسبة للوعظ فالجواب من عمل السيد المسيح الذي لما اراد ان يعظ اليهود في مجمع الناصرة اخذ بيده

كتاب اشعيا ليثبت لهم منه حقيقة مجيه وقد كان يمكنه من حيث انه مملو حكمة الهية ان يعظ بديهًا فلم يرد لكي يعلمنا ان نعمل نظيره والرسول ايضًا يحث تلميذه على الدرس قائلاً واظب على الدرس الى حين قدومي (تيموثاوس ص ٤) وان قال لا كتب لي ادرس فيها فيجيبه السيد له المجد قائلاً بع ثوبك واشترِ لك سيفًا (لوقا ص ٢٢ عد ٣٦) لان الكتب هي سيف الواعظ وبدونها لا يمكنه الحرب والقتال وهل يعذر من قال ليس عندي كتب ونحن في عصرٍ تباع فيهِ وتشرى بابخس الاثمان. وان اعتذر بقوله ان السامعين قليلون لا يحتاج في وعظهم الى درس كتب فيكون اعتذاره نتيجة كسله فان كان يكسل في الامور الخفيفة فكيف بالثقيلة وقد فاته ان الحداد يلتزم باضرام النار ولو اراد ان يطرق مسمارًا واحدًا صغيرًا. وان اضاف الى اعذاره السالفة عذرًا اخر قائلاً لا افهم الكتب اذا درستها ولا اقدر ان استخلص منها خطابًا مرتبًا بموجب رسوم الوعظ فيجيبه احد الاباء الروحيين لماذا اخذت وزنة سيدك كان الاوفق ان تضع فضته على مايدة لياني فياخذها مع ربحها من غيرك فلا عذر لك بعد ان تحققت ان الدرس لازم لك في وعظك وتعليمك. كرِّر الدرس تفهم. اضرب الصخرة مرتين فتجرى لك منها المياه. وبمطالعتك الكتب كن اجمعَ من نملة وضع في محفوظك كل معنى يوافق مطلوبك

ثم يلزم الواعظ في موقف وعظه ان يقنع. ويبهج. ويحرك. اي يلزمهُ اولاً ان يقنع السامعين بسديد البرهان لا بشقشقة اللسان

موضحاً لهم الحقايق بجلاء مثبتاً ما يجب اثباته ونافياً ما يجب نفيه وذلك
بعبارات واضحة يفهمها الجميع لانهُ ما منفعة مفتاح من ذهب اذا لم
لم يفتح القفل فيكفي انه يفتح الباب ويظهر ما هو في البيت ولو كان من
حديد هكذا نقول ما الفايدة من الالفاظ الرقيقة والعبارات المنمقة الدقيقة
اذا لم توضح الحق ولم يفهمها السامعون وما الضرر الناتج من الالفاظ
البسيطة والعبارات السهلة اذا كان يتضح بها الحق وندرك المعاني
المقصودة هكذا كان يعظ السيد المسيح بالفاظ سهلة واضحة بينة
المعنى ويورد للناس امثالاً توافق فهم الجميع فقد ضرب للتجار مثل
التاجر الانجيلي الذى يطلب اللآلىء الحسنة واذ وجد درة ثمينة باع
كل ما لهُ واشتراها تعليماً لنا بان نترك كل مالنا اي ارادتنا الخصوصية
واشواقنا الزمنية لنربح الخلاص الابدي · واورد للفلاحين مثل
الزرع الذي منهُ ما وقع على الطريق ومنهُ على الصخر ومنهُ بين الشكوك
ومنهُ في ارض جيدة بياناً لاراضي القلوب التي يزرع فيها كلام الله
وبهذا كان يحثهم لئلا تكون قلوبهم طريقاً للافكار الباطلة او صخرةً
صلدة خالية من رطوبة الخشوع ومياه الدموع او مشغولةً باشواك
مهمات هذه الدنيا بل يريد ان تكون كارض جيدة تعطي ثمار الصلاح
الوافرة · وضرب للنساء مثل الخمير الذي اخذته امراة وخبأته في
ثلاثة اكيال دقيق فاختمر الجميع مشيراً بهذا ان الامراة هي النفس
والخمير محبة الله واكيال الدقيق الثلاثة هي قوى انفس الثلاث اي
الفهم والذاكرة والارادة لان المحبة تحول اعمال هذه القوى الى محبة نظير

ما يفعل الخمير بالعجين فانهُ يخمرهُ جميعه · واورد للنعلة مثل الكرم وللاولاد مثل الابن الشاطر وبغير الامثال لم يكن يكلمهم هذه هي الطريقة التي جعلت الالوف ان تتبع يسوع الي البرية تاركين متاجرهم وصنايعهم ناسين ما هو ضروري لحياتهم · هذه هي الطريقة التي صيرت الزانية عفيفة والسامرية مومنة قديسة والعشار واعظاً والصيادين مبشرين · يلزم الواعظ ثانياً ان يبهج الحاضرين بالتشابيه الموافقة والاستعارات المطابقة والمناسبة بين الالفاظ والمعاني والاّ يحصر معاني كثيرة في الفاظ قليلة ولا يأتي بمعانٍ قليلة في الفاظ كثيرة . وليتجنب المراجعة في كلامه لان الكلام المُعاد امرٌ من يوم المَعاد وليحترس من الاستعارات والتشابيه المستهجنة ومن ايراد الشهادات الغير المطابقة للموضوع وما اشبه من الامور التي تضجر السامعين احرى مما تبهجهم وتروق لذوقهم فان سلك الواعظ مسلك البساطة وجاء بالكلام في مواقعه فلا شك انه يأخذ بمجامع القلوب حتى اذا اراد ان يختصر وعظهُ يقولون لهُ بصريح العبارة ما قالهُ ابن سيراخ تكلم ياشيخُ فانت اهلٌ لذلك (ص ٣٢ عد ٤) · يجب عليه ثالثاً ان يحرك القلوب الى قبول تعليمه حتى يصير السامعين ان يرغبوا فيما يعدهم ويرهبوا مما يتوعدهم ويكرهوا ما يصف لهم رداته ويكملوا ما يوضح لهم صلاحهُ ويحزنوا مما يُحزن ويفرحوا مما يفرّح · وليعتقد ان حرارة صلواتهِ تفيده لبلوغ هذا المقصد اكثر مما تفيده الفصاحة

ان الراعي الاضم يلتزم ان يودي حساباً عن النفوس التي تهلك

لعدم التعليم الضروري للخلاص لكونه تعالى يخاطب كلاً من رعاة
البيعة هكذا اني اقمتك ديدباناً على بيت اسرائيل فخبرهم بما سمعت من
فمي فاذا قلت انا للمنافق انك موتاً تموت ولست تقول له انت ان
يحتفظ بنفسهِ نعم ان المنافق سيموت باثمهِ الاَّ اني ساطلب نفسه منك
(حزقيال ص ٣٣) ان هذه الكلمات توعب القلوب خوفاً ورهبة
لكونها مأسسة على العدل لانهُ حيث يعدم الشعب قوت الكلام
السماوي بتواني راعيه فهناك تتلاشى كل تقوى وتستأصل الديانة
بالكلية ولهذا قال هوشع النبي من اجل انه ليس علم الله على الارض
قد انفجر الكذب واللعنة والقتل والسرقة والفسق (ص ٤) وهذا مانراهُ
بالاختبار فاين يوجد الكذب في المعاملات والغش وعدم الامنية واين
توجد الالسنة الجهنمية التي تتلفظ بشتائم الدين واللعنات والتجاديف
من افواه الكبار والصغار الرجال والنساء الشبان والبنات واين ترى
تلك الخطايا الفظيعة قد اشتدت وطأتها بين الاكثرين فاذا
فحصت جيداً تجدها انفجرت انفجار براكين نارية في رعية راعٍ اقامهُ الله
على المنبر لكي يرفع صوته كالبوق ويخبر شعبه باثامهم وهو يستمر
صامتاً . او اذا تكلم بعض كلمات على المنبر انما يتكلم بها بنوع يمجه السماع
وحينئذٍ يعتذر ذلك الراعي قائلاً ان الشعب لا يقبل التعليم مع انه لو
استعد جيداً وتكلم خمس كلمات لافاد السامعين افادة ليست يسيرة
ولو غسل الشبكة قبل ان يلقيها للصيد اي لو ابعد عن خطابه ما من
شانه ان يبعد الناس عن شبكة تعليمه وكان ذا خمير نقي ونفس تتوق

لخلاص النفوس ومجد الله لوجد سمكاً كثيراً وامتلات شبكته البطرسية من الحيتان الكبار واذا اتفق انه يوجد من لا يستفيد من التعليم والانذار فايس لاجل هذا يجوز للراعي ان يصمت لان الينابيع لا تزال جارية وان لم يستقِ منها سوى القليلين فالسيد المسيح وعظ عظة مستطيلة على السامرية وحدها لان الله يعتبر نفساً واحدة اكثر من كل خيرات الارض · فاطرح الشبكة اين ومتى يقول لك الرب ولا تكن عديم الطاعة او متكلاً على ذاتك فالقديس بطرس القى الشبكة حيث امره السيد المسيح غير معتذر قائلاً له ياسيدي نحن نعلم بالاختبار ان السمك لا يوجد في عمق البحر حيث امرتنا ان نلقي الشبكة ولا قال يكفينا ما تعبنا الليل كله حتى نزيد تعباً على تعب بدون نتيجة بل قال لاجل كلمتك نلقي شبكتنا راجياً ان الله قادر على ان يجمع كل الاسماك هناك وبطاعته واتكاله اصطاد ما اصطاد فاذا صنعت هكذا واطعت امر الرب وامر روسائك فتصطاد نفوساً للخلاص · فاكسر الخبز الروحي لبنيك وذلك بتعليمك وايضاحك لهم حقايق الديانة والاسرار المقدسة لئلا يقال طلب الاطفال خبزاً ولم يكن من يكسره لهم (مراثي ص ٤ عد ٤) فالامل بكم ايها الكهنة الغيورون ان تتمموا مقاصد الله فيكم وتحبوا هذا الروح روح التعليم وترجعوا للكنيسة رونقها القديم يوم كانت الرسل تنذر بحرارة المحبة والقديسون يبذلون اتعابهم واعراقهم بهذا المشروع الضروري وتنتعش في كل منكم روح يوحنا المعمدان الذي كان صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب وروح

فم الذهب الذي لم يكن يبالي لا بتعب ولا باضطهاد بل كان كل
شوقه لربح النفوس ياليت لي ولكم روح ذلك الرسول بولس الذي
كان اهتمامه كله الليل والنهار بامر الجماعة وخلاصهم اذ صار كلاً
للكل ليربح الكل للمسيح فلنعطَ ذلك بشفاعة مريم البتول وجميع
الرسل المنذرين والقديسين الغيورين امين

في حسن سيرة

الكاهن

قال السيد المسيح من يعمل ويعلم يدعى عظيماً في ملكوت
السماء (متى ص ٥)

فالسيد لهُ المجد قد قدم العمل على التعليم ليبين لنا ان احسن
طريقة مفيدة هي ان المعلم يعمل اولاً بما هو عتيد ان يعلمهُ كما صنع
هو فانه عمل في الفضيلة اولاً ثم علمها والرسل مارسوا الفضائل وصالح
الاعمال قبل ان ينذروا بها الناس هكذا يلزم الكاهن تلميذ المسيح
وخليفة الرسل ان يتبع معلمه الالهي مقتديا بالرسل الاطهار ويعمل بما

يريد ان يعلمه لابناء رعيته ليكون كلامه مسموعاً وتعليمه متبوعاً كالراعي الذي يسير امام خرافه فتتبعه . او كالنسر الذي يبسط جناحيهِ ليحرك فراخه لبسط اجنحتها عند الطيران لان المروسين يتبعون ريسهم بفرح متى رأوه ماشياً امامهم واذا حدث امر مستصعب لا يوجد واسطة لتسهيله اقوى من مدّ يدِ الرئيس فيه قبل الجميع . ويثبت ما نحن فيهِ ما صنعهُ ابيمالك فانهُ لما قصد ان يمتلك برجاً حصيناً مضى بجيشهِ الى احد الجبال ثم اخذ بيده فاساً وقطع غصناً من الشجر وحمله على عاتقهِ وقال للقوم الذين معهُ مهما رايتموني افعل افعلوا انتم سريعاً فقطع جميع القوم الذين معه كل امرء غصناً وحمله واتبعوا قايدهم والقوها حول برج شكيم واحرقوه مع من فيه (قضاة ص ٩) فالكاهن هو ابيملك قايد الشعب المسيحي الذي يتعمد هدم برج الخطية فيلزمه ان ياخذ بيده فاس الغيرة وقداسة السيرة ويقطع بهِ العوائد الردية حاملاً على عاتقه صليب الاماتة ماضياً بقومه الى جبل الكمال قائلاً لهم مهما رايتموني افعل فافعلوا انتم سريعاً وحينئذٍ يشاهد كلاً من ابناء رعيتهِ تابعاً لهُ وبهذا يستطيع ان يبلغ الغاية المقصودة فينتج من هذا جميعه ان المعلم يلزمهُ ان يسير بالفضيلة عاملاً بها اولاً ثم يعلمها والا فيضر بتعليمه ويكون حقيراً في بيعة الله وهذا ما قصدنا بيانه في خطابنا هذا

ان موسى النبي صنع كاروبين في قبة العهد وسليمان الملك ايضاً صنع كاروبين في هيكل اورشليم ولكن كان فرق بين كاروبين

وكاروبين فكاروبا موسى كانت عيونهما شاخصة في موضع التطهير وهو مكان الغفران حيث كان الله يخاطب موسى والشعب · واما كاروبا سليمان فكانت عيونهما شاخصة في الباب الخارج هكذا يوجد فرق بين كاهن وكاهن وبين راعٍ وراعٍ فالراعي المنتخب من الله هو اشبه بكاروبي موسى فان عيني عقلهِ وجميع اعمالهِ واشواقهِ متجهة الى موضع تطهير النفوس حيث يخاطبها الله بواسطتهِ فمن هنا يبان انه قد ترتب على الكاهن ان يهذ دائماً بالاعمال التي تتجه الى تقديس النفوس وتطهيرها من ادرانها بواسطة تعليمهِ وانذارهِ مقتدياً بمعلمه الالهي الذي استمر ثلاثين سنة يهذ بما كان مزمعاً ان يعلمه في الثلاث السنين الاخيرة وحسب التلميذ ان يكون مثل معلمه (متى ص ١٠) فالسيد المسيح قبل ان يعلم الفضائل قد مارسها بالعمل جميعاً قد علمنا المسكنة بالفعل حين ولد في مغارة وحين عاش في دكان النجارة واذ مات عرياناً على عود الصليب وحين دفن في قبر ليس هو لهُ كما قال للثعالب وجار ولطير السماء اوكار واما ابن الانسان فليس لهُ موضع ليسند اليه رأسهُ . ففي مدرسة المسيح المعلم الحقيقي لا اثر للاتجاه نحو الامور الزمنية الخارجة بل كل الاهتمام واتجاه الافكار كان نحو تطهير النفوس لا لتكثير الغنى فالابن فقير والام فقيرة والتلاميذ فقراء والمنزل فقري فبعد استعماله انذر بهِ قائلاً طوبى للمساكين بالروح · وبعد ممارسته افعال الوداعة جميعها قال تعلموا مني فاني وديع لانه كان يعاشر الجميع بهدو وسكينة محتملاً تعييرات حاسديه واضطهاد مبغضيه وغلاظة الغليظين و بلادة السذج

وبعد ما غسل اقدام تلاميذه علمهم التواضع بقوله فليغسل بعضكم اقدام بعض

قال سينكا الفيلسوف ان التعليم بالكلام سفرٌ طويل واما التعليم بالمثال فهو طريقٌ قصير وهذا ظاهر لكون الناس يصدقون ما يرونه بالعين اكثر مما يسمعونه بالاذان فانهم اذا سمعوك تعظ مثلاً على الصبر ورأوك صبورًا ومتحملاً ما يدركك من النوائب يصدقون ما تقوله و يسهل عليهم العمل بهِ والاَّ فيقولون لو كان الصبر ممكنًا لصبر من يعظ بهِ ·

ان القديس غريغوريوس يسمي الكاهن معلم القداسة فاذا كان المعلم متكبرًا فكيف يمكنهُ ان يعلم التواضع · واذا كان شرهًا فكيف يقدر ان يعلم الاماتة · واذا كان غضوبًا فكيف يستطيع ان يعلم الوداعة فمن يتولى تعليم الناس يلزمهُ ان يكون كاملاً في القداسة · قال الكتاب المقدس عن عذرا الكاهن انهُ اعد قلبهُ ليطلب ناموس الرب لكي يفعل ويعلم ولهذا قد اثَّر تعليمه في الشعب جدًا حتى صير جميع الشعب ان يبكوا بكاءً غزيرًا (ص ٧) · قد ذكر الانجيل عن يوحنا السابق انه كان صوتَ صارخٍ لان سيرته الفاضلة وطعامه القشف وثوبه الخشن كانت صوتًا ينذر بالتوبة هكذا لا يكفي الكاهن ان يصرخ بصوته فقط بل يجب ان يكون كلهُ صوتًا عاملاً بما يقول لان كل ما فيه يطالب القداسة · فدرجته المقدسة واثوابه الكهنوتية ووظيفته الملائكية والاسرار الالهية جميعها تصرخ اليهِ ليكون قديسًا · ان المرضعة تاخذ الطعام لذاتها مغتذية بهِ قبل ان تحيله الى لبن يغتذي بهِ الرضيع كذا يقتضي ان

يصنع معلم الفضيلة فيلزمهُ ان يتخذ غذآء كلمة الله لنفسه قبل ان يوزعها على غيرهِ . ان عصا موسى طالما كانت في يدهِ كانت عصا تصنع المعجزات . بها احال الماء الى دم واملاء ارض مصر ضفادع وبها شق البحر واجرى الماء من صخر وعند ما كان يطرحها من يده كانت تصير تعبانًا هكذا انت يا كاهن الله متى كانت يدك في العمل كما تعلم غيرك فتعليمك يصنع معجزات باهرة فانه يشق القلوب القاسية و يلين الالباب العاتية ويجري مياه الدموع من العيون الجامدة وكثيرًا ما نسمع ان بعض خطاة عند سماعهم ارشاد كهنة فضلآء استحالوا من خطاة الى ابرار ومن حال كونهم غضوبين الى ودعاء صبورين ومن الرجاسة الى القداسة ولكن اذا طرحت العصا من يدك اي لم تعمل بما تعلم فتعلميك يعود تعبانًا لاذعًا ضمائر السامعين . وطالما راينا ونرى بعض خطاة يرتشدون كثيرًا وهم كما هم وربما يكون من عدم صلاح مرشدهم لان القديس ليكوري يقول اعطني مرشدين صالحين فاعطيك كل المرتشدين خالصين . ان السيد المسيح اشبع الوفًا من خبزات يسيرة مرتين ولكن كان في كل مرة يتناول الخبز بيديه اولاً قبل توزيعه هكذا يجب عليك ان تتناول تعليمك بيديك لنفسك ثم توزعهُ على غيرك واصنع نظير ايليا الذي تناول الخبز لذاتهِ اولاً ثم ناول تلك الارملة (ملوك ٣ ص ١٧) فان صنعت هكذا فالله يبارك طعامك الروحي الذي توزع منهُ على النفس الجايعة و يعتمر تاثيره فيها ولا يزول حتى ينقضي زمن المجاعة اي ما زالت في غربة هذه الدنيا كما

ان ذلك الدقيق الذي تناوله وناول منهُ ايليا لم يفرغ من عند الارملة الى انقضاء ايام الحاجة فهذه صفات الكاهن المنتخب من الله المرموز عنهُ بكاروبي موسى المتجهة عيونهما الى موضع الغفران

واما الكاهن المنتخب من روح العالم المعبر عنهُ بكاروبي سليمان المتجهة عيونهما نحو الباب الخارج فان افكاره واشواقه وتعاليمه متوجهة الى الامور العالمية الخارجة لا غير فمثل هذا اذا قام في منبر الوعظ او التعليم والارشاد فترى كلامهُ جسمًا بلا روح او قلمًا خاليًا من مداد لا يستطيع ان يرسم حرفًا واحدًا في مصحف القلوب البشرية لان الكاهن يلزم ان يكون مقدسًا ومقدِسًا وكاملاً ومكملاً لانه ان كان غير متقٍ فكيف يمكنه ان يجعل غيره متقيًا وان كان متعدي الناموس فكيف يلزم غيره بحفظهِ فليسمع ما يوبخهُ بهِ الرسول بقوله انت الذي تعلم غيرك الاَّ تعلم نفسك تنادي قائلاً لا تسرق وانت تسرق . . فما اشبه مثل هذا المعلم بنظار الاعمال الذين يامرون غيرهم بالعمل وهم لا يعملون بهِ ويحبون ان ياخذوا اجرة زائدة آخر النهار فتراه يامر بحفظ الناموس وهو يهتك حرمتهُ يحرض على الفضيلة وهو بمعزلٍ عنها اعمى ويعلم النظر يخاطب في وصف دواء الجرح ولا يكف عن حكمهِ فان كان هذا حالهُ فكيف يمكنهُ شفاء غيره من الداء المبتلى فيه هل يجنى من الشوك عنب ام من العوسج تين (متى ص ٧) فكل شبه يلد شبههُ كن متواضعًا فتوثر التواضع في غيرك كن عفيفًا فتجد العفة في الاخرين ان كملت السحابة سكبت المطر على الارض انت

السحابة فكن كاملاً لتغيث قلوب الناس بمياه عملك وتعليمك . فيجب
ان يكون الكاهن نظير الحوض الذي بعد ان يمتلي يفيض المياه على
البستان ليسقي اغراسهُ فالرعية بستان والنفوس غرسات ناطقة فلا
يستطيع ان يبلغ اليها مياه النعم والتعاليم الخلاصية ما لم يمتلئ منها اولاً
فلا يليق بهِ ان يكون مثل القنا تجري المياه على ظهرهِ ولبهُ خالٍ من
الرطوبة فان احب ان خطابه ينفذ القلوب يجب ان يكون بارزاً من
القلب لان الكلمة التي تخرج من القلب تصل الى القلب والبارزة من
الفم فقط فلا تتجاوز الاذان . وكما انه لا يمكن اتقاد النار بعود غير ملتهب
هكذا الغير المتقد بنار الغيرة والمحبة لا يقدر ان يضرم قلوب سامعيه بمثل
هذه النار . معاذَ الله ان يكون الراعي بمنزلة البيئر التي تغسل بمياهها
الانية الوسخة والوحل راسب في عمقها او كالضفادع التي تصرخ بلا
فتور وهي غائصة في الوحول . أو كالاعرج الذي لا يبان عيب فذلهِ
متى كان جالساً وانما يظهر عيبهُ متى مشي . فكثيرون يظهرون فضلاء
صالحين متى كانوا جالسين في منبر التعليم ولكن متى مشوا متعرجين في
طريق الفضيلة تبان كثرة عيوبهم

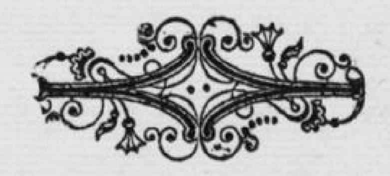
فاذا سرت بموجب التعليم الحسن الذي تعلمه لغيرك فتكون
عظيماً في ملكوت السما وان لم تعمل بما تعلم فتكون حقيراً لا بل مرزولاً
لان العلم بدون مخافة الله والعمل بموجب وصاياه ينفخ صاحبهُ فيضحي
عثرة لغيره فما الفايدة اذا كان الانسان عالماً بكل النواميس ويستطيع
ان يورد الكلام الالهي باحسن الاساليب وافصح العبارات وكان خالياً من

الفضيلة و بعيدًا من الله فابليس لمَّا جرب السيد المسيح كان يتكلم بكلام الله وكان يورد ذلك باسلوب حسن اذ قال لهُ ان كنت انت ابن الله فالقِ نفسك من هنا الى اسفل لانه مكتوب في سفر المزامير انه يوصي ملائكته بك ليحفظوك وعلى ايديهم يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك (مزمور ٩٠) فلا يكفيه اذًا ان يكون عالمًا ومعلمًا بل يقتضي ان يكون فاضلاً ومعطي الحكمة من الله . ان نبات القرة وما اشبهها من النباتات مع كونها في الماء دائمًا فلا يزداد نموها ما لم ياتها الغيث من السماء هكذا العلم الخالي من غيث الحكمة الالهية وندى المحبة الحقيقية لا يفيد صاحبهُ ولا غيره بل يضر كثيرًا لان العلم ينفخ واما اذا كان مقترنًا بالمحبة فيبني صاحبهُ والقريب معًا . فامزج خمرة علمك بمياه محبتك لئلا تتصاعد سورتها الى راسك فياخذه الدوار وانت في مقام عالٍ فتسقط ويكون سقوطك مهولاً . وكما ان الاغذية العسرة الهضم تولد بخارًا مضرًا اذا لم تنضج بالحرارة الغريزية هكذا العلم في عقل الانسان فانه يولد كبرًا وتشامخًا اذا لم ينضج بحرارة المحبة حتى انه يهلك صاحبهُ قال الرسول انني ولو نطقت بالسنة الملائكة والبشر ولم يكن فيَّ محبة فانا بمنزلة النحاس الذي يطن فالنحاس طنينه اقوى من الذهب ويسمع صوته عن بعد غير ان الذهب اعلى قيمةً هكذا العالم الخالي من الفضيلة يكون لهُ شهرة وطنين اكثر من الساذج الفاضل ولكن هذا الفاضل هو اعظم كثيرًا عند الله من ذاك العالم فالكهنة الذين اخبروا هيرودس بمكان ميلاد المسيح كانوا علماء ولكن ما سجدوا لرب المجد ولا دنوا من مكانهِ فيما ان

الرعاة السذج الخالين من كل علم اتوا اليهِ حيث كان وسجدوا لديهِ خاضعين . ان السحاب المتصاعد وان كان خاليًا من الرطوبة فانه يصنع رعودًا وزوابع في الجو واضطرابًا شديدًا في البحر وتجفيفًا في الارض هكذا الكلام الخارج من فم واعظ خالٍ من رطوبة مياه النعمة فانه يلقي في الرؤوس طنين كلماتهِ الرنانة وفي القلوب اضطرابًا من مناقضة اعماله لاقوالهِ ويجفف النفوس لخلو مواعظهِ وارشاداته من روح الرب فما اشبه من كان هكذا بتلك المراة التي ارضعت ابنها نهارًا وقتلتهُ ليلاً عند نومها كما اخبر الكتاب المقدس في الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثالث اي انه يرضع الشعب بلبن تعليمه ويقتلهم بسيرته الغير الجيدة حينما يكون راقدًا في ليل شروره . وكما ان تلك البغي لم تكتفِ بانها قتلت ولدها بل اختلست ابنًا ليس بابنها وادعت كذبًا انه لها هكذا يوجد من يخص لنفسه وينسب لا ستحقاقه وقوة ارشادهِ توبة الذين ارتدوا عن الخطية بواسطة صلوات غيره ومثال سيرتهم الحسن الَّا انه سيخيب املهُ لان سليمان الحقيقي الذي هو يسوع المسيح سيظهر الحق ويخص الابن بمن ولده حقًا ويقاص المدعي الخبيث بما يستحقه من العذاب

هوذا جدعون الحقيقي يسوع المسيح يدعوكم ايها الاباء الغيورون والجنود الباسلون لمحاربة المديانيين الجهنميين والعمالقة الاشرار يامن استقوا مياه العلم والفضيلة بايديهم غير مكبين نحو خيرات الارض وراحة الجسد فعليكم ان تحملوا بيدكم اليمنى بوق الانذار والتعليم وفي اليد اليسرى مصباح

اعمالكم الحسنة ضمن قلة هذا الجسد وكما قال جدعون لجنوده انظروا الي وافعلوا كما افعل وحينما اكسر انا قلتي واصوّت ببوقي فاكسروا قللكم حالاً وصوتوا بابواقكم فتنتصروا (قضاة ص ٧) هكذا يقول يسوع المسيح انظروا الي وافعلوا كما فعلت لاني دفعت قلة جسدي للضرب بالسياط واكليل الشوك وثقب المسامير وصوّتُ ببوق الانجيل في كل اليهودية والجليل مبشراً الجميع بناموس الكمال وتلألأت كمصباح موقد بافعال المحبة والرحمة والغيرة فان فعلتم هكذا فزتم بالظفر على الشيطان والعالم والجسد وربحتم الاكليل المعد للمجاهدين الغيورين الذين قرنوا التعليم بالعمل واستحقوا ان يدعو عظماء في السماء فلنعط ذلك بشفاعتهم وشفاعة مريم البتول امين



اصلاح الغلط

وجه	سطر	خطأ	صواب
٤	٩	الشعار	العشار
٤	١٤	وصلي	وصلِ
٧	٨	افكارهُ واشواقهُ	افكارهِ واشواقهِ
٨	١٤	وتصغي	وتصغَ
٨	٢٠	يعوذك	يعوزك
١١	١٠	الصالحين	الصائلين
١١	١٣	بخرزه	بحرزه
١٥	٢٠	عدلهُ	عدلهِ
١٦	٢	فطرتهُ	فطرتهِ
٢٢	٦	فلنعطى	فلنعطَ
٢٥	١١	منفرد	متفرد
٢٦	١٠	حينما يوبخهم	حينما كان يوبخهم
٢٩	٤	قردتها	فرضتها
٢٩	٢٠	ابيفال	ابيغال
٣١	٨	نرغب	ان نرغب
٣١	١٤	كل	بكل
٣٤	١٨	ادبي	اربي

وجه	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٧	تغاضَ	تغاضى
٣٨	٢٠	عمرك	عمري
٣٩	٣	يعتزرون	يعتذرون
٤٠	٨	ارض	ارضي
٤٢	٣	كفران الاول	كفران بالنعم
٤٢	١٤	موضعها	موضوعها
٤٥	١٦	فافحفص	فافحص
٤٨	٧	نهاية	مهابة
٤٩	١٨	يدعوا	يدعو
٥٠	٢	كثير	كثيرة
٥٣	٦	عياد	اعياد
٥٥	١٠	بطفنة	بفطنة
٥٦	٧	ان لا يصرفوا	ان يصرفوا
٥٨	١	الطاهرة	الطهارة
٥٨	١١	المخضرة	المخصرة
٥٨	٢٠	دعوةً	دعارةً
٥٩	٠٩	ويقودونهم	ويقودوهم
٦١	١٤	لتتكفل	تتكفل
٦٢	١٨	يكرموها	ليكرموها

وجه	سطر	خطأ	صواب
٦٤	١٧	الثائرة	الثائرة
٦٦	١	وحواساً	وحواس
٦٩	٣	تتفت	تتفتت
٧٠	٠٩	مخلص	مخلصي
٧١	٠٨	تخفيف	تجفيف
٧١	١٧	وصايا	الوصايا
٧٣	١١	اقصى	اقسى
٧٦	٠٨	كانت	كان
٧٩	١٣	تام	نامٍ
٨٠	١٦	كونهُ	كونهِ
٨٣	١٢	والاقتدا	والافتدا
٨٥	٠٥	بجد	بجيد
٨٥	٩	شكى	شكا
٨٥	١٠	عايشاً	عاثٍ
٨٦	١٦	فيلزما	فيلزمها
٨٦	٠٦	طلبتكم	طلبتم
٨٨	٢٠	طبعاً	طبقاً
٩١	٢	جاو بك	جوابك
٩٣	٧	شخص	شمعي

وجه	سطر	خطأ	صواب
٩٤	٣	فهذه من	فهذه حال من
٩٥	١١	جزوة	جذوة
٩٦	٠٢	جاهل	جاهلة
٩٧	٠٢	وسالته	رسالته
٩٨	٥	والوحوش	ووحوش
٩٨	١٥	ابن	بين
١٠٠	٥	المالوف	المأْوف
١٠٠	٥	اتفقت	اتفق
١٠٠	٥	اشبكت	اشيكت
١٠١	٩	تخالفت	تخالفت
١٠٣	٥	وتطربه	وتطريه
١٠٣	١٣	ذمرى	زمرى
١٠٣	١٧	بكربة	بكريه
١٠٤	٣	قمرمزي	قرمزي
١٠٤	١٩	الاماذ	الاماتة
١٠٩	١٧	القازوره	القاذورة
١١٠	٦	الطهاوة	الطهارة
١١٥	١	ولا يزدوى	ولا من يزدري
١١٨	٤	الفطام	العظام

وجه	سطر	خطأ	صواب
١٢١	١	الموخر	المذخر
١٢١	٦	ننقم	ينتقم
١٢٣	١٣	القر	الفقر
١٢٥	١	يوجودون	يجدون
١٢٦	٢	سليه	يسليه
١٢٦	١٠	بكثرة	بكسرة
١٢٨	١٣	لا تزل	لا تزال
١٣٠	١٦	تنصعب	تستصعب
١٣٢	١٧	وما اشبهُ	وما اشبههُ
١٣٣	١٣	ضيعها	صنيعها
١٣٣	١٧	مرضًا	مضرًا
١٣٥	١٠	ضطلاعنا	اطلاعنا
١٣٥	١٢	كونة	كونهِ
١٣٦	٥	يفنى	يُفنى
١٤٠	٩	ان	انهُ
١٤٠	١٤	تبتدي	تبدي
١٤٢	٩	العدوات	العداوات
١٤٢	٩	نقاوم	تقادم
١٤٢	٤	يمكن	تمكن

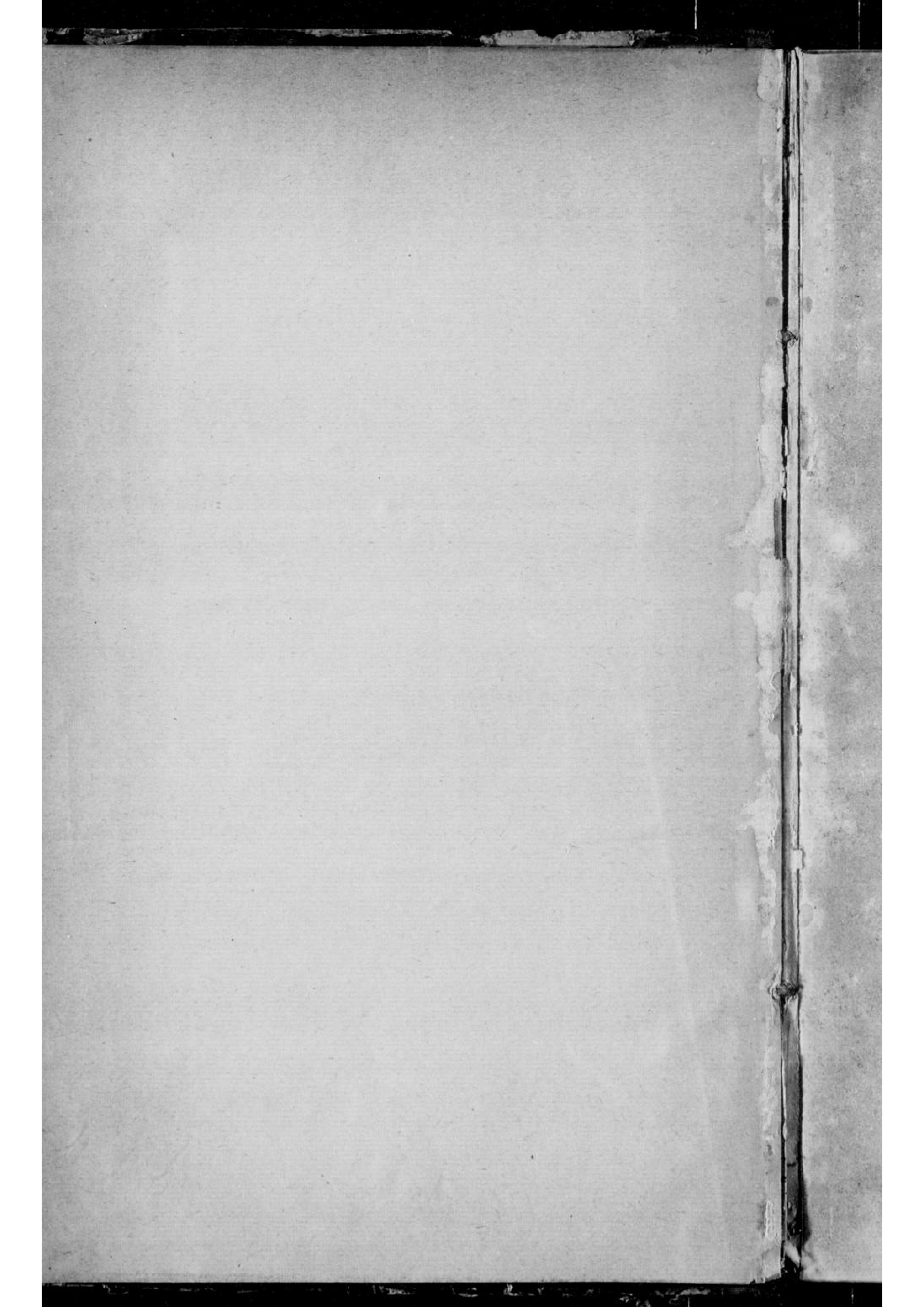
وجه	سطر	خطأ	صواب
١٥٣	١٧	بجال	بجبال
١٥٤	٣	البريئة	الرديئة
١٥٤	١٠	فكياذ	فيكاد
١٥٤	١١	رضضدوني	رضضوني
١٥٧	١٤	في	مع
١٥٩	٤	تقدمتها	لتقدمتها
١٦١	١	مشيتُ	مشيتَ
١٦٥	١	ابن	أُتن
١٦٩	١٢	صلاواتنا	صلواتنا
١٧٤	١٤	للعدوّ	للعَدْو
١٧٧	١٧	بصنعيه	بصنيعهِ
١٧٨	١٤	احتملتيه	احتملتهِ
١٧٨	٢٠	بجمالك	بجماكِ
١٨٠	٧	وان من يشرح	وان يشرح
١٨٢	١	عشرة	عشر
١٨٣	٢٠	والنهيمه	والنميمة
١٨٤	١٢	مطارميرها	مطاميرها
١٨٧	٩	هذاة	هزأة
١٨٧	١٠	ذكيًا	زكيًا

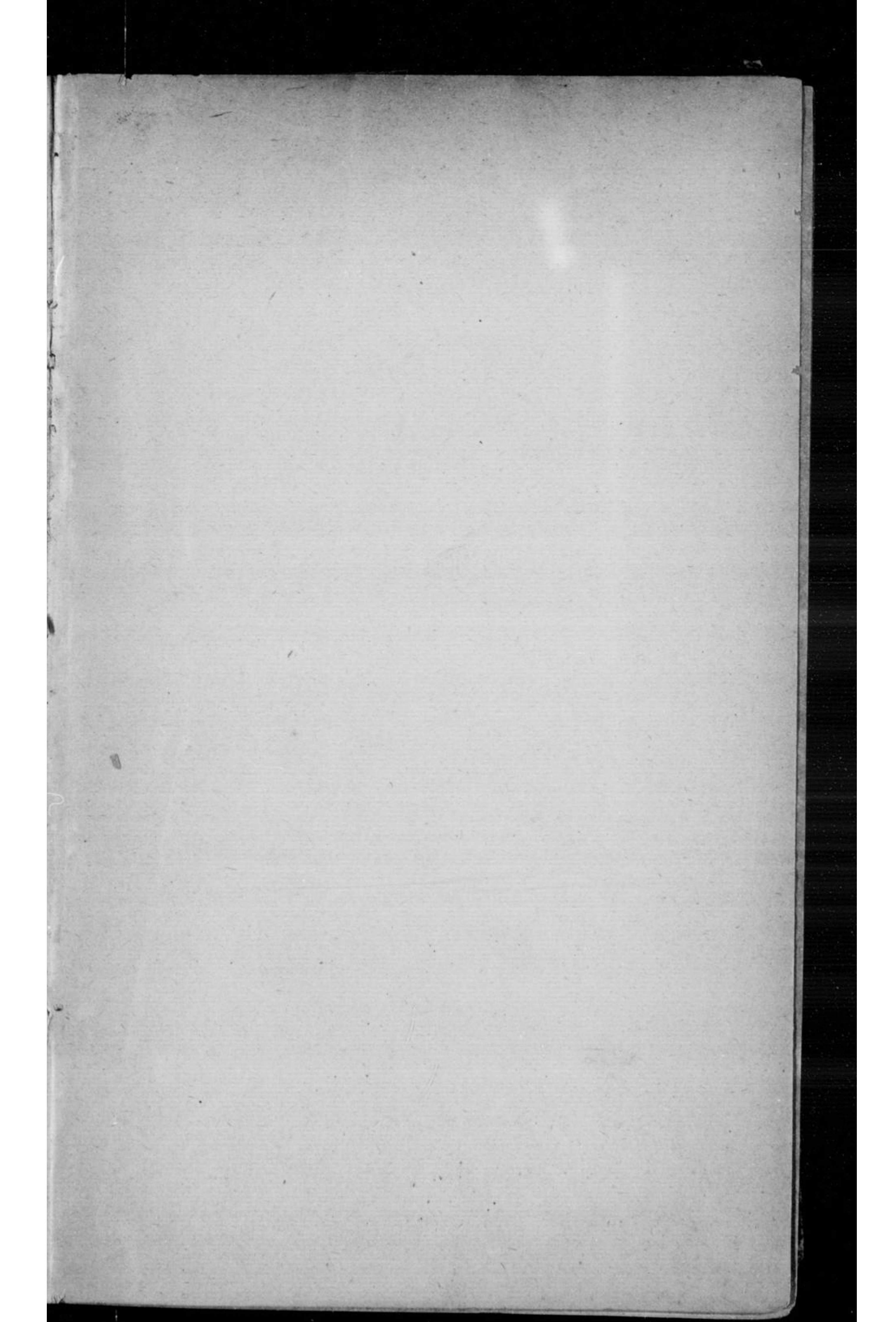
وجه	سطر	خطأ	صواب
١٩٣	٣	عظيم	عظم
١٩٤	٢	اخواصه	خواصه
١٩٥	٥	سمنعا	سمعنا
١٩٦	٨	ولكن لما كان طبع	ولكن طبع الانسان مائل
١٩٨	٩	لتناول	لتنال
٢٠٢	١٥	يخرج	يمزج
٢٠٩	١٠	جالة	حالة
٢١٠	١	يضلح	يصلح
٢١٠	١٠	باللبخل	بالبخل
٢١١	٢	بخطاياك	بخطابك
٢١١	٢٠	الميكال	المكيال
٢١٢	٢٠	العالم	العلم
٢١٤	١	يشبهوا	يتشبهوا
٢١٧	٦	راتبًا	رائقًا
٢١٨	١٣	ذلوا	زلوا
٢٢١	٤	ذادت	زادت
٢٢٢	٦	لير زلوا	لبرذلوا
٢٢٥	٦	عقلها	علقها
٢٢٥	١٤	يواذي	يوازي

وجه	سطر	خطأ	صواب
٢٢٧	١٠	الى	الله
٢٣٠	٨	من طفلاً	من الموت
٢٣٠	١٦	وموسى لم يصنع ذلك	. . .
٢٣٧	١٣	يكونوا	يكونون
٢٣٧	٢٠	فماذ	فماذا
٢٣٩	١٢	واشتعاله	واشتغاله
٢٤٠	١٥	يواذي عظيم	يوازي عظم
٢٤٣	١٨	يشمئذ	يشمئز
٢٤٤	٩	لروع	لردع
٢٥١	٢٠	خمير	ضمير
٢٥٢	١٧	وتحبوا	وتحيوا
٢٥٨	١٧	حكمه	حكه
٢٦٢	٩	يدعو	يدعوا

فهرست

الجزء الثاني من لمحة العين





Kitāb lam□at al-□ain wa mul□at aš-šamālīyain

Šamālī, Germanus aš-
Šamālī, Stephan aš-

Bairūt, 1891

urn:nbn:de:hbz:5:1-15837